الأمانة العامة
العتبة الحسينية
المقدسة

سلسلةُ زادِ المُناسَبات

زادُ المُبلغات

الجزءُ الخامس

البحثة والمستشارة التربوية

ثامر سباع

مناسبات شهري جمادى الأولى والآخرة

مركز الإرشاد الأسري/ النجف الأشرف

SCAN ME

زادُ المُبلِّغات
الجزء الخامس
(مناسبات شهر محرم الحرام)

كتاب: زاد المُبلِّغات - الجزء الخامس-
تأليف وإعداد: الباحثة مياسة شبع
تصميم: عدوية غازي، مياسة شبع
الناشر:
الطبعة:
عدد الصفحات: ٢٥٥

مركز الإرشاد الأسري / النجف الأشرف
٠٧٨١٥٠٥٤٥٦٤ ـ ٠٧٨١٥٨٤٠٠٦٠
EMAIL: fgc.najaf@gmail.com
fgc.najaf@outlook.com

زاد المبلغات

الجزء الخامس

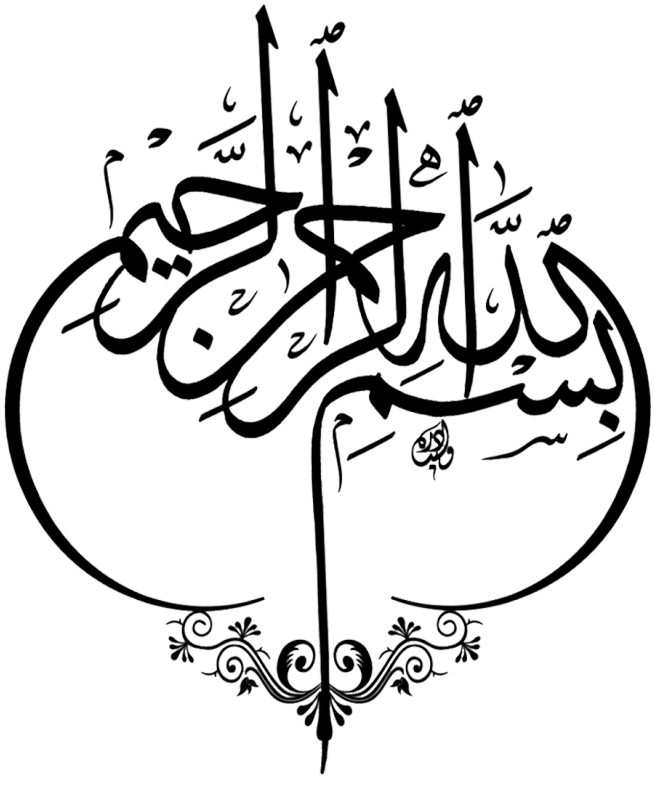
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

المقدمة ٦

يوم ٥ جمادي الأولى: مولد العقيلة زينب عليها السلام ٨

موضوع المحاضرة(١): صانعةُ الأجيال أعظم امرأةٍ عاملة ١١

يوم ١٣ جمادي الأولى: شهادة الزهراء عليها السلام (على رواية ٧٥ يوما).... ٣٥

موضوع المحاضرة(٢): دروسٌ عن عفة فاطمة عليها السلام ٣٨

عن الأيام الفاطمية الثانية ٥٩

موضوع المحاضرة(٣): شبهة عدم دفاع علي عليه السلام عن فاطمة عليها السلام ٦٢

عن الأيام الفاطمية الثانية ٨٠

موضوع المحاضرة(٤): دور فاطمة عليها السلام في التمهيد للظهور ٨٣

يوم ٣ جمادي الآخرة: شهادة الزهراء عليها السلام (على رواية ٩٥ يوما) ١٠٣

موضوع المحاضرة(٥): فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين..... ١٠٦

يوم ١٤ جمادي الآخرة: وفاة أم البنين عليها السلام ١٢٥

موضوع المحاضرة(٦): مُشكِلة الغيْرَة الزوجية ١٢٨

عن الأيام الفاطمية الثالثة..... ١٤٨

موضوع المحاضرة(٧): التوسل بالسيدة فاطمة عليها السلام ١٥١

يوم ٢٠ جمادي الآخرة: ولادة الزهراء عليها السلام ١٧٢

موضوع المحاضرة(٨): فاطمة عليها السلام جمال وجلال ١٧٥

يوم ٢٥ جمادي الآخرة: شهادة الإمام علي الهادي عليه السلام ١٨٩

موضوع المحاضرة(٩): استثمار الوقت ١٩٢

يوم ٢٩ جمادي الآخرة: وفاة سبع الدجيل عليه السلام ٢١٤

موضوع المحاضرة(١٠): التوحيد العبادي ٢١٦

الهوامش ٢٣٥

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين..

تُعَدُّ مهمّة العمل التبليغي من أشرف الأعمال التي تقع على عاتق أهل العلم والإيمان كونها تتّحد في جوهرها وماهيتها مع مهام الأنبياء والرسل والأولياء.

وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[1] نجد في كل مناسبة دينية تُستنفَر همم الأخوات المبلِّغات لأداء واجبهن في نشر العلم والحثّ على العمل الصالح أداءً لهذه المهمّة الرساليّة العالية، وبالأخص ونحن نعيش في زمن تزداد الحاجة فيه إلى التبليغ؛ لأنّ الإعلام المضاد للدين. والذي تتحكّم فيه القدرات العالمية، وتُوظّف فيه أحدث الأساليب والطرق. قد بلغ أقصى مداه، خاصّة وأنّ الكيان الثقافي الإسلامي معرّض لمخاطر معقّدة وجدّية، وفي المواجهة الراهنة سيحدّد إمّا البقاء بعزّ ورفعة الإسلام والمسلمين أو العيش على هامش الثقافات العالمية المنسوخة، وفي هذا السجال ستقرّر رفعة الإسلام والمسلمين، أو ديمومة الذلّ والانحطاط[2].

وفي إطار مواكبة المبلّغات في عملهن التبليغي الذي يمثل غاية الشرف، وبهدف تأمين مادة ثقافية تُمكّن المبلّغة من الاستفادة منها لإحياء المناسبات الدينية، وحرصاً على إرشاد الفرد والأسرة والمجتمع من النواحي التربوية والاجتماعية والإيمانية؛ عمد مركز الإرشاد الأسري في النجف الأشرف، التابع للعتبة الحسينية المقدسة، إلى تأليف كتاب (زاد المُبلِّغات) والذي يقع ضمن سلسلة (زاد المناسبات) في إثني عشر جزءاً، وكل جزء سنطرح فيه أبرز المناسبات الدينية لكل شهر وفق التاريخ الهجري، والتي سيتم بيانها بمحاضرة أو الإشارة إليها بشكل موجز بعد ربطها بمحاضرة معينة، وعدد مناسبات كل جزء يتراوح ما بين(١٠-١٣) مناسبة دينية. علماً أن الأخوات غير مقيّدات بطرح المحاضرة لنفس المناسبة المطروحة في الكتاب، بل لهنّ الحرية في ربطها بأي مناسبة دينية أخرى.

ولقد حرصنا على أن تكون مواضيع المحاضرات منتخبة من الواقع الذي تعيشه الأمة (ومقسّمة ومنوّعة حتّى لا تُسبب الملل للمتلقّي، وتكون مناسبة لكافّة شرائح الحاضرات والمتلقّيات، ففي أغلب المجالس تحضر الفتاة الشابّة والمرأة المسنّة، وهناك مَن تحمل شهادة ولديها مستوى ثقافي متوسّط أو عالٍ، وهناك مَن لا تحمل شهادة، ولربما تكون أُميّة، فيتوجّب مراعاة الفوارق الفردية بين صفوف الحاضرات، وهذا ما يُشير إليه النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في قوله: إنَّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلِّم الناس على قدر عقولهم)[٣]، فمن ذكاء المبلّغة أو الداعية أن تعرف ما تحتاج إليه المتلقّية من أمور دينية وتربوية وغيرها، فلا تنتظر أن تأتي النساء إليها، بل هي التي تقتحم الميادين)[٤]، فالمبلّغ كما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ واصفاً النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (طبيب دوار بطبه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه.. يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمى، وآذان صم، وألسنة بكم.. متتبع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة)[٥].

أي أن المبلّغة كالطبيب الذي يُعطي مريضه جرعة دوائية مناسبة لنوع المرض، فعلى سبيل المثال لو كانت أغلب أمراض النساء هي التبرج والسفور، أو التأثر بالفساد الإعلامي فوجب التركيز على تلك المواضيع أكثر من غيرها. وأيضاً الطبيب الماهر هو الذي يُعطي مريضه جرعة دوائية كافية تفي بالغرض دون زيادة أو نقصان، فإذا زادت المحاضرة ربما تسبّب نفوراً وملالاً، وإذا نقصت فسوف تسبّب سوء فهم، أو عدم اكتمال الصورة المطلوبة في ذهن السامعة، ولقد ارتأينا أن نطرح الحد الأعلى، فكانت مُدَّة طرح المحاضرة في هذا الكتاب ما بين (٣٥-٥٠) دقيقة، وللمبلّغة الحرية في إيجازها وانتخاب ما تراه مناسباً.

وختامًا أسأل الله تعالى أن يتقبّل هذا العمل بأحسن قبول وأن ينال رضا قلب صاحب العصر والزمان (عج).

٥ جمادى الأول

مولد عقيلة بني هاشم (عليها السلام)

السلام عليك يا زينب الكبرى

المناسبة

ذكرى مولد الحوراء زينب (ع)

القصيدة للشاعر مرتضى الشراري العاملي

إنّ القصائدَ تستحي يا زينبُ ... إذ تمتطي سرجَ المدي وتكبُ
أحرى بها هذا الحياءُ يلفّها ... نورُ الشموس أمام نورِكِ يغربُ
وُلد العفافُ وكلُّ ذكرٍ طيّب ... لمّا وُلِدتِ وأزهرت بكِ يثربُ
ماذا عساي أقولُ بعدٍ ولم يزلْ ... ثغرُ الزمانِ بزينبٍ يتطيّبُ
تلك التي ضُرب المثالُ بصبرها ... و عفافُها هو للمثالِ المضربُ
تلك التي من خدرها نهل العلا ... شمسٌ تشعُّ وإن حواها المغربُ !!
فالصبرُ فيها قد تجدّد روحُه ... والبذلُ في ينبوعِها يتقلّبُ
هي في الفصاحةِ والتجلّدِ حيدر ... ولفاطم ذاك العفافُ الأعجبُ
مَن مثلُها؟ إلاّ التي هي أمّها ... هي بنتُ فاطمة، فمن يستغرب؟!
وحفيدةُ الهادي النبيّ محمّدٍ ... وكفاهُ فخراً مَن لأحمدَ يُنسَبُ
وأبوها مولى المؤمنين،فما ترى ... ستكون زينبُ والأميرُ هو الأبُ ؟!
أخوها سبط المصطفى هل من لها ... أخَوانِ مثلهما بمجدٍ تُغلَبُ؟!
لو غيرُ فاطمةٍ تراها أنجبتْ شمساً ... كزينبَ عند ذاكَ سنعجبُ
لكنّ هذي الشمسَ من شمسٍ زهتْ ... وهل الشموسُ سوى ضياءٍ تنجبُ؟!
حملت فضائلَ أمّها ومصائب ... أ منها الجبالُ بحملِها تتكبكبُ
ظلّت بخدرٍ ليس بعده مثلُهُ ... حتّى أُعدّتْ للحسين مراكبُ
ظعنتْ لأمرٍ ما سواها أهله ... وكأنما خُلقتْ لذلك زينبُ
شهد الزمانُ على عظيمِ صنيعها ... في الطفّ لما الطاهرونَ تخضّبوا
بدموعِها شنّت حروبا زلزلتْ ... عرشا له الأعناقُ ظلّتْ تُضرَبُ
و أقولُ للأخواتِ هذي زينب ... أطلبن زينبَ فهي نعمَ المطلبُ
هيا اقتفينَ بوسطِ ليلٍ نورها ... و اهجرنَ ما لو أبصرته ستغضبُ

أرســـمنَ بعضَ مســـرةٍ في عينهـــــا تلـــك الـــذي قضـــتِ الليالـــي تنحـــبُ
و اجعلنهـــا تـــدري بـــأن مصابـــَها مـــا راح هـــدرا بـــل بِكِـــن المكـــسبُ
إنّ الحـــــروفَ تصيـــــرُ درّا ً حينمـــــا ذكـــرا لزينـــبَ فـــي الحناجـــرِ تصحـــبُ

أبوذيات إلى العقيلة زينب عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ

وحگ الأرض والـــثـــــبت ســـماها أبـــد مـــا تنوصـــف زينب ســـماها
الباري بعـــزتـــه وقـــدره سماها ونطاهـــا لحيـــدر وفاطـــم هديـــه

زيـــنـــب شعـــــت بكل نور هلت بـــولادتها دمـــوع الفـــرح هلـــت
تخـــيـــل من بـــديها اتـــراب هلت علـــى إخوتهـــا **الگضوا** بالغاضريـــه

عـــليها الـــنور **لايگ** من صباهـــا وريـــك كلهـــا عفـــه مـــن صباها
تـــدري شچـــان زينـــب من صباها أميره وحطمـــت عـــرش آل أميه

المحاضرة الأولى

صانعةُ الأجيال أعظمُ امرأةٍ عاملة

روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال:
« لَاتُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنَ الْأَمْرِ مَا يُجَاوِزُ نَفْسَهَا فَإِنَّ ذلِكَ أَنْعَمُ لِحَالِهَا وَأَرْخَى لِبَالِهَا وَأَدْوَمُ لِجَمَالِهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ». [٦]

تُعدّ الأسرة اللبنة الأولى في قاعدة أي مجتمع، وبأبسط مفهوم تُعرَّف أنّها وحدة اجتماعية شاملة للزوجين والأبناء والأرحام [٧]، ونريد أن نقف على أحد الأسباب الذي له علاقة بالترابط أو التفكك الأسري وهو عمل المرأة.

(إن الرجل الذي يتزوج من امرأة عاملة أو موظفة وضعه يختلف عمّن يتزوج من ربّة بيت. فالمرأة العاملة تتحمل ما لا يتحمله الرجل أو المرأة التي لا تعمل، لأنها تقوم بعدة واجبات وهي واجباتها الزوجية وواجبات الأمومة والواجبات المنزلية والواجبات الوظيفية وتقوم أيضاً بالواجبات الاجتماعية فضلاً عن الواجبات الدينية المفروضة عليها، فهذه المرأة تعمل أغلب ساعات اليوم وعليها ضغوط كثيرة... وأغلب الشباب اليوم يبحثون عن موظفات للزواج لكي يشاركوهم نفقات البيت وأعباء الحياة) [٨]، وترتب على ذلك إن المرأة جعلت الأولوية للعمل خارج المنزل وللنشاط الاجتماعي وفرّطت وأهملت الحقوق والواجبات المترتب عليها حفظ الأسرة لذلك يعاني الغرب من التفكك الأسري، وبدأ ينسحب الأمر لبلادنا الإسلامية.. وصار الناس ينظرون إلى (ربّة البيت) نظرة دونيّة.

يقول عباس العقّاد: «ولعل هذه المهمة السامية لربة البيت قد انطفأ بريقها وفقدت الكثير من القناعات بأهميتها وجدواها بسبب حملات التشويه المتعمدة من أصحاب الدعوات التحررية المناهضة لبقاء المرأة في بيتها، حتى بدا للكثير أن مسمى « ربّة بيت « فيه دونية للمرأة، وأن دورها سلبي لا قيمة له، وأنها معطلة وغير منتجة، ولا تعد امرأة عاملة تشارك في تنمية مجتمعها مثل التي تعمل خارج بيتها! ومن كيد هؤلاء أنهم مزجوا هذه المفاهيم المغلوطة بمفاهيم أخرى تحرض

المرأة على ترك عملها المنزلي، وتصفه لها بأنه نتاج سلطة ذكورية تستغلها وتسخرها للخدمة بغير أجر أو بدون مقابل، وأنها ضحية للتمييز ضدها وضد مشاركتها في تنمية المجتمع باسم الدين والعادات والتقاليد الموروثة، وتدعوها باسم المدنية الحديثة وتحت مسمى التحرر من الاستعباد إلى ترك دورها الأسري الأصيل والثورة ضد ما تسميه بالأفكار الرجعية البائدة.. إلى غير ذلك من الدعاوى التي يطفح منها الشطط والتضليل والمغالطات، فكيف يُحَقِّرون عمل المرأة في رعاية أسرتها وبيتها ثم يُمَجِّدون عملها خارجه بدعوى مشاركتها في تنمية المجتمع! أي منطق هذا الذي يستندون إليه ويعتمدون عليه؟! فكيف تبني المجتمع من تهدم بيتها؟.[٩]

لقد غفلت المرأة عن غايتها ودورها الرئيسي بكونها امرأة رسالية صانعة للأجيال، وجعلت غايتها في الحياة هو التحصيل الدراسي ونيل الشهادات العليا والحصول على العمل المهني، وهمشن التفكير ببناء الأسرة بالزواج وإنجاب الأولاد ....تلكم النسوة متى يشعرن بالخديعة؟

إذا بلغت المرأة الأربعين من عمرها وما بعده... فإذا فاتها سنّ الشباب وتعذّر عليها الزواج وصعبت عليها الولادة ...حينئذ تشعر بالخدعة الكبيرة التي وقعت فيها وتندم وتتحسر لأنها حُرمت من أعظم إنجازاتها ... لذا تشعر بالغربة ...تشعر بالوحشة ولو كانت في بيت أبيها مدللة ومعززة.

إن كل امرأة بفطرتها الإنسانية تميل إلى الحياة الزوجية وممارستها لدور الأمومة، ولذا التي تضيّع الفرصة عدها االرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مسكينة، فقد روي عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « .. مِسْكِينَةٌ مِسْكِينَةٌ مِسْكِينَةٌ ، امْرَأَةٌ لَيْسَ لَهَا زَوْجٌ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَتْ غَنِيَّةً مِنَ الْمَالِ ؟، قَالَ : وَإِنْ كَانَتْ غَنِيَّةً مِنَ الْمَالِ».[١٠]

مباحث الرواية الشريفة

المبحث الأول: عمل المرأة في المنظور الإسلامي

سنتناول فيه المطالب الآتية:

المطلب الأول: رأي الشريعة في عمل المرأة

لا خلاف بين الفقهاء في جواز عمل المرأة حتى لو كان خارج المنزل ، ولقد دلّت النصوص الشرعية على جواز عمل وكسب المرأة، نذكر منها :

١ . قوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾[١١]، إن الخطاب عام يحث على العمل لكلا الجنسين، وهذا فيه دلالة على جواز اكتساب المرأة بالعمل.

٢ . قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوف وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ﴾[١٢]. إن الآية تصرّح بأنّ الأب له الحقّ في استئجار امرأة لترضع له ابنه، وهذا يدل على جواز إيجار المرأة نفسها لهذا العمل.[١٣]

٣ . روي أن امرأة عبد الله بن مسعود، أم ولده كانت امرأة صناعاً وليس لعبد الله بن مسعود مال فكانت تنفق عليه وعلى ولده من ثمن صنعتها، فقالت : «إني امرأة ذات صنعة فأبيع وليس لي ولا لولدي ولا لزوجي شئ ويشغلونني فلا أتصدق فهل لي في النفقة عليهم من أجر» فقال عليه السلام: «لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم». [١٤]

٤. روي عن عثمان بن عيسى، عن أبي زهرة، عن أم الحسن النخيعة قالت: « مرّ بي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال :« أي شيء تصنعين يا أم الحسن ؟ قالت : أغزل ، قالت : فقال : أما إنه أحل الكسب ».[١٥]

٥.عن جابر بن عبد الله، قال: طلقت خالتي ، فأرادت أن تجد نخلها- تجمع ثماره- فزجرها رجل أن تخرج فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: « بل فجدي نخلك ، فإنك عسى أن تصدقي أو تفعلي معروفاً ».[١٦]

المطلب الثاني: شروط عمل المرأة

إن خروج المرأة للعمل خارج المنزل مشروط بالالتزام بالضوابط الشرعية، وهي كالآتي:

أولاً: أن تستأذن من وجب عليها استئذانه: وهما حالات:

١.إذا كانت متزوجة وجب عليها ألا تخرج إلا بالإذن من زوجها وإلا لعنتها ملائكة السماء والأرض حتى تعود، كما ذكرت الروايات.

قد يرد هذا السؤال: كيف تعالج المرأة هذه النقطة؟!

الجواب: يمكنها ذلك بأمور نذكر منها الآتي:

۞(أن تشترط عليه في متن العقد أن لا يمنعها من الخروج للعمل والدراسة، فإذا اشترطت عليه سقط حقه في منعها. إذا فات عقد الزواج ولم تشترط ذلك.. ما العمل؟

۞ تستخدم عقداً آخر كعقد البيع مثل أن تبيعه ساعة وتشترط في عقد البيع أن يسمح لها بالعمل) [١٧]

٢.إذا لم تكن متزوجة ولكن كان لديها والدان، (فإذا كان أحد أبويها أو كلاهما حياً وكان يتأذّى خوفاً عليها من مخاطر الخروج لم يجز لها مخالفته في ذلك) [١٨]، وهذا الأمر غير مختص بالمرأة بل حتى الرجل.

ثانيـــاً: أن يكون العمل حلالاً، فلا يجوز -مثلاً- أن تعمل عملاً حكم الشارع المقدس بحرمته، كالعمل في المعاملات الربويّة، أو تقوم بمعاملات فيها غش وخداع، أو الترويج للفساد كأن تعمل في محل معين ويشترط عليها صاحب المحل أن تعرض مفاتنها بالتبرج والتزين لتجلب أكبر عدد من الزبائن، أو العمل كإعلامية يُطلب منها تقديم ما فيه مخالفة للشرع.

ثالثـــاً: ملائمة العمل لطبيعة المرأة: فلا ينبغي-بمعنى لا يليق - للمرأة أنْ تعمل

الأعمال التي تختصُّ بالرجال، أو التي لا تتوافق مع طبيعتها. فكون المرأة - مثلاً -موظفة خلف المكتب أو معلمة أو طبيبة يناسبها، ولكن الأعمال البدنية الشاقة لا تناسب تكوين المرأة كحرث الأرض أو قيادة شاحنة أو العمل في المصانع الضخمة كمعامل التنجيم وغيرها .

رابعاً: الالتزام بكل أحكام العفة: كالالتزام باللباس الشرعي، فقد اشترط الفقهاء على المرأة عند الخروج من بيتها أن تلتزم باللباس الشرعي الذي يغطي جميع بدنها، وأن لا يكون شفافاً ولا مجسّماً، ولا يكون لباسها لباس زينة، وألا يشبه لباس الرجال، وأيضاً وجب على المرأة أن لا تخرج متبرجة ومتزينة، فلا يجوز وضع المكياج ولا تركيب الرموش والأظافر ولا نفخ الشفاه ولا التعطّر لما يترتب عليه من الإثارة والافتتان. وأن لا تتمايل في مشيتها، فقد روى الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: « سمعته يقول: يظهر في آخر الزمان واقتراب الساعة - وهو شر الأزمنة - نسوة كاشفات عاريات، متبرجات من الدين، داخلات في الفتن، مائلات إلى الشهوات، مسرعات إلى اللذات، مستحلات للمحرمات، في جهنم خالدات ». [١٩]

خامساً: عدم الخلوة مع الرجل الأجنبي مع عدم الأمن من الوقوع في الحرام، بل الأولى أن يكون معهما ثالث حتى مع الأمن، فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « لا يخلون رجل بامرأة، فما من رجل خلا بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ».[٢٠]

سادساً: عدم التفريط في حق الزوج أو الأولاد: على الزوجة أن تراعي عدم التعارض ما بين حق زوجها وأولادها وما بين العمل؛ لأن حق زوجها واجبٌ عليها ورعاية أولادها أهم من الخروج للعمل، وإذا حصل التعارض فتقدم الأهم -وهم الأسرة- على المهم.

بعد بيان وجهة نظر الإسلام لعمل المرأة، سنقف على موضوع عمل المرأة من ثلاث زوايا: (أولاً) عمل المرأة المنزلي، (ثانياً) عمل المرأة المهني، (ثالثاً) عمل المرأة الرسالي. وسنطرحها في المباحث الآتية:

المبحث الثاني: عمل المرأة المنزلي

ونقصد بعمل المرأة المنزلي التفرّغ لأداء الوظائف المنزلية المهمة وأبرزها الوظائف الزوجية والتربوية.

السؤال المهم الذي وجب علينا طرحه هو:

هل أن الشريعة أمرت أن تكون الأولوية لعمل المرأة المنزلي أم لعملها المهني؟

الجواب: إن من يراجع النصوص القرآنية والحديثية، يخرج بحقيقة أن الإسلام يسعى إلى أن يعفي المرأة من أمر العمل خارج بيتها، وجعل الأولوية لعمل المرأة داخل المنزل.. ولنا في سيدة نساء العالمين أسوة حسنة، فقد روي عن أبي عبدالله، عن أبيه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال: « تقاضى عليّ وفاطمة إلى رسول الله في الخدمة فقضى على فاطمة بخدمتها ما دون الباب، وقضى على عليّ بما خلفه، قال: فقالت فاطمة: فلا يعلم ما دخلني من السرور إلا الله باكفائي رسول الله تحمل أرقاب الرجال ». [٢١]

فالسيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ كان بإمكانها أن تختار العمل خارج المنزل باعتباره جائز، وهناك نسوة في زمانها كن يعملن خارج المنزل-كما ذكرنا- ولكنها فضّلت أن يكون عملها داخل المنزل بأن تجعل الأولوية لبناء أسرتها ورعاية زوجها والتفرغ لتربية أولادها وتدبير شؤون المنزل.

وللتوضيح أكثر سنذكر أهم الأسباب التي توضح سبب إعفاء المرأة من العمل خارج المنزل وجعل الأولوية لعمل المرأة داخل المنزل المُتَمَثِل بأداء الوظيفة الزوجية والوظيفة التربوية:

السبب الأول: رحمة بالمرأة

هذا السبب يوضحه الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحديث العلوي -محل البحث-، وهو « لَاتُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنَ الْأَمْرِ مَا يُجَاوِزُ نَفْسَهَا فَإِنَّ ذلِكَ أَنْعَمُ لِحَالِهَا وأرخى لِبَالِهَا وَأَدْوَمُ لِجَمَالِهَا، فإنّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ.. ». [٢٢]

(أما قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَاتُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنَ الْأَمْرِ مَا يُجَاوِزُ نَفْسَهَا »: فالظاهر أن المقصود: لا تجعل بيدها من شؤون الأسرة والبيت ما هو ليس من شأنها الخاصّ، بل من شأن الزوج، لأن الرجال قوّامون على النساء، وليس العكس، ومن ثمَّ على الزوج أن يتحمَّل هو مسؤوليَّة الأسرة، ولا يرهق زوجته بتحمُّلها.

ولهذا قال بعد ذلك: « فَإِنَّ ذلِكَ أَنْعَمُ لِحَالِهَا وأرخَى لِبَالِهَا وَأَدْوَمُ لِجَمَالِهَا »: أي: أن تحمّل الزوج للمسؤولية يجعل الزوجة تعيش الراحة والنعيم والرخاء، بل ويكون ذلك سبباً في المحافظة على جمالها، لأن تحمُّل شؤون الأسرة وهمومها ينعكس سلباً على وجهها وبدنها وكل ما يتعلق بجمالها كما ثبت ذلك بالتجربة.

ثمّ بيَّن عَلَيْهِ السَّلَامُ السبب في عدم تحميل الزوجة مسؤولية الأسرة، حيث قال: « فإنّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ »، ان المقصود من الريحانة نبتة الريحان، تشبيهاً للزوجة بهذه النبتة، فإن لها رائحة طيبة، كما شبَّه بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في الحديث المعروف: « الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا »[٢٣].

والقَهْرَمَانَةُ معناها اللغوي مدبّرة البيت ومتولية شؤونه. فيكون المقصود: أنّ الله خلق المرأة لا من أجل أن نظلمها ونقسو عليها، بل إنّ الله خلقها من أجل أن نحترمها ونداريها، وأن يجعل الزوج زوجته محطة لراحته وتفريغ همومه، وإزالة أتعابه، وأما لو جعلها تتحمّل المسؤولية فكلاهما سوف يعانيان من تعب الحياة ومشاكلها، فلا يجد أحدهما شخصاً يستريحان إليه، وهذا بخلاف ما لو تحمّل الزوج المسؤولية عنها، فحينئذٍ ستكون هي الملجأ الذي يجد الزوج راحته عنده).[٢٤]

من المعلوم أن بُنيّة المرأة تختلف عن بُنيّة الرجل سواءٌ من ناحية القوة والتحمُّل أو من ناحية عوارض العادة الشهرية أو من ناحية أنها مهد الحمل الذي يطول أشهراً أو من ناحية أنها منبع العطاء والغذاء لطفلها الجديد.

من هنا راعى الإسلام هذا الوضع، وحمّل الرجل مسؤولية تأمين المال والنفقات المادية التي تحتاجها الأسرة حتى لو كانت الزوجة تملك أموالاً طائلة.

وقد شجَّع الإسلام الزوج على ذلك من خلال بيان ثواب تأمين النفقة للعيال، فعن الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « الكادُّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله». (٢٥)

السبب الثاني: صوّن المرأة وحفظها

إن عمل المرأة داخل المنزل سوف يصونها ويحفظها من التعرض للرجال، والدخول معهم، والاختلاط بهم. والشرع حين يرجّح لها أن تعيش في أجواء الصون، والعفاف، فإنه لا يهمل حالات الضرورة، فيسمح لها، بما من شأنه أن يلبي حاجاتها، ويرفع ضروراتها. فإذا توقفت حياتها على العمل، فإنه يرجح لها أن تختار عملاً ينسجم مع أهدافه تلك، ولا يجعلها في معرض الفتنة والافتتان. ولا يرضى لها أن تكون في الواجهات، والصالات لتجلب بأنوثتها الزبائن .

بل نجد في القرآن إشارة صريحة إلى لزوم حفظ حالة الصون، والابتعاد عن أجواء التعامل المباشر والاختلاط، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ... ﴾ (٢٦) . (٢٧)

ومع شديد الأسف عندما نأتي للواقع نجد أن المقاييس قد انقلبت، وكما قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «.. كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا؟! » (٢٨)، فبعض النساء لا يراعين أحكام العفة عند خروجهن للعمل أمام الرجال الأجانب ، بل صارت تهتم بالتبرج والتزين بوضع المكياج وتركيب الرموش وبالتعطر وارتداء الثياب المغرية المثيرة وحينما تتكلم تتغنج في صوتها، وحينما تمشي تتمايل في مشيتها وتوزع الإبتسامات وتتبادل النظرات المحرمة ... ولمّا تصل النوبة لزوجها تجدها لا تفعل معه مثلما تفعل مع الرجال الأجانب؟!!

فتبّاً لهذا العمل الذي سيدخلهن في نار جهنم وبئس المصير.

السبب الثالث: حفظ الأسرة

وهذا من أهم أسباب جعل الأولوية لعمل المرأة داخل المنزل، فالأسرة في الدين الإسلامي تُعدّ من أهم ركائز ودعائم المجتمع، ولحماية الأسرة من الانهيار وضمان

بقائها جعل الله تعالى لها دستوراً يتضمن مجموعة حقوق وواجبات ومنها الحقوق الزوجية، قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [٢٩] أي فرض الله تعالى لكل فرد مسؤوليات عليه القيام بها تجاه الآخر لتتكامل الحياة، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، ...، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم ». [٣٠]

فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يحدد مسؤولية الرجل برعاية أهل بيته من النفقة والمعاشرة بالمعروف والوصال، وحدد مسؤولية المرأة الرئيسية بحسن التبعّل ورعاية الأولاد وتربيتهم، فإذا أهمل كل منهما مسؤولياته سيترتب عليه ضعف في أساس الأسرة قد يودي به إلى الانهيار. ومن المعلوم أن للمرأة دوراً كبيراً في حفظ الأسرة الذي يتمثل بالوظائف الآتية:

أولاً: الوظيفة الزوجية: المتمثّلة بحُسن التبعُّل، فقد روي في الحديث: « وجهاد المرأة حُسن التَبعّل». [٣١]، إن المراد من حُسن التبعُّل هو التودُّد للزوج، ومطايبتُه في الحديث، والتزيُّن له، والمعاشرةُ له بأحسنِ ما تكون عليه المعاشرة، وأداءُ حقوقِه تامَّة غيرُ منقوصة، وأنْ لا تُكلِّفه ما لا يُطيق بل تُعينه على نوائبِ الدهر. [٣٢]

وهذه الوظيفة وجب تقديمها على العمل خارج المنزل لأن النفقة واجبة على الزوج لا على الزوجة، ولأن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبرنا: « لا شفيع للمرأة أنجح عند ربها من رضا زوجها ». [٣٣]

ولنا في فاطمة سيدة النساء أسوة حسنة حيث قال الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فوالله ...لا أغضبتني، ولا عصت لي أمرا، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان». [٣٤]

ثانياً: الوظيفة التربوية: إن الأم مربية الأجيال، وصانعة الرجال، والأمينة على أخلاق الأطفال، بل هي المدرسة الأولى في تنمية أخلاق العيال، وتعديل سلوكيات الأطفال؛ كما قال حافظ إبراهيم عنها:

الأم مدرسة إذا أعددتهـــا *** أعددت شعبا طيب الأعراق

الأم روض إن تعهده الحيا *** بالريّ أورق أيمـــــا إيراق

الأم أستاذ الأســـاتذة الألى *** شغلت مآثرهم مدى الآفاق.[٣٥]

ويفترض أن لا يُنظر إلى دور الأمومة والتربية نظرة استخفاف، فمهمة الأمومة حينما حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وما يليها من ولادة ورضاعة وحضانة والتي تتطلب جهودا كبيرة... ومن ثم تأتي مرحلة التربية التي تعد في وقتنا المعاصر مهمة صعبة ومسؤولية في الوقت نفسه، خاصة مع الانفتاح الإعلامي الذي طغى علينا على حساب الجوانب الأخرى.

إنّ المستشارين التربويين المؤمنين يؤكدون على ضرورة التفرّغ لرعاية وتربية الأولاد في مرحلة الطفولة المبكرة-أي السبع سنوات الأولى-، ومرحلة الطفولة المتأخرة-أي السبع سنوات الثانية-، ومرحلة المراهقة، والشريعة تؤكد بأن لكل مرحلة منهجاً يختلف عن الآخر، روي عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: دع ابنك يلعب سبع سنين ويؤدب سبعا وألزمه نفسك سبع سنين، فإن فلح وإلا فلا خير فيه.[٣٦]

فإذا اضطرت المرأة للعمل خارج المنزل فعلى الأقل ليكن بعد الانتهاء من مرحلتي الطفولة باعتبار أساس الطفل وشخصيته يتحدد في هذه المرحلة، فمرحلة الطفولة المتأخرة هي مرحلة التأديب والتقويم، التي عبّر عنها الإمام بقوله (ويؤدب سبعا)، والتأديب يكون بزرع عشرات القيم الإيمانية والأخلاقية والعبادية والمهارات الحياتية في نفوس الأولاد. وممارسة هذا الدور يحتاج أن تكون الأم متفرّغة وواعية وفاهمة بالأساليب التربوية المتنوعة كأسلوب التربية بالحوار، وأسلوب التربية التجربة والخبرة، وأسلوب التربية بالقدوة، وأسلوب التربية باللعب والجزاء وغيرها، وإلا إذا استخفت المرأة بدورها وانشغلت بأمور تافهة، وتجاهلت زرع القيم الإسلامية وكانت حريصة فقط على توفير المتع الدنيوية للأولاد من هواتف حديثة وإنترنت، وحاسوب وثياب وأجهزة بماركات عالمية فهي أُم فاشلة غير مؤهلة للتربية سواءً أكانت عاملة أو ربّة بيت، وهي امرأة محطّمة للأجيال لا صانعة للأجيال، والنتيجة أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سيتبرأ منها لأنها السبب في دخول أولادها النار، روي عن

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أنه نظر إلى بعض الأطفال فقال: « ويل لأطفال آخر الزمان من آبائهم « فقيل: يا رسول الله، من آبائهم المشركين؟ فقال: « لا من آبائهم المؤمنين، لا يعلمونهم شيئا من الفرائض، وإذا تعلموا أولادهم منعوهم، ورضوا عنهم بعرض يسير من الدنيا، فأنا منهم برئ وهم مني براء «. (٣٧)

ثالثاً: الوظيفة المنزلية: كترتيب المنزل والطبخ وغيرها، ورغم أن هذه الوظيفة ليست من الواجبات على الزوجة بل من المستحبات ولكنها ضرورية لحفظ الأسرة، ولنا في السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ أسوة حسنة التي غزلت وطحنت وخبزت وسقت وكنست رغم أنها سيدة نساء العالمين، فلقد روي عن الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «كانت ابنة رسول الله من أكرم أهله عليه، وكانت زوجتي، فجرّت بالرحى حتى أثر الرحى بيدها، وأسقت بالقربة حتى أثّرت القربة بنحرها، وقمّت - أي: كنست - البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر ». (٣٨)، ولمعرفة التفاصيل يمكنكم مراجعة الجزء الثالث لكتاب(زاد المبلغات) المحاضرة الخامسة، المبحث الرابع.

ولأهمية هذه الوظائف الثلاثة في حفظ الأسرة وحمايتها فلقد تكفّل الشارع المقدس لها بضمانات تحثها على البقاء في المنزل لضمان العزة والكرامة لها ، ومن ذلك:

١.إيجاب النفقة على الرجل، حتى تتفرغ لأداء هذه الوظائف المهمة .

٢.أعفاها من مسؤولية الإدارة المباشرة في داخل الأسرة بجعل القيمومة بيد الزوج ؛ لأن الإدارة المباشرة تتطلب جهدا وتفكيرا طويلا وقد يستلزم منها الخروج وقضاء ساعات طوال خارج المنزل، لذلك فالزوجة في النظام الإسلامي في راحة من ذلك.

٣.إسقاط بعض الواجبات التي تستلزم الخروج كصلاة الجماعة والجهاد.

٤.رتب على العمل الذي تمارسه داخل المنزل ثوابا عظيما ،نذكر منها ما روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: المرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح وأيما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام أغلق الله عنها سبعة أبواب النار وفتح لها ثمانية أبواب الجنة

تدخل من أيها شاءت.[٣٩]

المبحث الثالث: عمل المرأة المهني

في الأعم الأغلب يستلزم العمل المهني من المرأة الخروج من المنزل، وهو على قسمين :عمل مهني ضروري، وآخر غير ضروري.

فأما العمل المهني الضروري، وهو ما تتوقف عليه المصلحة العامة كمجال الطب والتمريض، والتعليم، فالحاجة ماسة لعمل المرأة في هذه المجالات فالمسألة ليست اجتماعية فقط، بل هي مسألة شرعية قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤٠] ، فقد ركّز الإسلام على عنوان العزة، ولا يمكن أن يكون المجتمع الإسلامي عزيزاً إذا كان محتاجاً إلى المجتمعات الأخرى، بل الذي يجعله عزيزاً هو الاكتفاء في مجالات عمل المرأة «الطب والتعليم». وأما الأمور الأخرى كالصحافة والهندسة «فليست حراماً» ولكنها لا تدخل تحت العناوين الراجحة بل تحت العناوين المرجوحة.[٤١]

ودوافع العمل المهني عديدة، نذكر منها الآتي:

١.للحصول على الأموال: يفترض على الزوجة التي لديها زوج ينفق عليها أن تكون قنوعة وأن توجه اهتمامها الأول لأسرتها فهم أهم من العمل خارج المنزل ومن جمع الأموال. نعم إذا لا يوجد من ينفق عليها كأن لم تكن متزوجة أو كانت أرملة أو مطلقة أو كان زوجها معوقا أو متزوجة ولكن زوجها كان فاسقا يتهرّب من تحمل مسؤولية النفقة، أو كان ما يتقاضاه من راتب أو مكسب قليل جداً لا يكفي لسد الاحتياجات الأساسية فهنا ستضطر للعمل.

٢.تحقيق مكانة اجتماعية: قد تعمل المرأة من أجل تحقيق طموحاتها في الحصول على مكانة اجتماعية مرموقة، وشغل مناصب هامة وحساسة. وهذا الأمر إذا كان لأهداف دنيوية فهو مذموم وبالأخص إذا تعارض مع حسن التبعل وتربية الأولاد -كما هو الغالب-.

إن الشريعة ذمّت حب المال والجاه والرئاسة وحب المدح والظهور، فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم، بأكثر فسادا

فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم ».[٤٢] وكم رأينا نسوة ضيعن أسرهن وأولادهن بسبب ذلك.

٣.العمل يجعلها تستثمر أوقات الفراغ بطريقة أفضل: إذا كانت المرأة تُحسن تبعلها مع زوجها وتحسن تربية أولادها ومع ذلك تعاني من الفراغ فلا بأس بأن تسدّ بعض أوقات فراغها بالعمل ولكن في الغالب أن الأمهات اللاتي لديهن أولاد بمرحلة الطفولة، ويعانين من الفراغ، هن أمهات غير مؤهلات للتربية، فالأم لو فرّغت نفسها لمعرفة المنهاج التربوي المختص بكل مرحلة عمرية وكانت عارفة بأساليب التربية الصحيحة وعدد القيّم التي وجب زرعها في نفوس أولادها لما فكّرت بالعمل خارج المنزل ولشَكَتْ من ضيق الوقت.

٥.لتشعر بكرامتها وقيمتها، وهذا الفكر مستورد من الثقافة الغربية الذي جعل قيمة وكرامة المرأة مرهوناً بأمور وهمية منها: إظهار أنوثتها، وإن كرامتها مرهونة بعملها خارج المنزل لا بداخله، في حين أن الله تعالى يخبرنا بأن كرامة الإنسان مرهونةً بتقواه أينما كان عمله، قال تعالى:﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٤٣] وسبب استخفاف الغرب بعمل المرأة المنزلي والتربوي لأنهم يعدونها بمنزلة خادمة المنزل.. في حين أن العمل المهني أيضا هو خدمة لبعض الأفراد أو خدمة للدولة والمجتمع، فلماذا صارت خدمة الأسرة عاراً وخدمة غيرهم شرفاً في حين أن خدمة الأسرة أولى من غيرها وهذا ما يحكم به العقل والشرع، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ».[٤٤] ، والمتعارف أنّ ربّة البيت لا تأخذ مقابل عملها الأسري مالاً؛ لأن عملها حباً لأسرتها وقربة لله تعالى، لذا فهي أولى بالاحترام والتقدير من غيرها.

وأما إذا كان الدافع للعمل خارج المنزل من أجل مساواتها مع الرجل بينما العمل المنزلي لا يحقق التساوي-كما يدّعي الغرب- فنردّ عليه بأن الإسلام ساوى ما بين الجنسين، ولكن العدل يستلزم في بعض الأحيان الاختلاف في الوظائف من أجل تكامل الأدوار ومراعاة للاختلافات التكوينية والنفسية ما بين الجنسين، كما ذكرنا ذلك تفصيلاً في مبحث الحجاب.[٤٥]

المبحث الرابع: التوازن عند التزاحم

المطلب الأول: التزاحم بين أداء المهام

من باب الإنصاف وجب علينا أن نطرح السؤال الآتي:

هل تتمكن المرأة بعد رجوعها من عملها خارج المنزل، مرهقةً متعبة من أداء وظيفتها الزوجية ، من التودد لزوجها والتزيّن له، وأن تُحسن معاشرته ومن أداء كل حقوقه، وهل تتمكن من أداء وظيفتها التربوية، من رعاية أولادها وتربيتهم تربية إسلامية سليمة، ومن أداء الوظيفة المنزلية، بالإضافة إلى الواجبات العبادية والاجتماعية؟

الجواب: بالتأكيد أن أداء كل هذه الوظائف والمهام على النحو الأكمل غير ممكن لأنه يستلزم التزاحم، فالمرأة (تحتاج إلى إعداد لها، واستعداد منها، على المستوى النفسي، والفكري، والثقافي، والإيماني، والأخلاقي، والسلوكي. وإلى بذل جهد كبير جداً من الصعب أن تجد معه المرأة فرصة لعمل آخر سوى أن تأخذ قسطاً من الراحة يمكنها من الصمود والصبر ثم متابعة إنجاز هذه المهمة الجليلة .[٤٦]

فإذا فرضنا أن على الزوجة أداء كل هذه الوظائف والمهام بدون تقصير فهل هذا من العدل أم هذا من الظلم؟

إن الإنسان له طاقة محدودة، فلنفترض أن طاقتها عند استيقاظها من النوم صباحاً ١٠٠٪، فلكي تؤدي واجباتها الشرعية تجاه أسرتها تحتاج مثلاً أن تصرف ٣٠٪ على تربية أولادها، و٢٠٪ على حُسن التبعّل، و٢٥٪ على تدبير أمور المنزل، و١٠٪ لأداء عباداتها، و١٠٪ لأداء حقوق الناس، و٥٪ للراحة... وفي الزمن الذي نعيش فيه صارت الطاقة التي تبذلها المرأة لحسن التبعّل وتربية الأولاد قد تضاعفت أكثر من الأزمنة السابقة بسبب انتشار الفتن والإغراءات ...

فقبل مائة عام كن لما يخرجن خارج المنزل، يخرجن محتشمات مستورات، ولا توجد وسائل إعلام لنشر الفتن والفساد، ولذا كانت الناس محتفظة بالمبادئ والقيّم كالغيرة والحمية والنخوة، والأولاد كانوا يتأثرون بالأسرة أكثر من تأثير البيئة -التي سابقاً كان فيها انحراف قليل- بينما في الآونة الأخيرة، انحرفت البيئة وصاروا

يتجاهرون بالفسق والفجور ويرفعون أعلاماً للمناشدة بالشذوذ الجنسي والحث على تغيير الجنس باسم الجنّدرية، وانتشر الزنا والتبرج والسفور والعري وسماع الأغاني والمخدرات وغيرها ولذا صارت الأم تحتاج إلى بذل جهود تربوية كبيرة لتتمكن من تربية أولادها تربية إسلامية وفق نهج محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وتحتاج إلى ذكاء عاطفي لتكسب ودّ زوجها وتحافظ على أسرتها من الانهيار في ظل التداعيات العالمية.

ولكن لو خرجت المرأة للعمل خارج المنزل لمدة ست ساعات أو أكثر، فهذا يعني أنها خسرت ابتداءً من مصدر طاقتها ما يقارب ٦٠-٧٠٪ فلم يتبقَ لها إلا ٣٠٪ ..فيا ترى لمن ستعطي هذه النسبة؟ إذا أعطتها لزوجها تكون قد قصّرت مع أولادها، وإذا أعطتها لأولادها تكون قد قصّرت مع زوجها، وإذا أعطتها لتدبير شؤون المنزل تكون قد قصّرت مع الاثنين، وهكذا الحال مع العبادة والراحة وغيرها.

ولذا تضطر المرأة أن تقلل من النسب، فبدلاً من أن تعطي زوجها ٢٠٪ من اهتمامها فقد تعطيه ١٠٪، فيظهر النقص في عدم التجمّل لزوجها، وقد تمنعه حقه في الفراش لكونها متعبة ومرهقة.. ولمّا يجد الزوج زوجته لا تمنحه الحب والاهتمام الكافي قد يدفع هذا بعضهم لعقد علاقات مع نساء أخريات...وفوق ذلك سيوجه أصابع الإتهام إليها بكونها مقصّرة، وأنه المظلوم وهي الظالمة.

والأولاد بدلاً من أن تمنحهم ٣٠٪ للرعاية والتربية ستضطر أن تمنحهم ١٠٪ أو أقل بأن تقتصر على رعايتهم بتقديم الطعام والشراب وعلاجهم، وتترك تربيتهم... فمثلاً لما ترجع للبيت مرهقة ويريد الولد أن يكلمها ويشكي لها مشكلته سترفض سماعه أو قد لا تنتبه له لكونها مشغولة بأمر إعداد الطعام أو غسل الثياب أو تنظيف المنزل... وربما صرخت بوجهه وعنّفته وبالأخص إذا تعرضت لمشاكل في العمل ولم تنل رضا مسؤولها فترجع مهمومة لا تطيق أحداً.

ولذا يضطر الولد أن يلجأ إلى أصدقاء السوء، أو عقد علاقات غير شرعية مع الجنس الآخر لينفّس عن نفسه، ويبدؤن بالانحراف تدريجياً وسيوجهون أصابع الإتهام إلى الأم بكونها مقصّرة، وأنها الظالمة وهم المظلومون.... وتصل المستشارون مئات الحالات من الانحراف، ولمّا يرجعون لجذور المشكلة يجدون أن السبب الرئيسي

هو تقصير في التربية بسبب انشغال الوالدين بالعمل خارج المنزل وبالأخص الأم.

إن المرأة الزوجة والأم حينما فرضت على نفسها العمل خارج المنزل تكون قد ضغطت على نفسها باختيارها، ومن المعلوم أن ضغوطات العمل (Stress) تولد أضراراً نفسية وجسدية.

إن المرأة العاملة - وبالأخص الأم – التي تحاول الجمع بين وظائفها داخل المنزل وعملها خارج المنزل إذا لم تحقق التوازن سيترتب على ذلك أضرار وخيمة نذكر منها الآتي:

١. تدهور الوضع الصحي والنفسي: إن ضغوطات العمل (Stress) تولد آثار وخيمة منها (الآثار الجسدية كحدوث خلل في ضغط الدم وتسارع في ضربات القلب نتيجة للغضب والتوتر المستمر، والشعور بعدم الراحة والخمول والكسل.

ومنها الآثار النفسية كالتوتر والقلق والوصول إلى حد الإحباط وممارسة السلوكيات العدوانية والشعور بالغضب باستمرار والحزن والكآبة وفقدان الأمل والنظر إلى المستقبل بتشاؤم.)[٤٧]

٢.حدوث مشاكل زوجية وما يترتب عليه من آثار وخيمة تؤثر على نفسيتهما وعلى فعاليتهما في الإنتاج وقد تؤدي الى ما لا يحمد عقباه حينما يؤول الأمر الى الطلاق العاطفي أو الحقيقي.

٣.التقصير في تربية الأولاد، وما يترتب عليه من ضياع وانحراف.

ونحن عندما نأتي للواقع (من الناحية النفسية والحياتية فإن الرجل الذي يقضي أغلب وقته في العمل من أجل النفقة على أسرته من حقه أن يجد في بيته الراحة البدنية والنفسية ليتقوى بهما على أداء مهامه والقيام بمسؤلياته، كما أن الأولاد من حقهم أن يعيشوا في عشّ هادئ جميل وسكن مستقر مطمئن، وأما المرأة فلن تجد راحة حقيقية سوى في مملكتها وسط زوجها وأولادها...)[٤٨]

ولو نسأل المرأة اليوم - بقطع النظر عن كونها مؤمنة أو غير مؤمنة - السؤال

الآتي:

أين تكمن سعادة المرأة؟ هل سعادة المرأة بالوظيفة؟ بالحصول على الراتب؟ ام سعادة المرأة في البيت والزوج والأولاد ؟

الجواب:(إن كل امرأة بفطرتها الإنسانية تميل إلى ثلاثة أمور:

٢.تميل إلى المأوى الذي يأويها ويسندها ويحميها.

٣.تميل إلى ممارسة دور الأمومة... الى أن تكون أمّاً .. وهذه فطرة موجودة في النساء تفوق حتى رغبتها بالحياة الزوجية، حيث كوّن الله سبحانه وتعالى المرأة ذات طبيعة حنونة عاطفية شديدة تهيج فيها المشاعر تحتاج إلى أن تفرغها على أرض الواقع ...وهذه تتمثل في ممارسة دور الأمومة) .[٤٩]

وهذه الثلاثة تحققها المرأة بالزواج وتكوين الأسرة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[٥٠]

وكل امرأة عاقلة تتمنى أن تحقق هذه السعادة وأن لا يتعارض معها ما ينغصها كأن تكون مكرهة على العمل خارج المنزل، ولذا نرى المرأة العاملة تفرح لما تأخذ إجازة من العمل لتتفرغ لأداء دورها في المنزل وترتاح قليلاً وتتنفس الصعداء.. وهذا الذي نطرحه ليس ادعاءً، بل هي حقيقة أخبرنا بها الإسلام وقد صرّحت بها بعض الدراسات والاستبيانات التي أجروها على مجموعة من النساء غير المسلمات.. ولكن الغرب يحاول إخفاء هذه الحقائق لأنها تتعارض مع مصالحهم..ومن تلك الدراسات هو عمل استبانة على عيّنة عشوائية من ١٠٠ امرأة هادفاً إلى معرفة أيّهما تختار: البيت أم العمل؟

فكانت النتيجة أن ٧٤ في المئة من النساء العاملات يحلمن بترك العمل من كثرة ما يعانين فيه، بينما لا تتعدى نسبة اللواتي يحلمن بملامسة آفاق النجاح الـ٢٦ في المئة. يضاف إلى ذلك، أن ٤٧ في المئة من النساء يتمنين أن يتقدم لبناتهن عرسان أثرياء يطلبون منهن البقاء في البيت -لأنه ليست لديهم شريعة إسلامية تفرض النفقة

على الزوج-، مقابل ٢٦ في المئة فقط يتمنين زوجاً منفتحاً لا يمانع في خروج زوجته إلى العمل، ويعللن ذلك بالإشارة إلى أن «المرأة لا تأمن غدر الرجال» [٥١]

قد تعترض إحدى المسلمات بأن زوجها لا ينفق عليها ويتهرب من المسؤولية؟

نقول: إن الخلل في الزوج وليس في الإسلام، فلو طبق المسلمون قوانين الإسلام لما ظُلِمَ أحد. وبعض الرجال صاروا يتهربون من المسؤولية لأنهم وجدوا النساء حريصات على تدبير كل مسؤوليات الأسرة بالعمل داخل وخارج المنزل ولذا استغلوا قناعتهم ورموا الحِمْل عليهن.

المطلب الثاني: كيف نحقق التوازن؟

السؤال الرئيسي الذي وجب علينا التركيز عليه هو :

إذا اضطرت المرأة للعمل خارج المنزل، فكيف تحقق التوازن بين العمل المنزلي والعمل المهني؟

الجواب: لقد ذكرنا أن المرأة العاملة -وبالأخص الأم- إذا لم تتمكن من تحقيق التوازن بين وظائفها داخل المنزل وعملها خارج المنزل فسيترتب عليه أضرار وخيمة..

إن تحقيق التوازن ليس بالأمر السهل، فأغلب النساء لسن قادرات على تحقيقه، فلذا إذا لم تتمكن المرأة العاملة من تحقيقه فوجب عليها الاقتصار على الحدّ الأدنى وهو أداء الوظيفة الزوجية والوظيفة التربوية.

وأما ما يتعلق بتحقيق الموازنة بين عمل المرأة داخل المنزل-المتمثل بأداء الوظيفة الزوجية والتربوية والمنزلية- وبين عملها خارج المنزل.. فإن نجاح الموازنة يعتمد على عدة نقاط نذكر منها ما يلي:

أولاً: مشاركة الزوجين في اتخاذ القرار: فينبغي الاتفاق على هذا الأمر قبل الزواج، ولا يحق للزوج إجبار زوجته على العمل، والمرأة المؤمنة القوية عليها أن تقدّم الوظيفة الزوجية والتربوية والمنزلية على العمل خارج المنزل، ولا تتنازل مهما حاول

إقناعها... وإذا اتفق الزوجان على عمل الزوجة فننصح الزوجة أن تجعله شرطاً في عقد الزواج كي لا تقع بالإشكالات الشرعية عندما تضطر للعمل, وأن يتفقا على الأمور الآتية:

١.أن يؤدي الزوجان الحقوق الزوجية وبالأخص الزوج من تحمّل النفقة والمعاشرة الحسنة وعدم هجرانها، وأن يتفقا على تربية الأولاد معاً .

٢. (مساعدتها في الأعباء المنزلية وإذا كان قادرا على تأمين مُعينة لها فلا يقصّر عليها.

٣. إعطاؤها حريتها في التنقّل بما يتعلق بعملها وما ينتج من عملها من واجبات اجتماعية.

٤. عدم التدخل في تصرفها بمالها إلا إذا سمح لها أن تتدخل في التصرف بماله هو كذلك.

٥. مراعاتها جسديا ونفسيا وخاصة عند الفراش لأن المرأة العاملة تحتاج لوقت حتى تتهيأ نفسيا وتتفنن لِلّقاء.

٦. مساعدتها في تربية الأولاد والمشاركة في تعليمهم والاهتمام بشؤونهم.

٧. تكييف أوقاته حسب أوقاتها ليكون معها في وقت عطلتها وفراغها.

٨. إعطاؤها مساحة في بيتها لتقوم بتجهيز وتحضير شؤون عملها لو كان عملها يتطلب ذلك).[٥٢]

ثانياً: قوة المرأة البدنية والنفسية: إن نجاح المرأة في الموازنة يعتمد(على قوة المرأة فالمرأة القوية نفسياً وبدنياً والتي تستطيع تحمل ضغوطات العمل وكان ذلك لا ينعكس على حالتها النفسية داخل الأسرة ,غير المرأة التي ينعكس عملها على بيتها و على علاقتها بزوجها و أبنائها. وإذا كان خروجها يؤثر عليها، وبالأخص إذا كان لديها اطفال وكانت بحاجة للعمل فإذا أمكنها أن تمارس عملاً وهي بالمنزل ستكون أقدر على تحقيق التوازن كأعمال التطريز أو الخياطة أو الطبخ أو القيام بأحد الأعمال

الأدبية كالتأليف أو التدقيق اللغوي، أو أحد أعمال الحاسوب كالتصميم والترجمة وغيرها.

ثالثاً: معرفة طبيعة العمل نفسه: فالعمل الذي يستهلك جهداً عصبياً و ذهنياً كالعاملة في المصنع أو المهندسة في ميدان العمل غير العمل الأقل جهدا كالتي تعمل خلف المكتب. وأيضا يتوقف على عدد ساعات العمل، فكلما زاد وقت العمل قلّت نسب نجاح الموازنة، فلذا ننصح بتنظّيم وقتها والاقتصار على الحد الأدنى من العمل.

رابعاً: درجة وعي المرأة: تعتمد الموازنة على مدى وعي المرأة بدورها كزوجة و كأم، فالمرأة الواعية بدورها الزوجي والتربوي تعي تماماً مقومات العلاقة الزوجية الناجحة وتعي تماماً مقومات التربية السليمة وأهدافها ووسائل تحقيق هذه الأهداف.... هذه المرأة قد تكون مدة بقائها في المنزل قصيرة و لكنها تكون فعّالة ومؤثرة و مركزة بعكس المرأة غير الواعية التي تجلس الساعات الطوال في البيت بدون أن يكون لها دورا إيجابيا مع أبنائها. فهي مهملة في رعاية زوجها عاطفيا و نفسيا ومهملة في تربية أبنائها فتتركهم نهبا للإنترنت والألعاب الالكترونية، وكل همها التلفاز والهاتف ومواقع التواصل والنوادي والأصدقاء. فليس كل ربّة بيت نجحت في علاقتها الزوجية وفي تربية الأولاد، وليس كل عاملة فشلت في ذلك، بل الأمر يتفاوت حسب وعي المرأة وعزيمتها وقدرتها على تحقيق التوازن.

خامساً: مدى مشاركة الزوج في تحمّله للمسؤولية: إن نجاح الموازنة يتوقف على مدى تحمل الزوج للمسؤولية التربوية والأسرية فالزوج المشارك في ذلك يختلف عن الزوج الذي يلقى بالمسؤولية كلها على عاتق الأم.[٥٣]

ولذا فالزوجة بعد زواجها إذا رأت الزوج بدأ برمي أغلب المسؤولية عليها فلا تتأخر في الانسحاب وترك العمل خارج المنزل وتتفرغ لوظائفها في المنزل لأن الزوج إذا اعتاد على ذلك فسيصعب تغيير عادته، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: « العادة عدو متملك ».[٥٤] وإذا كانت لا تستطيع ترك العمل فلا بدّ من علاج المشكلة بالحوار معه ولو بتوسيط من يؤثر عليه كي لا يتجاوز حدوده.

المبحث الخامس: عمل المرأة الرسالي

إنّ المرأة الرسالية هي أساس الإصلاح الاجتماعي لكونها المرأة الصانعة والمربّية للأجيال الذي غايته من الحياة إنجاز الهدف الذي خلق من أجله وهو تحقيق معنى العبودية لله تعالى، قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٥٥]، والعبودية لله تتمثل بالطاعة المطلقة لله تعالى.

المرأة الرسالية هي المرأة التي تسير على نهج محمد وآله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بأن تعلّم الجيل وتزكيهم كما قال تعالى بحق النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ﴿ .. وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾.[٥٦]

فتزكيتها للجيل بأن تطهرهم من الرذائل كحب الدنيا والحقد والحسد ومن حب الشهوات والهوى، وتعلمهم القيم والمبادئ الإسلامية. وهذا يتحقق فيما لو علّمت وزكّت نفسها ، فإنْ صَلحت صلُح المجتمع وإن فسدت فَسُدَ المجتمع.

فأعظمُ امرأةٍ هي المرأة التي تحمل أهدافاً رسالية، وتسعى لإصلاح المجتمع الذي تمارسه من خلال أدوار متعددة من أبرزها دور الأمومة.

لذا حينما نسلط الضوء على أكمل نساء العالم الأربع اللاتي ذكرهن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: « كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد عَلَيْهَا السَّلَامُ ».[٥٧] نجد أنهن يتمتعن بخصائص مشتركة منها :أن كل واحدة منهن لها دور في حفظ ورعاية حجة من حجج الله تعالى بممارسة دور الأمومة، فآسيا بنت مزاحم حفظت نبي الله موسى ، ومريم بنت عمران حفظت نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ حفظت حجتين وهما زوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وابنتها فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ ، وأما فاطمة فلقد حفظت ورعت ودافعت عن أربع حجج لله تعالى وهم الرسول وعلي والحسنان عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فالمرأة الرسالية هي التي تشعر بأنها أمٌّ لأهلها .. لأولادها ولإخوتها وزوجها ولأبويها كفاطمة التي كناها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أم أبيها، بل هي أمّ لأبناء مجتمعها صغيرهم وكبيرهم، كما أن الرسول وعلي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أبوا هذه الأمة. ونتج من (أمّ

أبيها) ومن علي (أب هذه الأمة) امرأة رسالية عظيمة ضحّت بكل ما تملك من أجل انقاذ أبناء هذه الأمة من الضلال كالأم الحنون، وهي صاحبة الذكرى عقيلة بني هاشم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ التي لم يقتصر دورها الرسالي في إطار أفراد عائلتها بأداء الوظائف الزوجية والوظائف التربوية، بل توسعت في دورها الرسالي وشمل أفراد مجتمعها، فقد (جاء في التاريخ أن جمعاً من رجال الكوفة جاؤوا إلى الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقالوا : إئذن لنسائنا كي يأتين إلى ابنتك ويتعلمن منها معالم الدين وتفسير القرآن. فأذن الإمام لهم بذلك ، فبدأت السيدة زينب بتدريس النساء... ويعلم الله كم عدد النساء المسلمات اللواتي كن يحضرن درس السيدة . . طيلة أربع سنوات أو أكثر .

وذات يوم دخل الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الدار ، فسمع ابنته زينب تتحدث للنساء . في درسها . عن الحروف المقطعة في أوائل السور ، وعن بداية سورة مريم بشكل خاص .

وبعد انتهاء الدرس إلتقى الإمام بابنته وقال لها : يا نور عيني أتعلمين أن هذه الحروف هي رمز لما سيجري عليك وعلى أخيك الحسين في أرض كربلاء ، ثم بدأ يحدثها عن بعض تفاصيل تلك الفاجعة).[٥٨]

والمصداق الأكبر والأعظم لدورها الرسالي تمثّل في النهضة الحسينية، حيث كان لها أدوار متعددة منها: المحافظة على البقية الصالحة-الإمام السجاد والباقر عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ-، ودورها في المحافظة على القيّم والأخلاق رغم محنتها العظيمة، ودورها الإعلامي الذي فضحت فيها إجرام الطواغيت الجبابرة الكفرة طوال مدّة سبيها، بل استمرت تستنهض الناس ليثوروا ضد الظلم حتى لما رجعت للمدينة، ..وهكذا قضت مدة حياتها منذ ولادتها إلى لحظة وفاتها صابرة ناصرة للإسلام مجاهدة وصارت مصداقا لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾. [٥٩]

إذاً فعقيلة بني هاشم مثل أمها كان لها الدور الكبير في إحياء دين الله الذي لولاه لانحرفنا عن طريق الهداية والصلاح..لذا نرفع أسمى آيات التهاني والتبريكات إلى مقام رسولنا الأعظم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آل بيته وإلى مقام مولانا أمير المؤمنين والسيدة الزهراء عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ وإلى مقام مولانا المفدى الإمام صاحب الأمر

والزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء وإلى الأمة الإسلامية الموالية جمعاء بذكرى ولادة عقيلة بني هاشم عَلَيْهَا السَّلَامُ في اليوم الخامس من شهر جمادي الأولى...حيث (وضعت الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ وليدتها المباركة التي لم تولد مثلها امرأة في الإسلام إيماناً وشرفاً وطهارةً وعفةً وجهاداً، وقد استقبلها أهل البيت وسائر الصحابة بمزيدٍ من الابتهاج والفرح والسرور، وأجرى الإمام أمير المؤمنين على وليدته المراسيم الشرعية، فأذّن في أُذنها اليمنى، وأقام في اليسرى.

وحملت زهراء الرسول وليدتها المباركة إلى الإمام فأخذها وجعل يقبّلها، والتفتت إليه فقالت له:سمّ هذه المولودة.... فأجابها الإمام بأدبٍ وتواضعٍ: ما كنت لأسبق رسول الله... وعرض الإمام على النبي صأن يسمّيها، فقال: ما كنت لأسبق ربّي.... وهبط رسول السماء على النبي، فقال له: سمّ هذه المولودة زينب، فقد اختار الله لها هذا الاسم).[٦٠]

فسلام الله عليك يا سيدتي يا عقيلة بني هاشم يومَ ولدّتِ ويومَ مُتِّ ويومَ تُبعثين حيّة

ولله در المؤلف النقدي حيث يقول:

عقيلةُ أهلِ بيت الوحي بنت ... الوصي المرتضى مولى الموالي

شقيقةُ سبطي المختارِ من قد ... سمت شرفا على هامِ الهلال

حكت خيرَ الأنامِ علا وفخرا ... وأخلاقا وفي كرمِ الخلال

ربيبةُ عصمةٍ طهرت وطابت ... وفاقت في الصفاتِ وفي الفعالِ

فكانت كالأئمة في هداها ... وإنقاذِ الأنامِ من الضلال

وكان جهادُها بالليلِ أمضى ... من البيضِ الصوارمِ والنصال

و كانت في المصلى إذ تناجي ... وتدعو اللهَ بالدمعِ المذال

ملائكةُ السماءِ على دعاها ... تؤمنُ في خضوعٍ وابتهال

روت عن أمِها الزهرا علومـــــــــا بها وصلت إلى حدِ الكمـــــــــال
مقـامٌ لـم يكـن تحتـاج فيـه إلـى تعليـمِ علـمٍ أو ســـــــؤال
ونالـت رتبـةً فـي الفخـر عـــــــنها تأخرت الأواخرُ والأوالـــــــي
فلـولا أمُهـا الزهـراءُ ســـــادت نساءَ العالمينَ بـلا جـــــدال

هوسات بمناسبة مولد السيدة زينب الكبرى عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ للشاعر سعيد الفتلاوي:

صعب مثلچ تجيب الامهـــات لان امّچ بتـــــول الزاكيـــات
يزينب يا مثـــــال الطيبـــات سِرچ عند الباري يابت طه والكرار

هلا بْنورچ يبت حيدر واخت عباس تظل گبتچ تشع غصبن عله الارجاس
لان بامر الاله الگبه ماتنجاس ارواح الگبـــتچ نفـــديها

نهني الطاهـــره والهاشميـــين الحسن وحسين والتسعه الميامين
بْولادة زينب وْ خـــير النساوين عالعـــالّم بيـــها اتباهـــينه

ضِوه وْ نوّر جمادي بْمولد الحوراء تهاني الحيدره والطاهره الزهراء
اسم زينب يظل من اجمل الاسماء للمهـــدي اليـــوم مْهـــنينه

١٣ جمادى الأول

شهادة السيدة الزهراء (عليها السلام) على رواية ٧٥ يومًا

الأيام الفاطمية الثانية

السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة

المناسبة

يوم ١٣ جمادي الأولى شهادة السيدة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ

على رواية ٧٥ يومًا

القصيدة: للشيخ عبد الحسين الحويزي

ربيبةُ حُجرِ المصطفى عزَّ شأنُها ... بعلمِ مدى العشرِ العقولِ غمارَها

أقرَّت من الإيمان عيناً بشخصها ... وقد سَلَبَتْ أيدي العداةِ قرارَها

عصائبُ في ليلِ الضَلالِ تسكَّعت ... لإطفاء نور اللهِ تُوقِدُ نارها

صبيحةَ دارَ القومُ حولَ رَواقِها ... وراحت بنار الحقد تُحرقُ دارها

وقد دخلت من غير إذنٍ خباءَها ... وعنها أماطت حُجبَها وستارها

فما أمهل الأقوامُ بنتَ محمدٍ ... تلوثُ عليها مُرطَها وخمارها

إذا كنتَ لم تعلمْ على الطهر ما جرى ... بدار الحمى سلْ بابَها وجدارها

لقد أَسقطت منها الجنينَ بحنَّةٍ ... من الهمِّ تُشجي خُمسها وعِشارها

وريعتْ بوكر القدسِ منها فراخُها ... وأعينُها رعبُ الرجالِ أطارها

فما هجعت عينٌ لها ذاتَ عبرةٍ ... أطالت شجاها ليلَها ونهارها

أَتكسرُ كفَّ البغيِ أضلعَ فاطمٍ ... وما أصلح الإسلامُ منها انجبارها

وفي صدرِها المسمارُ قد ظلَّ ثابتا ... وقد لقيت منها الضلوعُ انكسارها

أفاطمةُ بالسوطِ يسودُّ متنُها ... وأعينُها باللطمِ تُبدي احمرارها

فما بَرِحت مسجورةَ القلبِ بالشجى ... تُصوِّبُ من حمرِ الدموعِ غزارها[٤١]

(مجردات)

يا باب فاطم يمّ الأطـــــــياب السدلت اعليك ايد الهدى احجاب

جيت ارد انشدك واسمع اجواب اعليك اشجره او مترد الأصحـــاب

الكصدوك يوم المصطفى غـــاب واتجسّروا اعله الطهر الأذنـــــاب

او كسروا ضلعها كسر ما طـــــاب او محسن سقط في عتبة الـــباب

واظن ما دره البسمار منصـــــاب صدرها لعد صدر النـــبي صاب

(أبوذية)

علـي بالليل غطـه النعش مـن شـال او مـن شـيّع الزهـره اويـاه مـن شـال

عسنه الـي دفـع للبـاب من شـــــــال الكتلها او فجع لاولاد الزكـــــــــيه [٦٢]

المحاضرة الثانية

دروسٌ عن عفّةِ فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ

روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:
« عليك بالعفاف فإنّه أفضل شِيَمِ الأشراف ». (٦٣)

مباحث الرواية الشريفة

المبحث الأول: معنى العفّة

لقد خلق الله في الإنسان قوى متعددة منها القوّة الشهويّة ويُطلق عليها القوّة البهيميّة لأنّ مقتضاها يشترك فيه الإنسان مع الحيوانات من التلذُّذ بشهوتي البطن والفرج. وفائدة القوّة الشهويّة من أجل الإبقاء على البدن والنسل لكونها تدفع الإنسان نحو الغذاء والنكاح من خلال شهوتي البطن والفرج ليدوم البدن والنسل.

ولكن تحصيل فائدة القوّة الشهويّة لدى الإنسان بنظر الشرع والعقل مشروط بتهذيبها، فلا بُدّ من بذل الوسع لردّها إلى الاعتدال كي تتحقّق غايتها فتزكو النفس ويحيا صاحبها الحياة الإنسانية الّتي هي غاية الخلق. وإلا إذا لم يجاهد الإنسان شهوته ستهلكه لأنها ستدفعه لإشباع بطنه وفرجه من حلال أو حرام، لذا فالشهوة تدفع المرأة لإغراء الرجل بإظهار مفاتنها ومحاسنها أمام الرجال الأجانب ووضع المكياج وتركيب الرموش والأظافر ونفخ الشفاه وارتداء الثياب الضيقة وكشف مناطق من الجسد وإلى النظر المتبادل ما بين الجنسين والمزاح والاختلاط والخلوة وممارسة الفواحش، روي عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: « أكثر ما يلج به أمّتي النار الأجوفان: البطن والفرج ». (٦٤)

إن تهذيب القوة الشهوية يُعدّ من الجهاد الأكبر، فإذا هُذِّبت «القوّة الشهويّة» واعتدلت وصارت تأتمر بأوامر العقل والشرع تُصبح عفيفة، وانتُزع منها معنى في غاية الحسن والفضيلة نُطلق عليه عنوان العفّة.

فالعفّة إذاً هي صفة تلحق نفس الإنسان بعد تهذيبه للقوّة الشهويّة وردّها إلى الاعتدال من غير إفراط فيها ولا تفريط أي من غير شَرَه ولا خمود.

نفهم من ذلك أن العفة مرتبطة بالشهوة، فكل امرأة فيها نقص بعفتها معنى ذلك لديها نقص في السيطرة على شهوتها، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « غلبة الشهوة من أكبر العفاف ».[٦٥]، وروي عنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « العفّة تُضعف الشهوة ».[٦٦]

إن العفة مفروضة على الرجال والنساء، ولكن تركيزها متوجه للمرأة بشكل أكبر لكونها تمثّل عنصر الإغراء، لذا لما نقرأ دعاء الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف لأصناف الأمّة، نجده يذكر كلٌّ بما يُناسبه ويقوّمه ويحتاج إليه، إلى أن يصل إلى الدعاء للنساء فيدعو لهنّ بقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « .. وامنن على النساء بالحياء والعفّة»، فلم يدعُ لهنّ بالتقوى مثلاً أو بالعلم أو بالغنى، وإنّما بالحياء والعفّة، لأنّ هاتين الخصلتين في غاية الأهميّة للمرأة على صعيدها الشخصيّ الذاتيّ في التزامها وورعها وقربها من خالقها، وعلى صعيد صلاح المجتمع الّذي تُشكّل المرأة أحد مكوّناته الأساس، لنتأمل في فقرات دعاء الإمام عج :«.. وتفضّل على علمائنا بالزهد والنصيحة، وعلى المتعلِّمين بالجهد والرغبة، وعلى المستمعين بالاتّباع والموعظة، وعلى مرضى المسلمين بالشفاء والراحة، وعلى موتاهم بالرأفة والرحمة، وعلى مشايخنا بالوقار والسكينة، وعلى الشباب بالإنابة والتوبة، وعلى النساء بالحياء والعفّة... ».[٦٧]

إنّ حياء المرأة وتعفُّفها هما بمثابة المكابح في وجه الشهوة العارمة الّتي قد تجتاح المجتمع فتقضي على كلّ قيمه الإنسانية وتذره مجتمعاً منحلًّا مهشّماً ضعيفاً مهترئاً تطمع فيه الأعداء ويستهين به المتربّصون بالقيم.

إنّ الشهوة عند الرجل بمثابة الدافع القويّ الّذي يجعله يُقدم ويتجرّأ ويقتحم ويتوثّب، ولكنّ المرأة بتعفُّفها وحيائها هي الّتي تكبح جماحه، وتردعه، فتصوَّر لو أنّ المكابح فسدت والوقود يتوهّج بسبب المهيّجات والمثيرات الّتي باتت لا تُحصى عدداً ولا تُدرك كيفاً، والسير بمنحدر سحيق.

ماذا يُتوقّع مع هذا التوصيف للواقع؟! من الطبيعيّ الحكم بالهلاك على الفرد

ويتبعه المجتمع![٦٨]

سؤال: مَنْ هي المصداق الأمثل للرواية؟، أو مَنِ المرأة التي بلغت أعلى مراتب العفة ونالت أفضل شِيَمِ الأشراف؟

الجواب: لما نستقرئ النسوة من الأولين والآخرين فلن نجد أشرف ولا أطهر ولا أزكى من السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بنت رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولقد أثبتت ذلك العديد من النصوص الشرعية منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تطهيرا ﴾[٦٩] ، وبدليل النصوص الروائية التي تدل على أن الله جعلها سيدة النساء من الأولين والآخرين.[٧٠]

فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «.. فأما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ».[٧١]

نعم فالسيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ كانت البنت المثال والزوجة المثال والأم المثال، بل هي المرأة المثال في الإسلام، والقدوة الصالحة لكل امرأة تبحث عن السعادة في كل جوانب الحياة ومنها الجانب التربوي والأخلاقي المتمثل بالعفّة حتى لقبت بالعفيفة، والشريفة، والمحتشمة. وكيف لا تكون كذلك وقد قال في حقها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « لو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم. فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً »[٧٢]

لقد بلغت هذه السيدة الجليلة القمّة في الحجاب والاحتشام، فلا تخرج من البيت إلا والعباءة تستر جميع جسدها من الرأس إلى القدم..وما ذاك إلا لأن الله يحب العفة والحشمة والحياء، وكانت تكره التبرج والسفور أشدّ الكراهية؛ لأن الله يكره ذلك، فهي تعلم أن محبتنا لله ليست مجرد ادعاءات واهية، بل هي اتباع لأوامر المحبوب، قال تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[٧٣]، أضف إلى ذلك فأن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ تعلم ان الله لا يوجب شيئا إلا من أجل جلب منفعة، ولا يحرّم شيئاً إلا من أجل دفع الأذى والضرر عن الفرد والمجتمع، والواقع أثبت أن التبرج هو مفتاح كل رذيلة، وطريق للفجور، ومقدمة للسقوط في الهاوية.

ورغم قصر عمر السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ الذي لم يتجاوز –على أكثر الروايات-

ثمانية عشر عاماً فلقد ذكر لنا التاريخ بعض النصوص التي نستلهم منها بعض الدروس عن عفتها وحشمتها وشرفها الذي لا مثيل له بالكون، وسوف نذكر ستة دروس عن عفة السيدة الزهراءعليها السلام وواجبنا الشرعي يحتّم علينا أن نتخذها قدوةً لنا لأنها ستكون حجةً علينا يوم القيامة.. وحتى نعرف كم نسبة اقتدائنا بها علينا أن نقارن أعمالنا بأعمالها في كل درس فإذا لم نتجاوز فيه الحد الأدنى والخطوط الحمراء التي حددها الشرع فهذا يدل على محبتنا الحقيقية لها والنتيجة أننا سننال شفاعتها وسوف تلتقطنا يوم القيامة كما يلتقط الطير الحب الجيد عن الحب الرديء.

والآن هلموا بنا لنقف على الدروس الفاطمية عن العفة والتي سنطرحها على شكل مطالب في المبحث الآتي:

المبحث الثاني: دروسٌ عن عفةِ فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ

المطلب الأول: العفة بالحجاب الشرعي الكامل

الدرس الأول الذي نستفيده من النصوص التاريخية بأن العفة تتمثل بالحجاب الشرعي الكامل والذي نستنبطه مما ترتديه السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، فقد أورد الشيخ الطبرسي رحمه الله في كتاب الاحتجاج، الجزء الأول، صفحة١٣في باب احتجاج الصدّيقة الطاهرة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ على القوم لمَّا منعوها حقّها الرواية الآتية:

روى عبد الله بنُ الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ بإسنادِه عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: « أنَّه لَمّا أجْمَعَ فلان عَلى مَنْعِ فاطمةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَدَكَ، وبَلَغَها ذلك، لاثَتْ خِمارَها على رأسِها، (أي لفت مقنعتها على رأسها) واشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها (اشتملت أي أسْدَلَت جلبابها أي عباءتها الواسعة فوق ثيابها بحيث جعلتها شاملة ومحيطة على جسدها الطاهر المقدس)، وأَقْبَلَتْ في لُمَةٍ (أي جماعة) مِنْ حَفَدَتِها ونساءِ قَوْمِها (أي أعوانها والخدم لديها) [٧٤]، تَطأ ذُيُولَها » (الذيول جمع ذيل وهو آخر الشيء، وذيل الثوب:ما جُرّ منه إذا أُسبل، ومعنى .تطأ ذيولها. أنّ أثوابها كانت طويلة تستر قدميها فكانت تطأها عند المشي. [٧٥]

الخلاصة: النص الشريف يشير إلى ثلاثة أمور مهمة في لباس مولاتنا السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ وهي:

(١) الثياب الطويلة التي ترتديها تحت العباءة المستفاد من عبارة (تطأ ذُيُولَها)، (٢) الخِمَار أي مقنعة الرأس المستفاد من عبارة (لاثَتْ خِمارَها)، (٣) الجلباب أي العباءة المستفادة من عبارة (واشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها).

وهذا دليل على شدة حرص السيدة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ على عفتها، حيث التزمت بالحجاب الظاهري الكامل بارتداء الثياب المحشومة الطويلة ولبس الخمار وارتدت فوقهن العباءة الفاطمية، فلم تكتفِ بالعباءة عن الخمار ولا العكس، ولم تكتفِ بالثياب الطويلة عن العباءة كما نرى من بعض النساء في زماننا هذا من ارتداء البنطال الضيق والثياب غير المحشومة تحت العباءة وعند أقل حركة للعباءة تنكشف مفاتن المرأة... فهذه دعوة من السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ لنا لننتبه... بالإضافة إلى التزامها بالحجاب الباطني السلوكي المُتمثّل بحجاب الجوارح، وهذا هو الحجاب الشرعي الحقيقي الكامل الذي يفترض على النساء الاقتداء بها...

نعم، إذا كان يصعب على المرأة ارتداء العباءة لظرف ما فجاز لها أن ترتدي من قرنها إلى أخمص قدمها الثياب المحشومة العريضة الساترة غير المزيّنة، وإذا كشفت الوجه والكفين وجب أن تكون بلا زينة.

الآن لتسأل كل منّا نفسها: كم نسبة تطبيقنا لحجاب السيدة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ؟!

المطلب الثاني: العفّة بتجنب الإختلاط

الدرس الثاني عن العفة الذي نستفيده من سيرة السيدة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ هو أن العفة تتحقق بتجنب الاختلاط قدر الإمكان، وسنذكر روايتين بهذا الصدد:

الرواية الأولى: هي نفس الرواية التي ذكرناها في المطلب الأول، فمحل الشاهد مذكور في بقية النص الذي يقول: «...تَطأ ذُيُولَها، ما تَخْرِمُ مِشْيَتُها مِشْيَةَ رَسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، حَتّى دَخَلَتْ عَلى أَبي بَكْر وَهُو في حَشْدٍ مِنَ المهاجِرين والأَنصارِ وَ غَيْرِهِمْ فَنيطَتْ دونَها مُلاءَةٌ، فَجَلَسَتْ، ثُمَّ أَنَّتْ أَنَّةً أَجْهَشَ القومُ لها بِالْبُكاءِ. فَارْتَجَّ

الْمَجلِسُ ... إلى نهاية الحديث ». [٧٦]

إن معنى العبارة « فَنيطَتْ » أي عُلّقتْ، « دونَها مُلاءَةٌ » أي إزاراً كبيراً واسعاً يحجبها عن الرجال... ومضمونها أن السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ لما أرادت أن تخطب في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -تلك الخطبة التاريخية الخالدة- ضربوا لها ستاراً في المسجد، فجلست عَلَيْهَا السَّلَامُ مع نساء قومها في جانب، بينما جلس الرجال وهم من المهاجرين والأنصار في الجانب الآخر.

ويحمل هذا الستار عدة معانٍ منها : أنه رفض عملي للإختلاط الذي نهتنا عنّه الشريعة والذي يدعو إليه أعداء الإسلام والفسقة والمفسدين، وأيضاً أنه تطبيق لقانون الحجاب، حيث أنه حائل وفاصل بين الجنسين، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [٧٧]

أمّا **الرواية الثانية :** فمضمونها يقول بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلتفت - ذات يوم - إلى أصحابه، وطرح عليهم السؤال التالي: أيُ شيءٍ خيرٌ للمرأة؟

فسكت الأصحاب.. لأنهم لم يعرفوا بالضبط الجواب الصحيح لهذا السؤال، وكأنه بدأ يراود أفكارهم: أي شيء خير للمرأة؟ المال؟ الجمال؟ الزواج؟ كما تعتقد بذلك اكثر نساء هذا الزمان ...أم أنّ هناك أمراً آخر؟

وسمعت السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ بهذا السؤال، فأرسلت إلى أبيها من يقول له: «خير للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل» - (طبعاً المقصود بالرجل هو الرجل الأجنبي)، بمعنى خير للمرأة أن ترفض السفور والخلوة والاختلاط المحرم-

وبقي الصحابة بانتظار ردّ النبي: ماذا سيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إزاء هذا الجواب من ابنته المعصومة؟، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَتْ.. إنها بضعة مني». [٧٨]

وفي رواية أخرى: إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما سمع جوابها « فضمها إليه وقال: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ [٧٩]، أي أن جوابها وفكرها وكلامها وكل أفعالها هو نابع من صميم الحق ومن واقع الإيمان، كيف وهي التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها.

وبهذا الجواب أعلن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لكلِ امرأة في العالم أن خير المرأة في الحجاب هو تجنب الاختلاط مع الرجال الأجانب قدر الإمكان، ولكن لو حصل اختلاط بسبب ظرف معين كالخروج للعمل للحاجة المادية، أو لحاجة المجتمع للتخصص العلمي وكالذهاب للحج وكالحفاظ على الدين، فهنا لزم عليها أن تلتزم بكل الضوابط الشرعية المختصة بالعفة والحجاب، وأن تأمن على نفسها من الوقوع في الحرام.

وتفصيل ذلك يذكره الفقهاء ومنهم سماحة السيد السيستاني (دام ظله) بأن: (الاختلاط لا يجوز إذا كان يؤدّي إلى الإخلال بشيءٍ ممّا هو وظيفة المرأة تجاه الرجل الأجنبي من حيث الحجاب وترك ترقيق الصوت وتحسينه عندما تستدعي الضرورة التكلّم مع الرجال الأجانب، وعدم التطرّق إلى المواضيع التي لا يناسب الحديث عنها، وأخذ جانب الحشمة في الكلام، والتحلّي بالحياء والتجنّب عن النظر واللمس المحرّمين، وعدم التأثّر بما يحيط بها من أجواء التحلّل والانحراف وغير ذلك، ولا يجوز الاختلاط أيضاً إذا كانت لا تأمن على نفسها من الوقوع في الحرام، وأما مع الأمن فلا بأس من ذلك على كراهة. ومع هذا الأولى الاجتناب عن المخالطة مطلقاً لما يلزمها عادةً من تجاوز الحدود الشرعيّة والآداب الاجتماعيّة التي ينبغي مراعاتها). [٨٠]

قد ترد تساؤلات عديدة حول هاتين الروايتين، نذكر منها ما يلي:

التساؤل الأول: قولها عَلَيْهَا السَّلَامُ (خير للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل) يتناقض مع ذهابها مع ثلّة من نساء بني هاشم الى مسجد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لمطالبة أبو بكر بفدك وهو جالس مع جماعة من المهاجرين والأنصار وألقت خطبتها الشهيرة، في حين أننا نعلم أيضاً أن صوت المرأة عورة !!

الجواب: قول الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ: « خير للمرأة ان لا ترى رجلاً ولا يراها رجل » لا يعني يحرم على المرأة أن ترى الرجل أو أن يراها حتى لو كانت محتشمة فالرواية لا تحرم الاختلاط -بشكل مطلق-، بل معناه الأفضل والأحسن للمرأة أن تتجنب الاختلاط بأن (لا ترى رجلا ولا يراها رجل، وذلك في الأوقات والحالات الطبيعية العادية، وأما في الأوقات والحالات الضرورية التي تتطلبها مقتضيات الحياة فلا ، كخروجها لصلة أرحامها أو ذهابها إلى الطبيب لمعالجتها وغير ذلك، بل قد يتوجب

عليها الخروج بسبب الحفاظ على الدين وضرورياته، ولا ضرورة أوجب من الدفاع عن الإمامة، وعن مظلومية إمام اغتصبت فيه الخلافة، كما فعلته السيدة الزهراء، عَلَيْهَا السَّلَامُ وذلك لتبيين الحقائق للأمة الإسلامية، وعليه فلا تناقض في ذلك .[٨١]

وأما ما يتعلق بصوت المرأة فهو ليس بعورة، لذا شرعاً (يجوز لها إسماع صوتها للأجانب، إلا مع خوف الوقوع في الحرام. نعم لا يجوز لها ترقيق الصوت وتحسينه على نحو يكون عادة مهيَّجاً للسامع، وإن كان مُحْرِماً لها [٨٢]، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾.[٨٣]

التساؤل الثاني: بعض الفتيات والنساء متأثرات بالغزو الثقافي الغربي ويقلن: إن مقولة السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ (خير للمرأة ان لا ترى رجلاً ولا يراها رجل) منحصرةٌ بنساء عصرها، وبعضهم يقول أن سند الرواية ضعيف!

الجواب سنطرحه بالنقاط الآتية:

أولاً: إن هذه المقولة ليست منحصرة بعصر السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ بل هي شاملة لكل زمان ومكان للأسباب الآتية :

١. إن السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ هي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وليست سيدة نساء عالمها فقط، ولذا فواجبنا الاقتداء بأقوالها وأفعالها، بالإضافة إلى أنها عَلَيْهَا السَّلَامُ حجّة على كل النساء إلى قيام الساعة، روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديث طويل: « ولقد كانت عَلَيْهَا السَّلَامُ مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجنِّ والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة » .[٨٤]

٢. إن حديث السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ مطلق وغير مقيد، فهي لم تقل: (خيرٌ لنساء عصرنا أن لا يرين رجلا ولا يراهن رجل) والتقييد بدون دليل مخالف لظاهر النص.

٣. إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما سمع هذه المقولة من السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ أمضاها حينما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:« صَدَقَتْ، إنها بضعة مني ».[٨٥]

ومعلوم أن إِمْضَاء المعصوم يعدّ تشريعاً وهو حجّة علينا، فحلال محمد حلال إلى

يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة، لذا فالمقولة تشملنا حتماً.

من أجل ذلك فهذه الأفضلية والاستحباب في تجنب الاختلاط ثابت الى يوم القيامة.

ثانيـاً: لا توجد حكمة من تقييد المقولة بزمن التشريع، بل العكس إن الحكمة تستلزم الإطلاق والعموم لكون نساء آخر الزمان بصريح الروايات يتعرضن إلى انحرافات متنوعة بسبب الاختلاط المحرّم، منها ما رواه الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: سمعته يقول: «تظهر في آخر الزمان واقتراب الساعة. وهو شرّ الأزمنة. نسوة كاشفات عاريات، متبرّجات، خارجات من الدين، داخلات في الفتن، مائلات إلى الشهوات، مسرعات إلى اللذّات، مستحلّات للمحرّمات، في جهنّم خالدات». (٨٦)

ثالثـاً: إن ردّ الأحكام ورفضها لكونها قد شرعت في زمان غير زماننا سوف يستلزم منه رفض الشريعة بأكملها منذ سنين، إن هذا المعنى مرفوض حتماً، فقد روي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾؟ فقال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المنذر وعلي الهادي، يا أبا محمد هل من هاد اليوم؟ قلت: بلى جعلت فداك ما زال منكم هاد بعد هاد حتى دفعت إليك، فقال: رحمك الله يا أبا محمد لو كانت إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل، ماتت الآية، مات الكتاب ولكنه حيّ يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى». (٨٧)

رابعـاً: إن هذه المقولة لا يمكن رفضها حتى لو كان سندها ضعيفاً (لأن الحديث الضعيف ليس معناه عدم صدوره من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والمعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ولكن معنى ذلك أنه لا يمكن إثبات صحته من بعض القرائن فبالنسبة للحديث توجد قرائن قوية قد نستفيد منها صحة الصدور من قبيل اعتماد علمائنا في كتبهم عليه والاهتمام بنقله وضبطه وإفتاء بعضهم بمضمونه فكل ذلك يقوي الحديث ويجعله مقبولا إضافة الى قوة متنه فأنه يحث على العفة والأخلاق للمرأة وهذا ينسجم تمام الانسجام مع روح الإسلام والشريعة التي تحث على المحافظة على المرأة بأعلى الدرجات والوقاية من الانزلاق الأخلاقي) (٨٨)، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا

سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[٨٩]، وقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[٩٠]، وقبل أن ننتقل للدرس الثالث وجب علينا أن نحاسب أنفسنا في مدى تطبيقنا لهذا الدرس الفاطمي!!

المطلب الثالث: العفة بحجب الإغواء

الدرس الثالث عن العفة الذي نستفيده من سيرة السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ هو مضمون الرواية الآتية: رُوي أن السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ كانت جالسة عند أبيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذ استأذن عليه ابن أم مكتوم - وكان رجلاً أعمى قد فقد بصره- وقبل أن يدخل على النبي قامت السيدة الزهراء وغادرت الغرفة وعندما انصرف ابن أم مكتوم عادت السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ لتدخل على أبيها مرة ثانية وهنا سألها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن سبب خروجها من الغرفة مع العلم أن ابن أم مكتوم لا يبصر شيئاً قائلاً لها: « لِمَ حجبته وهو لا يراك؟ »، سألها النبي عن السبب - وهو يعلم ذلك - لكي تجيب بدورها على هذا السؤال ويكتب التاريخ هذا الحوار الإيماني ليبقى مثالاً رائعاً طوال الحياة .

فقالت عَلَيْهَا السَّلَامُ: « يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشم الريح » - أي يشم رائحة المرأة-.

فأُعجب النبي الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بهذا الجواب -الذي يتفجر عفةً وشرفاً- من ابنته الحكيمة، ولم يعاتبها على هذا الالتزام الشديد بالحجاب، بل شجعها وأيَّدها وقال لها: « أشهد أنك بضعة مني ».[٩١]

والآن سنطرح الأسئلة التي قد تتبادر في أذهان بعضكم وهي كالآتي:

السؤال الأول: ما المقصود من قول فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ (إن لم يكن يراني فأنا أراه)؟

الجواب: بعد التأمّل التام نجد أنّ السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ تريد أن تعطينا درساً بوجوب حجب الإغواء عن كلا الجنسين-عدا الزوج-، فمن المعلوم أن الرجل يتأثر بمفاتن المرأة ومحاسنها عند النظر أو اللمس أو الشم أو الكلام أو السمع، وكذلك الحال مع المرأة ولذا فرض الله على كليهما الالتزام بأحكام العفة كغض البصر، قال

تعالى مخاطباً الرجال:﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾[٩٢]، فإذا كان الرجل أعمى، ولكن المرأة التي تنظر إليه تبصر، فتكليفها لا يرتفع بعماه، (إذ لا خصوصية للبصير نظراً إلى أن العبرة بنظر المرأة نفسها لا بنظر الرجل) [٩٣]، لذا أمرتها الشريعة بغض البصر منه، قال تعالى:﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ [٩٤]

السؤال الثاني: إن السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ كان بإمكانها البقاء وغض البصر ما دامت محتشمة، بل الشريعة أجازت النظر للرجل، فلماذا غادرت الغرفة ؟!!

الجواب: إن الشريعة لم تجيز النظر إلى الرجل بشكل مطلق، بل الأمر فيه تفصيل قد ذكره فقهاؤنا ومنهم سماحة السيد السيستاني(دام ظله)حيث قال: يحرم على المرأة النظر إلى بدن الرجل الأجنبي- أي ليس من المحارم- بتلذذ شهوي-أي تلذذ جنسي شهوي- أو مع الريبة- الريبة معناها خوف الافتتان والوقوع في الحرام، أي إذا خافت من أن يترتب على نظرها للرجل الوقوع في الحرام كخوفها من الشعور بشهوة فوجب عدم النظر-.

قد تقول إحداكن: إذا كانت المرأة لا تنظر للرجل بشهوة وريبة، فهل جاز لها النظر المطلق؟

الجواب يُكمله سماحته في نفس المسألة قائلاً: بل الأحوط لزوماً أن لا تنظر الى غير ما جرت السيرة على عدم الإلتزام بستره كالرأس واليدين والقدمين ونحوها وإن كان بلا تلذذ شهوي ولا ريبة-بمعنى يجوز لها النظر إلى الأماكن المتعارف كشفها كالرأس واليدين والقدمين، وأما غير المتعارف كشفها كالصدر والبطن والأفخاذ فلا يجوز النظر إليها-، وأما نظرها الى هذه المواضع-المتعارف كشفها- من بدنه من دون ريبة ولا تلذذ شهوي فالظاهر جوازه، وإن كان الأحوط -استحبابا- تركه أيضاً. [٩٥]

خلاصة الحكم: إن المرأة إذا كان نظرها من دون شهوة وريبة جاز لها النظر إلى وجه الرجل الأجنبي، وإن كان الأحوط استحباباً تركه...فنفهم من ذلك أن السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ كانت تتمكن من النظر لوجه الأعمى أو ان تغض بصرها عنه وتبقى في مكانها ولكنها رفضت وغادرت الغرفة لا لكون الحكم واجباً بل مستحباً، ومعلوم أن السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ تلتزم بالمستحب كالتزامها بالواجب، لكونها

بلغت القمّة في إيمانها وعفتها وهي صاحبة المقولة « خير للمرأة أن لا ترى رجلاً ... ».

ونفس هذا الامتحان قد تعرضت له بعض نساء النبي ولكنهن فشلن فوبخهن، فقد روي عن أحمد بن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: إستأذن ابن أُم مكتوم على النبي ﷺ وعنده عائشة وحفصة، فقال لهما: «قوما فادخلا البيت». فقالتا: إنّه أعمى. فقال: «إنْ لم يركما فإنّكما تريانه»[٩٦]

السؤال الثالث: ما الحكمة من التستّر والاحتجاب من الرجل الأجنبي؟

الجواب: إن الحِكَمَ عديدة منها : أن الالتزام بأحكام العفة سيحافظ على طهارة قلوبنا من التلوث، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[٩٧]، فالآية لم تقل ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ ﷺ وسكتت عن قول ﴿ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ حتى يَحْتمِل بعضهم بأن الوقاية مختصة بالرجال دون النساء، بل الوقاية لزم أن تشمل كلا الجنسين.

بعبارة أخرى: إن الالتزام بأحكام العفة (من التستر والحجاب، وترك الزينة والتبرّج، وغض البصر، وترك الملامسة والمزاح وترك المحادثة والخلوة ..إلخ) يخلق في أنفسنا رادعاً يحجزنا عن ارتكاب المعاصي مع الرجل الأجنبي...فإذا كان الله تعالى قد ابتلى الأعمى بفقد بصره عن طريق الصبر، فأن الله ابتلانا بنعمة البصر عن طريق الشكر المتحقق بغض البصر وعدم النظر إلى ما حرّمه الله تعالى، وهكذا مع بقية الحواس.

وأما المصداق الآخر للدرس الثالث -بأن العفة تتحقق بحجب الإغواء- فنستفيده من نفس الرواية في ذيل قولها عَلَيْهَا السَّلَامُ « إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشم الريح »، فقولها « وهو يشمّ الريح » أي بغض النظر عن كونه أعمى وأنني أراه، ولكن حاسة شم الأعمى سليمة لذا فهو قادر على أن يشم ريحي، وهذا قد يكون سبباً في وقوعه في الفتنة. ولقد وردت روايات تنهى عن التعطر أمام الرجال الأجانب، فقد روي عن الإمامين الباقرين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: « ولا يجوز لها أن تتطيّب إذا خرجت من بيتها ».[٩٨]

ربما يعتقد بعضهم أن السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ كانت تضع عطراً قبل دخول الأعمى، ولذلك غادرت غرفتها!!

نقول: هذا الفرض محتمل لأن يجوز للمرأة أن تتعطر في دارها ولكن يقول الفقهاء إذا تعطرت المرأة وشمه الرجل الأجنبي وكان تعطرها بقصد إثارته وافتتانه فلا يجوز، وكذلك إذا كان يترتب عليه الافتتان والإثارة ايضاً لا يجوز وأما في غير هاتين الصورتين فلا بأس.[٩٩]

ولكن ليس بالضرورة أن تكون السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ قد وضعت عطراً فخافت أن يشمه الأعمى فغادرت الغرفة، بل قد يكون السبب لخوفها من أن يشم ريحها الطبيعي لأن لكل إنسان رائحة خاصة به ولو لم يتعطر، وهذا ما أفاده العلم الحديث بأنه لكل إنسان رائحة تميزّه عن غيره من سائر البشر تماما كبصمات الأصابع، والسبب في عدم شعورنا بهذه الرائحة هو اعتيادنا عليها، وهي تأتي للإفرزات الكيميائية للجسم المعروفة بـ pheromones والتي تمنح الرائحة للكائنات الحية ومنها الأنسان، و من هنا تستخدم الكلاب البوليسية، بما أوتيت من قوة حاسة الشم في تعقب المجرمين، و يتفق ذلك تماما مع ما جاء في سورة يوسف من أن الله تعالى قد اختص نبيه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه القدرة في قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾.[١٠٠]

والسيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ -كما تذكر الروايات- لها خصوصية في عطرها لكونها الحوراء الأنسية ،فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « كلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممتُ ريح ابنتي فاطمة ».[١٠١]، ولذا يحتمل أنها غادرت كي لا يشم ريحها الزكي.

قد يعترض أحدكم: بأن الأمر لو كان صحيحاً لما تكلّمت السيدة فاطمة ؟ مع بعض الرجال الأجانب في ظروف معينة!!

ونردّ عليه بأن الأعمى يتمتع بحواس أقوى من البصير بكونه يتمتع بحاسة سمع وشم قوية، وهذا ما أثبته العلم الحديث، ولذا فعطرها المقدس لا يشمونه.

وقبل أن ننتقل للدرس الرابع وجب علينا أن نحاسب أنفسنا في مدى تطبيقنا لهذا الدرس الفاطمي!! هل كان ارتداؤنا للحجاب من أجل حَجْب الإغواء أم من أجل الإغواء؟!

إن كل امرأة ترتدي الثياب غير الساترة، والضيقة أو تضع المكياج وتركّب الرموش أو تنفخ الشفاه وتركّب الأظافر أو تصبغها وتستعمل الأكسسوارت وأدوات الزينة... فهي لم تقتدِ بالزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ بل اقتدت بهند آكلة الأكباد وستحشر معها.

المطلب الرابع: العفة بالدفاع عن الحجاب الشرعي

الدرس الرابع الذي نستفيده من سيرة السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ هو دفاعها عن حجابها الشرعي وعن أحكام الله وإن استلزم منه التعرض للأذى.

جميعنا يعلم بأحداث قصة الهجوم على دار السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ من قبل الأول والثاني وأتباعهم الظالمين فرغم أنهم علموا أن السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ في الدار لكنهم تعمدوا الهجوم بلا استئذان فما كان منها إلا أن لاذت وراء الباب رعاية للستر والحجاب رغم أن الخمار على رأسها، بل الذي يتأمل النصوص الواردة بشأنها وبعصمتها وبكونها أعظم الناس شرفا لا يستبعد كون وجهها مستوراً أيضاً وإن كان عن طريق يدها أو كُمُّها -مدخل اليد ومخرجها من الثوب-... وعندما نأتي لابنتها زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ يذكر (يحيى المازني قال : كنت في جوار أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في المدينة مدة مديدة و بالقرب من البيت الذي تسكنه السيدة زينب ابنته فلا و الله ما رأيت لها شخصا و لا سمعت لها صوتا، و كانت اذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تخرج ليلا و الحسن عن يمينها و الحسين عن شمالها و أمير المؤمنين أمامها فاذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخمد ضوء القناديل فسأله الإمام الحسن مرة عن ذلك فقال أخشى أن ينظر أحد الى شخص اختك زينب)[١٠٢]، وفي واقعة الطف رغم أن الأعداء سلبوا ما يستر وجوههن إلا أنها أبت أن تكشفه لهم، لذا من باب أولى أن تفعل ذلك سيدتها وسيدة نساء العالمين الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ.... نعم إن السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ لاذت وراء الباب لأنها لا تريد أن يروا حتى خيالها.

وأما أبرز الأسئلة التي تطرح حول هذه الرواية فهي كالآتي:

السؤال الأول: هل صحيح ما قاله الشاعر: (قال سليمٌ قلتُ يا سلمانُ/هل دخلوا ولم يكن استئذانُ/فَقَالَ إِي وعِزَةِ الجبـارِ/وما على الزهراءِ من خمارِ)، وكيف تكون الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ بدون حجاب وفي بيتها سلمان المحمدي رضوان الله عليه؟

الجواب: (إن هذه الأبيات هي للشاعر العلامة الفقيه السيد محمد بن السيد مهدي القزويني حيث ذكر هذه الأبيات بناء على ما ذكره سليم في كتابه سليم بن قيس الكوفي حيث ورد فيه انه سأل سلمان (رض) وأجابه بما أفاده الشاعر .

ونرد على السؤال بالنقاط الآتية:

أولاً: إن ما ورد في كتاب سليم ليس كله محل قبول فهو كبقية كتب الروايات يعرض للتنقيح والبحث والتنقيب سنداً ومتناً فما أمكن قبوله نقبله وما لم يمكن أن نقبله فإنه يترك العمل به). [١٠٣]

ثانيـاً: إن الأبيات الشعرية التي يطرحها الشعراء ليست حجّة، بل الحجّة هو قول المعصوم وفعله وتقريره، فما يكتبه الشعراء في أشعارهم بأن السيدة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ لم يكن عليها خمار هي قضية وجدانية عاطفية لا على نحو الحقيقة، وإلا لا يوجد دليل يثبت ذلك.

ثالثـاً: إن كلام سلمان رضوان الله عليه لا يلازمه أنه مطلع عليها وإنما يكتب لسان حاله وكأنه موجود وقت حدوث الهجوم وهو ينظر إلى السيدة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ ويصف حالها.

السؤال الثاني: من المعلوم أن السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ قد أخبرها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بما سيجري عليها من قبل الشيخين، فلماذا لاذت وراء الباب ولم تبتعد عنها لتتجنب الأذى؟

الجواب سنطرحه بهاتين النقطتين:

١. إنّ أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومنهم السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ كانوا مجبورين في حياتهم الشخصية وأمام الأحداث والظواهر على العمل بعلمهم العادي المتأتّي من العلل الطبيعية، والأسباب المتداولة المتوفرة للجميع، وكان ظرفها عَلَيْهَا السَّلَامُ قبل لحظة هجوم الأعداء أن تخاطبهم من خلف الباب لكونها الأقرب، فلما رفسوا الباب انحصرت -روحي لها الفداء- ما بين الحائط والباب وجرى عليها ما جرى...

فالعلوم المودعة عند حجج الله بما سيجري عليهم لا يستغلونها لعمل ما يدفع عنهم الأذى لأنه قد تكون المصلحة بالصبر لحفظ الإسلام ولكشف القناع عن أعداء آل البيت، ولذا يؤدون تكليفهم كمن لا علم له، ألا ترى أنّ الشرطة مجهّزون بأسلحة كالمسدس والرشاش، ولكن لا يحق لهم استخدام هذه الأسلحة إلاّ في مواقف خاصة وعندما يسمح لهم بذلك وليس في الأمور الشخصية والأعمال العادية.[١٠٤]

٢. لتكون قدوةً لنا بأن على المرأة أن تكون مستعدة للتضحية بكل شيء من أجل الحفاظ على عفتها وكرامتها، لذا وجب تحمّل كل أنواع الأذى رعاية للستر والحجاب.

ففاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بدفاعها عن الحجاب والذي كانت ضريبته أن تُعصر خلف الباب ويكسر ضلعها ويسقط جنينها ويُلطم خدّها صارت حجّةً على كل امرأة في العالم بأن تكون عفيفة قوية ثابتة على تطبيق أحكام الله حتى لو تعرضت لانتقادات من قبل الكفرة والمنحرفين .. بل حتى لو فرضوا أن قوانينا تمنع الحجاب.. فوجب عليها المقاومة والتحدّي ولو ترتب عليها الهجرة من البلد، لأنه لو لم تفعل سيقال لها يوم القيامة: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[١٠٥]، علماً أن تنازل المرأة عن عفتها وحجابها ورضاها بأن تَعْرض نفسها للرجال الأجانب كالجارية في سوق النخّاسين يترتب عليه فقدان المرأة لكرامتها وعزتها وحريتها ورضيت أن تكون أَمَةً لهم- الأَمَةُ : جارية، امرأةٌ مملوكة عكسها حُرَّة-، ومع ذلك لن يرضوا عنّها، قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[١٠٦]

المطلب الخامس: العفّة بعد الموت

الدرس الخامس الذي نستفيده من سيرتها الشريفة أن العفيفة تفكّر بعفتها لا فقط حال حياتها بل حتى بعد مماتها، فالسيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ هي أول من جُعل لها النعش، فقد روي عن أسماء بنت عميس أن السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ قالت لها: « إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء، إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى، فقلت: يا بنت رسول الله أنا أصنع لك شيئا رأيته بأرض الحبشة، قالت: فدعوت بجريدة رطبة- الجريدة : سَعَفةٌ طويلة تُقَشَّر من خُوصها - فحبستها- في البحار: فحسنتها- ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله، لا تعرف به المرأة من الرجل، فإذا مت فاغسليني أنت - إلى أن قال - فلما ماتت عَلَيْهَا السَّلَامُ غسلها علي وأسماء ».[١٠٧] إن السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ التي بلغت القمّة في عفتها والتي رفضت أن يراها رجل في حياتها كرهت أن يرى تفاصيل جسدها الطاهر رجلٌ بعد مماتها لكون الميت في ذلك الوقت كان يوضع على مسند خشبي مفتوح من الجوانب ولذا الذي ينظر إليه سيعرف أبعاد الميت، وهي لا تريد أن تنطبع هذه الصورة في أذهان الرجال حتى بعد مماتها، ولذا طلبت أن يصنع لها النعش الذي يستر جسم الميت.

المطلب السادس: العفّة في الآخرة

الدرس السادس الذي نستفيده من روايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والذي له علاقة بالعفة هو تجسّد العفة إلى نور ساطع يوم القيامة يستر فيه المؤمن ويفتخر به على الآخرين، فقد روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال لأبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: جعلت فداك يا بن رسول الله، حدثني بحديث في فضل جدتك فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك، قال أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ : حدثني أبي، عن جدي، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال: « إذا كان يوم القيامة . إلى أن قال . فيقول الله تعالى: يا أهل الجمع، إني قد جعلت الكرم لمحمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة، يا أهل الجمع، طأطئوا الرؤوس، وغضوا الأبصار، فإن هذه فاطمة تسير إلى الجنة ... فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت، فيقول الله: يا بنت حبيبي، ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي؟ فتقول:

يارب، أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم. فيقول الله: يا بنت حبيبي، إرجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحدٍ من ذريتك خذي بيده فأدخليه الجنة. فقال أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: والله .يا جابر، إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الردئ.. ». [١٠٨]

السؤال الأخير الذي سنطرحه هو: لماذا النداء يأمرنا أن نطأطئ رؤوسنا ونغض أبصارنا عند مرور السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ونحن نعلم أنها محتشمة، بل من المعلوم أن يوم القيامة ليس دار تكليف فما الضرر لو وقع النظر عليها عَلَيْهَا السَّلَامُ ؟

الجواب نطرحه بالنقاط الآتية:

١.إن سقوط التكليف في الآخرة لا يعني أن الإنسان له الحرية في ممارسة ما يشاء كالنظر لمن يشاء... بل هناك مراتب لا يستطيع بعض المؤمنين من الوصول إليها أو الاطلاع عليها لاختلاف درجاتهم الإيمانية.

٢.إن الأمر بطأطأة الرؤوس وغض الأبصار هو لأن أبصارنا عاجزة عن النظر لنور السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ. فمن المعلوم أن المؤمن يوم القيامة يستتر يوم القيامة بإيمانه الذي سيتجسد بصورة نور، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾[١٠٩]، وروى أن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ سألت أباها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « كيف يكون الناس يوم القيامة ؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : إنهم يشغلون بأنفسهم فلا ينظر أحد الى أحد ولا والد الى ولده ولا ولد الى أمه. فقالت عَلَيْهَا السَّلَامُ : هل يكون أكفان إذا خرجوا من قبورهم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : يا فاطمة تبلى الأكفان وتبقى الأبدان تستر عورة المؤمن وتبدو عورة الكافر. قالت : يا أبة ما يستر عورة المؤمن ؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : نور يتلألأ لا يبصرون أجسادهم من النور ». [١١٠]

ونور المؤمن يوم القيامة تتناسب شدته مع درجة الإيمان، فكيف بمن بلغت الدرجات العلى في الإيمان والعمل الصالح !! فبالتأكيد سوف يشغل مساحة أكبر وسيكون نورها أشد ..وبالأخص نور السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ لدرجة لا يقوى البشر على النظر إليها مباشرة، كامتناعنا عن النظر المباشر لعين الشمس في الدنيا...لذا

طُلب منا أن نغض ابصارنا، بل ونطأطئ رؤوسنا لعظمة نورها الذي ربما يخطف الأبصار.

فالسيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ واحدة من أهم أسمائها وألقابها «الزهراء»، روي عن أبي هاشم العسكري قال: سألت صاحب العسكر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «لِمَ سمّيت فاطمة «الزهراء» عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ؟ فقال: «كان وجهها يزهر لأمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أوّل النهار كالشمس الضاحية، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند غروب الشمس كالكوكب الدرّيّ». [١١١]، فالزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ كانت تزهر في الدنيا، ولقد أدرك نورها بعض عوام الناس حيث تذكر بعض الروايات بأن عائشة قالت: «كنّا نخيط، و نغزل، و ننظم الأبرة باللّيل في ضوء وجه فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ». [١١٢]

فإذا كان نورها له أثر في الدنيا رغم وجود الحُجب على الرائي..فكيف سيكون النور في الآخرة بعد كشف الغطاء وصيرورة البصر حديد؟ بالتأكيد سيكون نوراً ساطعاً لا يتحمل أحد النظر إليه إلا من أقدره الرحمن كأبيها وبعلها وبنيها صلوات ربي عليهم أجمعين.

٣. إن فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ قد بلغت القمّة في عفتها وحيائها في الدنيا، وهذه العفة سوف تتجسد في الآخرة بأن يطأطئ الجَمْع يوم القيامة رؤوسهم ويغضوا أبصارهم تقديرا واحتراما لهذه القديّسة العفيفة التي جهلت الناس قدسيتها وقدرها في الدنيا فظلمها الأشرار واعتدوا عليها فغصبوا منها أرض فدك، واستولوا على خلافة بعلها أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهجموا على دارها وعصروها بين الحائط والباب وكسروا ضلعها وأسقطوا جنينها ولطموا خدها، بل وطلبوا منها التوقف عن البكاء على أبيها... وهكذا بقيت مظلومة مهضومة إلى أن (حانت وفاتها طلبت من أمير المؤمنين أن يجلس إلى جنبها لتوصيه بما تريد قائلة له يا ابن العم إجلس عندي هنيئة فقد حان الفراق فأخذ برأسها ووضعه في حجره وجعل يقول:

هو الدهرُ لا تَفنى عجائبُهُ ... عن الكرام ولا تهدو نوائبُهُ
فليت شعري إلى كم ذا تُجاذُبنا ... فنونُه وإلى كم ذا نُجاذبُهُ

فقالت: يا ابن العم هذا وقت الوصية لا وقت التعزية. فقال: ما وصيتك يا ابنة العم؟ قالت: أولا إن كان وقع مني في مدة حياتي تقصير فاعف عني. فقال: حاشاك يا سيدة نساء العالمين والتقصير بل كنت في نهاية المحبة لي والمودة والشفقة علي والرضا والشكر والقناعة بما يأتيك مني.

فقالت: والوصية الثانية: فإني أوصيك يا ابن العم، أن تلتفت إلى أولادي، فإنهما سيقتلان بعدنا وتشرد ذراريهما.

والوصية الثالثة: أن تتزوج بأمامة ابنة أختي لتقوم بخدمة أولادي.

والوصية الرابعة قالت يا أبا الحسن: غسلني من وراء الثياب ولا تكفني فإني طاهرة مطهرة. (وتعلل بعض الأخبار لئلا يرى أمير المؤمنين ضلعها المكسور ومتنها المسود من ضرب السياط).

قال بعضهم فلما غسلها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من وراء الثياب ومرّ بيده على صدرها أحسّ بخسف فيه فإذا هو ضلع من أضلاعها مكسور فاعتزلها وجلس ناحية يبكي فأقبل إليه الحسنان وهما يبكيان وكانت أسماء تعينه على تغسليها فلما رأته كذلك أتت إليه وقالت: سيدي لِمَ تركت تغسيلها سيدي أتبكي لفراقها؟ فقال لا يا أسماء وإن عزّ عليّ فراقها، ولكن انظري هذا ضلع من أضلاعها مكسور وكانت تخفي عليّ ذلك.

(أبوذية)

مصايب فاطمه اعظامي بدنها واشوف البيت صار اظلم بدنها
او حين الغسّلت بيدي بدنها كِسر ضلعي كسر ضلع الزجيه

أعود إلى وصيتها عَلَيْهَا السَّلَامُ: ثم أوصته أن لا يشهد أحد جنازتي ممن ظلمني ومنعني ميراثي، ولا يصلوا علي، وإذا قضيت نحبي فغسلني وحنطني من فاضل حنوط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وكفني وصلِّ علي وادفني بالليل إذا هدأت الأصوات ونامت الأبصار، ولا تقطعني من زيارتك، لأن لي بك أنسا عظيما.

أما الوصية الأخيرة: فهي إذا أنزلتني في القبر وسويت علي التراب فاجلس عند رأسي قبالة وجهي وأكثر من تلاوة القرآن والدعاء فإنها ساعة يحتاج الميت فيها إلى أُنس الأحياء.

أقول لقد سمع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وصيتها ودموعه جارية وقام بتنفيذها كما أرادت ولذا عندما قضت نحبها قام الإمام فغسلها و كفنها ثم صلي عليها و دفنها ليلا و ما معه إلا نفر قليل كعمار و سلمان و المقداد و أبي ذر.[١١٣]

(بحر طويل)

مثـــل مـــا وصـــت الكـــرار بالليـــل النعـــش شـــاله
شكد بيده ضريح الها اودمعه اعله الوجن ساله
نزلهـــا او تشـــب نـــاره او ينحـــب والتـــرب هالـــه
عليها اوصاح يالمختار امست عندك الزهره
وهي التنبيك عـــن حالي او عليها بالجـــره والصار
من غصب الفدك والجور وابچاها اوهجوم الدار
يا ابن الحسن (يا فرج الله) سل السيف بيمينك وخذ بالثار
او دلينـــه اعلى حفرتها علينه ضاعت الحفره

(أبوذية)

ابهظم وابضيم هالدنيه نعشها ... ولا يوم الدهر روحي نعشها
عله الشالوا ابليل أظلم نعشها ... او دفنها ابليل حماي الحميه

***

ماتت ولم يشهدوا ليلا جنازتَها ... سوى عليٍّ وعمارٍ وسلمانِ
وفي الصحيحِ رووا أن النبيَّ بها ... قد قال فاطمة روحي وجثماني[١١٤]

عن الأيام الفاطمية الثانية

السلام عليك أيتها الرضية المرضية

المناسبة

عن الأيام الفاطمية الثانية

القصيدة: للسيد باقر الموسوي الشهير بالهندي

كلُّ غدرٍ وقولِ إفكٍ وزورِ ... هو فرعٌ عن جحدِ نصِّ الغديرِ

فتبصَّرْ تُبصرْ هداك إلى الحقِّ ... فليس الأعمى به كالبصيرِ

يومَ أوحى الجليلُ يأمرُه ... وهو سارٍ أنْ مُرْ بترك المسيرِ

حُطَّ رحلَ السُرى على غيرِ ماءٍ ... وكلاً في الفلا وحرِّ الهجيرِ

ثم بلّغهمُ وإلا فما بلغـ ... ـتَ وحيا عن اللطيف الخبيرِ

أَقِمِ المرتضى إماما على الخلـ ... ـق ونورا يجلو دُجى الدَيجورِ

فرقى آخذا بكفِّ عليٍّ ... منبرا كان من خُدوجٍ وكُورِ

إنَّ هذا أميرُكم ووليُّ الأمـ ... ـرِ بعدي ووارثي ووزيري

هو مولىً لكلِّ من كنتُ مولاه ... مِن اللهِ في جميع الأمورِ

فأجابوا بألسُنٍ تُظهرُ الطاعةَ ... والغدرُ مضمرٌ في الصدورِ

بايعوه وبعدها طلبوا البيـ ... ـعةَ منه لله ريبُ الدهورِ

أسرعوا حين غاب أحمدُ للغدرِ ... وخافوا عواقبَ التأخيرِ

لستَ تدري لمْ أحرقوا البابَ بالنار ... أرادوا إطفاءَ ذاك النورِ

لست تدري ما صدرُ فاطمَ ما المسمارُ ... ما حالُ ضلعِها المكسورِ

ما سُقوطُ الجنينِ ما حمرةُ العين ... وما بالُ قُرطِها المنثورِ

دخلوا الدارَ وهي حسرى بمرأىً ... من عليٍّ ذاك الأبيِّ الغيورِ[115]

(بحر طويل)

يحامـــي الجـــار بيـــك اشـــصار للزهـــره متحميهـــا

تشكي اوتبكي اوتسمع شكاويها اوبواچيها

للزهـــره متحميهـــا يحامـــي الجـــار بيـــك اشـــصار

سيفك كلّت احدوده يو فرّيت يا كرار

يـــوم الكـــوم اجـــوا ليكـــم وجّـــوا بابكـــم بالنـــار

والزهره تدافعهم ما تنغر يواليها

بيديهـــا تدافعهـــم خـــوف او روحهـــا راحـــت

عنهم لوّذت بالباب عصروها لَما طاحت

كســـروا للضلـــع بالبـــاب طرحت محســـن اوصاحت

تعالي لي يفضه اتريد بس واحده تباريها

(أبوذية)

الخصم ما عنده امروّه ولاذات او حلت دنياه بعيونه ولاذات

الزهره اختفت من عنده ولاذات وره الباب او عصرها ابن الدعيه[١١٦]

المحاضرة الثالثة

شبهة عدم دفاع علي عن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ (١١٧)

يذكر المفسرون ومنهم صاحب كتاب الأمثل: إن كلمة (فِتْنَة) استعملت في القرآن المجيد بمعانٍ مختلفة، وفي هذه الآية إن كلمة ﴿فِتْنَةً﴾ بمعنى البلاء والمصائب الاجتماعية التي يصاب بها الجميع فيحترق فيها الأخضر مع اليابس.

وفي الحقيقة فشأن الحوادث الاجتماعية هو هكذا، فإذا ما توانى مجتمع ما عن أداء رسالته، وانهارت القوانين على أثر ذلك، وانعدم الأمن، فإن نار الفتنة ستحرق الأبرار مع الأشرار، وهذا هو الخطر الذي يحذّر الله تبارك وتعالى منه ويحذر في هذه الآية المجتمعات البشرية كلها.

ومفهوم الآية هنا هو أن أفراد المجتمع مسؤولون عن أداء وظائفهم، وكذلك فهم مسؤولون عن حث الآخرين لأداء وظائفهم أيضاً، لأن الاختلاف والتشتت في قضايا المجتمع يؤدي إلى انهياره، ويتضرر بذلك الجميع، فلا يصح أن يقول أحد بأنني أؤدي رسالتي الاجتماعية ولا علاقة لي بالآثار السلبية الناجمة عن عدم أداء الآخرين لواجباتهم، لأن آثار القضايا الاجتماعية ليست فردية ولا شخصية.

وهذا الموضوع يشبه تماماً ما لو احتجنا لصد هجوم الأعداء إلى مئة ألف مقاتل، فإذا قام خمسون ألف مقاتل بأداء وظائفهم فمن اليقين أنهم سيخسرون عند منازلتهم العدو، وهذا الانكسار سيشمل الذين أدوا وظائفهم والذين تقاعسوا عن أدائها وهذه هي خصوصية المسائل الاجتماعية.

ويمكن إيضاح هذه الحقيقة بصورة أجلى وهي: أن الأخيار من أبناء المجتمع

مسؤولون في التصدي للأشرار لأنهم لو اختاروا السكوت فسيشاركون أولئك مصيرهم عند الله كما ورد ذلك في حديث مشهور عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حيث قال: « إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروا، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة ».[١١٨] .[١١٩]

روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: « أوحى الله تعالى إلى شعيب النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ إني معذب من قومك مائة الف أربعين ألفا من شرارهم وستين ألفا من خيارهم فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل إليه داهنوا أهل المعاصي فلم يغضبوا لغضبي ».[١٢٠]، فارتكاب المعاصي وبالأخص التجاهر بالفسق يُعدّ السكوت عنه فتنة يترتب عليها الفساد والإفساد.

والشبهات التي يطرحها المخالفون من أجل التشكيك بالدين وبحجج الله تُعدّ من الفتن ولذا فالرد العلمي على الشبهة من مصاديق إطفاء الفتنة.

وأيضاً تُعد الابتلاءات والمحن من الفتن، كمن يقوم بنشر الإشاعات والأكاذيب بحق شخص بريء بهدف تسقيطه او استفزازه ليقوم بسلوك معين ومن ثم استغلاله لتحقيق مصالحهم الشخصية... وهذا النوع من الفتن قد انتشر في الآونة الأخيرة وبالأخص عبر مواقع التواصل الاجتماعي... ولكن جذوره موجودة منذ القدم ....

ونريد في هذه المحاضرة أن نتكلم عن فتنة عظيمة قد اطفأها أمير المؤمنين ومولى المتقين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولولا ذلك لانهدم الإسلام ..

هذه الفتنة تتعلق بالظلامات التي تعرضت لها السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ حينما هجم عليها الشيخان وأتباعهم فدخلوا دارها من دون استئذان، وأحرقوا بابها وكسروا ضلعها وأسقطوا جنينها ولطموا خدها وسحبوا الإمام بالحبال إلى المسجد ليجبروه على بيعة الأول...

ورغم أن هذه الحقيقة ثابتة بعشرات النصوص الروائية في كتب الفريقين والتي بلغت حدّ التواتر إلا أن المخالفين يحاولون بشتى الطرق تشكيك عوام الناس فيها كي يطهروا ساحة الشيخين من الظلم والعدوان عن طريق نشر الشبهات ..

يقول الشيخ جعفر سبحاني: إذا ثبت أنّ الاعتداء على بيت السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ قد حصل بالأدلّة القطعية التي نقلها الفريقان، فلا مجال للاستبعادات المزاجية التي لا تقوم على دليل أو برهان .[١٢١]

ولكن رغم ذلك فلقد تصدى علماؤنا لهذه الشبهات، وذكروا الأدلة التي تثبت هذه الحقيقة.. وواجبنا الشرعي يحتّم علينا إطفاء الفتنة بنقل هذه العلوم إلى شيعة أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ كي يحصّنوا أنفسهم من الانزلاق والتشكيك، وليزدادوا إيماناً على إيمانهم.

مباحث الآية الكريمة

سوف نطرح الشبهات في المباحث الآتية:

المبحث الأول: شبهة عدم الدفاع عن السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ

نص الشبهة الأولى: إذا كانت السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ قد ظُلمت من قبل الخلفاء فلماذا لم يدافع عنها الإمام علي بن ابي طالب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟، أمِنَ المعقول أن يسمح لهم الإمام بضربها وكسر ضلعها وإسقاط جنينها ؟ ولماذا سمح لها بأن تخاطبهم ولم يفتح الباب بنفسه؟

الجواب: إن اعتداء الشيخين وأتباعهم على السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ وظلمهم لها في حادثة الهجوم المتمثلة باقتحام الدار بلا استئذان وبحرق دارها وكسر ضلعها وإسقاط جنينها ولطم خدها ثابت بعشرات الأدلة الروائية.

ولكن استغل (بعضهم وجود الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الدار لإثارة بعض الشبهات، لتكذيب ما ورد من المآسي على السيدة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ)[١٢٢]

ونردّ على الشبهة بالنقاط الآتية:

أولاً: إن دخول القوم لبيت السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ لم يكن دخولاً كزيارة المتمثّل بطرق الباب وانتظار الإذن بالدخول، بل هو اقتحام وهجوم ورفسٍ للباب بشكل مفاجيء... دعونا نأخذ فكرة عن أحداث القصة:

بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مباشرة ,إجتمعت الأنصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعدة لملء فراغ القيادة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مخالفين أوامر الله ورسوله في تنصيب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي بايعوه بالأمس في يوم غدير خم... وبعد جدال تمّ اختيار أبو بكر كخليفة وبايعوه الحضور، (ثم إن عمر احتزم بإزاره، وجعل يطوف بالمدينة وينادي إن أبا بكر قد بويع له، فهلموا إلى البيعة فينثال الناس فيبايعون، فعرف أن جماعة في بيوت مستترون فكان يقصدهم في جمع فيكبسهم و يحضرهم في المسجد فيبايعون) [١٢٣]، وكان همهم الأكبر أخذ البيعة من الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لكونه الخليفة الشرعي، لذا أقبل القوم في جمع كثير إلى منزل الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حيث (عرفوا أن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ في البيت لذا بادروا لاقتحامه لأنهم حينما عادوا كان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قد فرغ للتو من دفن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولعله قد انصرف لبعض شأنه، ليتوضأ، أو يصلي، أو ليبدّل ملابسه ، أو لغير ذلك . . وكان من الطبيعي أن تجلس الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ عند قبر أبيها في هذه اللحظات لتودعه ، ولتناجيه . . وموضع دفن النبي صلوات الله وسلامه عليه هو نفس بيت الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ قرب الباب . .فجاء القوم مسرعين ، وطرقوا الباب بهمجية، والزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ خلفه ، وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الداخل [١٢٤].

فخاطبتهم فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ من وراء باب الدار قائلةً: « لا عهد لي بقوم أسوء محضرا منكم، تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم فيما بينكم، فلم تؤمرونا، ولم تروا لنا حقنا، كأنكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خم؟! والله لقد عقد له يومئذ الولاء ليقطع منكم بذلك منها الرجاء، ولكنكم قطعتم الأسباب بينكم وبين نبيكم، والله حسيب بيننا وبينكم في الدنيا والآخرة » [١٢٥]، فقال عمر بن الخطاب (لع): (والذي نفس عمر بيده ليخرجن أو لأحرقنه على ما فيه)، فقيل له إن فيه فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وولد رسول الله وآثار رسول الله؟ [١٢٦]

فقال عمر (لع): «وإن» [١٢٧]، ولما كرّروا تهديدهم بإحراق الدار صاحت: « يا رسول الله ماذا لقينا من ابن أبي قحافة وابن الخطاب بعدك ! يا عمر جئت لتحرق علينا دارنا ! » [١٢٨].

ثمّ إنّ القوم الذين كانوا مع عمر لما سمعوا صوتها وبكاءها ،إنصرف أكثرهم

باكين، وبقي عمر وقوم معه. [١٢٩] ثمّ تفاقم الأمر وأشعلوا النار بالباب، وكانت السيدة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ خلفه !! ثم رفسوا الباب ، ولم تكن - وهي وراء الباب - في وضع تستطيع معه أن تقابل الرجال الأجانب، فبادرت لإغلاقه، لتصبح خلفه، فضغطوها به، فكسروا ضلعها وأسقطوا جنينها ولطموا خدّها. [١٣٠]

وصرخت فبادر علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لنجدتها . . فهربوا، وظفر بأحدهم -كما تقول الرواية - فجلد به الأرض ، وانشغل بإسعاف الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ.

فظهر أن ما جرى على السيدة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ في البداية كان مفاجئاً، ولم يكن هناك اتفاق بينها وبين أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، على أن تتقدم هي لتفتح الباب دونه ، كما يزعمه الزاعمون. [١٣١]

إذن نفهم ممّا ذُكر أن دخول الأعداء لبيت السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ كان عبارة عن اقتحام وهجوم ورفس للباب على صورة همجية بصياح وعربدة . لذا فمن المحتمل جدا أن الإمام علياً لا يكون قد عرف بوجود الناس على الباب إلا بعد فوات الأوان وبعد حصول ما حصل وهو لم يستغرق إلا لحظات يسيرة .

ثانياً: إنّ الإعتقاد أنّ علياً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يدافع عن السيدة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ غير صحيح، لأن الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد أنجد الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ بمجرد أن سمع صراخها ولكن الأمر كان قد قُضي ، وأصيبت سيدة النساء، ولم تكن هناك فرصة لدفعهم عن أذى الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ.

لذا فالإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دافع عن حرمة بيته عملاً بواجبه الشرعي ، إلاّ أنّ الدفاع في ذلك اليوم لم يتّخذ شكل الحرب وإراقة الدماء، لكونه ليس الخيار الوحيد.

ولقد وردت نصوص كثيرة تدل على دفاع الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، اخترنا منها ما نقل من كتاب (سليم بن قيس) الذي أخذنا منه موضع الشاهد: «... فوثب علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فأخذ بتلابيبه ثم نتره فصرعه ووجأ أنفه ورقبته وهم بقتله، فذكر قول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وما أوصاه به، فقال : (والذي كرم محمداً بالنبوة - يا بن صهاك - لولا كتاب من الله سبق وعهد

عهده إلي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعلمت إنك لا تدخل بيتي)، أبو بكر يصدر أمره بإحراق البيت مرة أخرى، فأرسل عمر يستغيث، فأقبل الناس حتى دخلوا الدار وثار علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى سيفه، فرجع قنفذ إلى أبي بكر وهو يتخوف أن يخرج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إليه بسيفه، لما قد عرف من بأسه وشدته، فقال أبو بكر لقنفذ: إرجع، فإن خرج وإلاّ فاقتحم عليه بيته، فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم النار، فانطلق قنفذ الملعون فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن، وثار الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى سيفه فسبقوه إليه وكاثروه وهم كثيرون، فتناول بعضهم سيوفهم فكاثروه وضبطوه فألقوا في عنقه حبلاً ». [١٣٢]

ثالثاً: من قال: إن السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ قد فتحت الباب؟، فقد سألوها أن تفتح الباب لهم, فأجابتهم من خلف الباب وأقامت عليهم الحجّة ولم تأذن لهم بالدخول، فهجموا على الباب بمجرد سماعهم لصوتها ومعرفتهم بوجودها محاولين فتحه عنوة, فلاذت وراء الباب, فأحسوا بها, فعصروها بالباب, ولا تستغرق هذه العملية أكثر من ثوان معدودة . فلما سمع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ الجلبة بادر إليهم فهربوا وأدرك الزهراء وهي في تلك الحال محاولاً إسعافها .

بعبارة أخرى: إن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يطلب من الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ أن تفتح الباب ولا طالبها بمواجهة الرجال ومحادثتهم بل جرت الأمور بسرعة ولا دليل على أنه قد سمع أو علم بما جرى قبل ارتفاع الأصوات. [١٣٣]

علماً أن الشريعة لم تنهَ المرأة أن تجيب الطارق أو أن تفتح الباب، ولا يتعارض هذا السلوك مع الغيرة والحميّة ما دامت المرأة محتشمة وعفيفة،(وإن مجرد إجابة الطارق على الباب بكلمة: (من الطارق) ليس فيه ما ينافي الغيرة، فإن الأقرب إلى الباب يجيب الطارق بحسب العادة خصوصاً عندما يكون صاحب البيت مشغولاً، ومن الذي قال: إن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن في وضع يمنعه من المبادرة لإجابة الطارقين؟! . .) [١٣٤]. ولنا في رسول الله أسوة حسنة الذي لا يوجد أغيّر منه ومع ذلك تذكر كتب التاريخ والسيرة بانه كان يأمر نساءه بإجابة الطارق حين يقتضي الأمر ذلك خصوصاً عندما يكون صاحب البيت مشغولاً.

رابعـاً: إن مثول السيدة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ وراء الباب و محاججتها معهم، كل ذلك إتماماً للحجّة لكونها بنت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ التي قال في حقها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : « فاطمة بضعة مني من أحبها فقد أحبني ومن أغضبها فقد أغضبني ومن آذاها فقد آذاني » على أمل أن يرجع القوم إلى الحق ويعرفوا طريقه ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾.[١٣٥] [١٣٦]

المبحث الثاني: شبهة عدم محاربة المعتدين

نص الشبهة الثانية: لماذا لم يحاربهم أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقعد عن طلب حقّه في الخلافة، بل لم يدافع عن نفسه وزوجته ؟!

الجواب: لقد ذكرنا في المبحث الأول أن الإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد دافع عن السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، وأيضاً الإمام لم يقعد عن طلب حقه في الخلافة بل طالب به مراراً وتكراراً –كما سيتضح في البحث-.. غاية ما في الأمر أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يستخدم أسلوب الحرب والقتال وسفك الدماء، فهناك عدة أسباب منعت الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من محاربة القوم، من أبرزها الآتي:

السبب الأول: قلّة الناصر والمعين

إن الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يحاربهم لأن تحقيق النصر يحتاج إلى أسباب، ومنها: توفر العدد الكافي من الناصر والمعين، قال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[١٣٧]، وقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[١٣٨] ولكن الإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يجد مَنْ أعانه إلاّ ثلاثة أو أربعة، ولذا اقتدى برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، حيث سئل الإمام الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « لِمَ لَمْ يجاهد علي أعداءه خمسا وعشرين سنة بعد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ثم جاهد في أيام ولايته ؟ فأجابهم : لأنه اقتدى برسول الله في تركه جهاد المشركين بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة تسعة عشر شهرا . وذلك لقلة أعوانه عليهم وكذلك ترك علي مجاهدة أعدائه لقلة أعوانه عليهم ».[١٣٩]

والنصوص التي تثبت ذلك عديدة، نذكر منها الآتي:

قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: « لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر ، وما أخذ الله تعالى على أولياء الأمر، أن لا يقاروا على كظة ظالم، أو سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها . . . ». (١٤٠)

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ في خطبة له: « أما والله لو كان لي عدّة أصحاب طالوت أو عدّة أهل بدر... لضربتكم بالسيف حتّى تَؤولوا إلى الحقّ.. ». (١٤١)

وفي خطبة الشقشقية: « وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء.. ». (١٤٢)

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت وأغضيت على القذى وشربت على الشجى وصبرت على أخذ الكظم وعلى أمر من طعم العلقم ». (١٤٣)

(ثم إنه عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد الفراغ من دفن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وجمع القرآن - خطب الناس ودعاهم إلى نصرته، بل ذهب مع فاطمة والحسنين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إلى دور المهاجرين والأنصار, واستنصرهم لإزالة أبي بكر عن الخلافة المغتصبة، وذكّرهم ما أوصاهم به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حقّه، فلم يدع لأحد عذراً في ترك نصرته.

ذكر ابن قتيبة: (وحمل أمير المؤمنين الزهراء والحسنين ليلاً مستنصراً بوجوه القوم فلم ينصروه). (١٤٤)

كما أنّ فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ حينما خطبت الناس في المسجد دعتهم إلى محاربة الهيئة الحاكمة بأبلغ الوجوه وقالت صريحاً: « قاتلوا أئمة الكفر » ، إلاّ أن ذلك كلّه لم يؤثر في قلوب خَلَت عن ذكر الله، وضعفت في إيمانها، ثم بعد إتمام الحجّة عليهم كان اللازم عليهم أن يجتمعوا لنصرة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لا أن يأتي هو عندهم ويدعوهم، فإنّ مثل الإمام مثل الكعبة يؤتى ولا يأتي). (١٤٥)

السبب الثاني: تنفيذاً لوصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

إن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ تحمّل من المصائب والمظالم ما تنهد لهولها الجبال لكونه مأموراً بذلك من قبل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذي لا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، ولقد وردت في ذلك نصوص عديدة، نذكر منها الآتي:

في رواية عن مولانا الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إعلم يا أخي! إنّ القوم سيشغلهم عنّي ما يشغلهم... والذي بعثني بالحق، لقد قدمت إليهم بالوعيد، بعد أن أخبرتهم رجلاً رجلاً ما افترض الله عليهم من حقّك، وألزمهم من طاعتك، وكل أجاب وسلّم إليك الأمر، وإني لأعلم خلاف قولهم، فإذا قبضتُ وفرغتَ من جميع ما أُوصيك به وغيّبتني في قبري، فالزم بيتك واجمع القرآن على تأليفه، والفرائض والأحكام على تنزيله، ثم امض على غير لائمة على ما أمرتك به، وعليك بالصبر على ما ينزل بك وبها - يعني بفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ- حتى تقدموا عليّ ». (١٤٦)

في رواية أُخرى أن الأشعث بن قيس سأل الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: « ما منعك يا ابن أبي طالب حين بويع أخو بني تيم وأخو بني عدي وأخو بني أمية أن تقاتل وتضرب بسيفك ، وأنت لم تخطبنا مذ قدمت العراق إلا قلت قبل أن تنزل عن المنبر، والله إني لأولى الناس وما زلت مظلوما مذ قبض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : يا ابن قيس لم يمنعني من ذلك الجبن ولا كراهية لقاء ربي ولكن منعني من ذلك أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعهده إلي . أخبرني بما الأمة صانعة بعده ، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : يا علي ستغدر بك الأمة من بعدي . . . فقلت يا رسول الله فما تعهد إلي إذا كان كذلك . . ؟ فقال : إن وجدت أعواناً فانبذ إليهم وجاهدهم . وإن لم تجد أعواناً فكفّ يدك واحقن دمك حتى تجد على إقامة الدين وكتاب الله وسنتي أعوانا ». (١٤٧)

في رواية: قال له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « يا عليّ! إنك ستبتلى بعدي فلا تقاتلنّ ». (١٤٨)

روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ « يا علي إن القوم نقضوا أمرك واستبدوا بها دونك وعصوني فيك، فعليك بالصبر حتى ينزل الأمر، ألا وإنهم سيغدرون بك لا محالة، فلا تجعل لهم سبيلاً إلى إذلالك وسفك دمك، فإن الأمة ستغدر بك بعدي ! كذلك أخبرني جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن ربي تبارك وتعالى ». [١٤٩]

بل حتى مصادر أهل السنّة تذكر ذلك، ففي (الرياض النضرة) أخرجه الطبري قال : دعا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عليا وقال له: « يا علي إني أعلم ضغائن في صدور قوم سوف يخرجونها لك من بعدي، أنت كالبيت تؤتى ولا تأتي، إن جاءوك وبايعوك فاقبل منهم وإلا فاصبر حتى تلقاني مظلوما» .[١٥٠]

المبحث الثالث: شبهة عدم محاربته تتعارض مع شجاعته

نص الشبهة الثالثة: لماذا لم يحاربهم الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لوحده وهو المعروف بأنه أشجع الخلق بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فهو داحي باب خيبر التي عجز أربعين رجلاً عن تحريكها، ويستطيع بالمعجزة إهلاكهم؟

الجواب: لقد ذكرنا في المبحث السابق إن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ملزم بتنفيذ وصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ومع ذلك نرد على التساؤل بالنقاط الآتية:

١. إن الأنبياء والأوصياء يستطيعون بالمعجزات أن يغيروا من معادلة الصراع بينهم وبين الباطل لكن هذا المنهج لا يتبعونه الا في حالات خاصة عندما يتوقف أمر الدين على ذلك والسبب في ذلك أن الدنيا هي دار بلاء وامتحان، والامتحان يحتاج الى حرية الاختيار ليتميز الخبيث من الطيب فمع قمع كل قوى الباطل عن طريق المعجزات لا يبقى مجال للاختبار والامتحان ولا تظهر حقيقة كثير من الناس. [١٥١]

لذا فالإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يفعل ذلك لأن أخذ الحقوق والمطالبة بالخلافة لا تتحقق بالإكراه ولا تقوم بالقوة والسيف كما فعل أصحاب الدنيا .. فالدنيا لا تساوي عنده عفطة عنز ..

٢.(إن المتأمّل لا يخفى عليه أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لو أراد أن يواجه القوم ويحاربهم . مع ما هو عليه من قلّة الأنصار والأعوان . لقتلوه وقتلوا معه أنصاره وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .. وهذا غاية آمال الخليفة وأعوانه، فيضيّع بذلك جميع ما احتمله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في إقامة الدين. [١٥٢]

وأمّا عدم صدور الإعجاز عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ- مع أنه أفضل الأوصياء وسيّدهم، وعنده علم الكتاب كلّه، الذي به يقدر على جميع المعجزات - فلأنّ الأوصياء كالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لم يكونوا مأمورين بالإعجاز في جميع أُمورهم، بل فيما أُذن الله لهم، وهم عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُون. [١٥٣]

٣.إن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يعرف أنه سيترتب على قتالهم ذهاب الدين بأصوله وفروعه لأن الناس جديدو عهد بالإسلام ...ولكن حينما توفرت هذه الشروط بعد مقتل عثمان بن عفان والتفاف الأمة حوله ومطالبتها بأن يكون خليفة عليها، قَبِلَ بذلك ولما رأى ظلما يهدد الإسلام لم يسكت لأن الظروف تغيرت. فلذا في مدة خلافته جاهد الناكثين أيام حرب الجمل، والقاسطين أيام معاوية والمارقين أي (الخوارج) لوجود الأنصار معه.

٤. الشجاعة لا تتمثل بشهر السيف في كلّ المواضع، وإنّما الشجاع هو الذي يملك السيطرة على شهواته وأهوائه ونفسه الأمارة بالسوء وفق مرضاة الله تعالى.

لنسمع ما هو تعريف الشجاع والقوي في الإسلام، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « الشجاع من يملك نفسه عند غضبه ». [١٥٤]، وروي أنه « مرّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقوم يتشايلون حجراً ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : نختبر أشدّنا وأقوانا ، فقال : ألا أخبركم بأشدّكم وأقواكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « أشدّكم وأقواكم الذي إذا رضي لم يُدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرجه سخطه من قول الحقّ ، وإذا ملك لم يتعاط ما ليس له بحقّ ». [١٥٥]

فبطولة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وشجاعته تكمن بصبره على الأذى، وعدم استجابته للاستفزاز الذي مارسوه ضده. بمعنى أن القوم أرادوا إشعال الفتنة ولكن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ اطفأها بقوة إيمانه-وسنوضح ذلك في المبحث الأخير-.

المبحث الرابع: شبهة أن المصلحة تنحصر بمحاربتهم

نص الشبهة الرابعة: إن المصلحة توجب على أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لا فقط الدفاع عن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بل توجب عليه محاربة القوم المعتدين من أجل الانتقام منهم واستلام الخلافة.. وبهذا سينتهي الظلم!

الجواب: إن من يدّعي أن المصلحة تقتضي محاربتهم فهو مُخْطِئٌ للأسباب التي سنطرحها في النقاط الآتية:

١.إن الشريعة أمرتنا بالحق وتطبيق العدل المتمثل بالطاعة المطلقة لمحمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لأنهم الحق، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة. (١٥٦)

ولذا لا يحق لأحد الاعتراض على أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل وجب عليه أن يعرف أن المصلحة والحكمة هو بكل ما يفعله ويقوله الإمام، ومن يعترض على الإمام فهو يعترض على الله تعالى، روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « يا علي من أطاعك فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاك فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله ». (١٥٧)

٢.إن الظلم لا ينتهي بمقتل هؤلاء، لأن المنافقين والمشركين والكافرين كُثر .

٣.إن الشريعة نهتنا عن الانتقام لما يترتب عليه في الغالب من تجاوزٍ للحدود الشريعة. نعم يحق للمظلوم أن يحاسب الظالم ولو بالرجوع إلى الحاكم الشرعي، ولكن في حالة عدم وجود الناصر والمعين فالحل يكون بالصبر وتفويض الأمر إلى الله تعالى وهذا ما فعله الإمام، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ- في التوراة -: « إذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك، فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك ». (١٥٨)، وروي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قوة الحلم عند الغضب أفضل من القوة على الإنتقام ». (١٥٩)

٤. إن الشرع والعقل يحكمان فيما لو حصل تزاحم بين أمرين فيهما ضرر، بوجوب

دفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر.

مثال ذلك: لنفترض أن شخصا مصابا بمرض خبيث -لا سامح الله- وقرر الأطباء بتر ساقه لكي ينجو وإلا سيتعرض للموت..فهنا العاقل يختار البتر رغم أنه ضرر ولكنه أهون من الضرر الأكبر وهو الموت.

وحين نأتي إلى قصة الخضر وموسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ في القرآن الكريم نجد أن الحوادث التي نفذها الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيها ضرر كخرق السفينة، قال تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾(١٦٠) ولما اعترض نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على سلوكه أخبره قائلاً:﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾(١٦١). إذن الضرر الأصغر -بجعل عيب في السفينة- دفع الضرر الأكبر المتمثل بسرقة السفينة من الأيتام. وأما تطبيق الأمر على قضيتنا فهو أن ما جرى على السيدة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ من ضرر فهو قياسا الى الضرر الآخر -وهو هدم الإسلام- يعد ضرراً أصغر منه..لأن الإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لو حاربهم ستحصل فتنة ينتهي الدين على أثرها.

وأيضاً إن صبر أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ على هذا الفعل القبيح والإجرامي الصادر من هؤلاء سيكشف الأقنعة عن وجوه الظالمين المزيفة وهذا فيه مصلحة للإسلام.

ولقد سار على هذا النهج ائمة أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ومنهم الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي أُمر بأن تحمل نساءه وأطفاله الى كربلاء رغم أنه يعلم أنه مقتول لا محالة ويعلم بالأضرار التي ستتعرض لها نساؤه وعيالاته.

ولمّا نطبق هذا الأمر على محل كلامنا سنجد أن الإمام علياً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد امتنع عن محاربة القوم لأنه يعرف ما سيترتب عليها من نتائج سيّئة وآثار وخيمة وأضرار عظيمة.

رُبّ تساؤل يرد: ما هي الأضرار والآثار الوخيمة المترتبة على محاربة القوم؟

الجواب: الآثار عديدة نوجزها بالآتي:

أولاً: إرتداد كثير من الناس: إن الارتداد، وهو الخروج والإعراض عن دين الإسلام، ويتحقّق الارتداد بإنكار وجود الله، وحقانية نبي الإسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وضرورات الدين كالصلاة والصوم ونحوها.

فبعض المسلمين في تلك الفترة كانوا حديثو عهدٍ بالإسلام، وإيمانهم ضعيف، يتأثرون بالفتن فيرتد بعضهم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (١٦٢)

ولما نتأمل المدة التي عاشها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سنجد بأن (المنافقين كانوا يعدّون الأيّام يوماً بعد يوم وهم يترقّبون وفاة النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وكانوا قد أعدّوا أنفسهم ليطعنوا الإسلام الفتيّ طعنةً نجلاء، ولذا نرى أنّ أصحاب الردّة - المناوئين للإسلام - قد ثاروا مباشرةً في زمان أبي بكر، ولولا إتّحاد المسلمين وفطنتهم وحذرهم لكان من الممكن أن ينزلوا بالإسلام ضربات قاسية، ومن أجل ذلك سكت الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ عن حقّه لئلاّ يستغلّ العدو هذا الأمر.

ثمّ إنّ هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ - مع أنّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان على قيد الحياة - قال بصراحة ردّاً على ملامة أخيه له على تقصيره: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١٦٣)، وهو يوحي بأنّه أيضاً قد تراجع بعض الشيء نتيجة الخوف من الاختلاف). (١٦٤)

ومن المعلوم أن الارتداد يترتب عليه هدم الإسلام، روي عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: « لم يمنع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من أن يدعو إلى نفسه إلاّ نظراً للناس وتخوّفاً عليهم أن يرتدّوا عن الإسلام فيعبدوا الأوثان، ولا يشهدوا أنْ لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ » . (١٦٥)

ولذا فأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يحارب القوم خوفاً من ارتداد بعض المسلمين وهدم الإسلام، يروى أن السيدة فاطمةعليها السلام لما رجعت من المسجد بعدما خطبت خطبتها العظيمة وألقت الحجج على خصومها، ورجعت لأمير المؤمنين وهي حزينة لِمَا جرى عليهم من ظلم...(قالو فبينما علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يكلمها ويهديها واذا

بصوت المؤذن ارتفع ، فقال لها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يابنت رسول الله ! إذا تحبين أن يبقى هذا الصوت مرتفعا ويخلد ذكر أباك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فاحتسبي الله واصبري . فقالت: حسبي الله ، وأمسكت » فضحى الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بحقه وحق زوجته السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ وسكت عن المغتصبين، حفظا للدين وشريعة سيد المرسلين من الضياع والانهيار.(١٦٦)

وهذه الحقيقة قد ذُكرت في مصادر أهل السنّة، فقد روى السيوطي عن أبي الطفيل عامر بن وائلة، قال: كنت على الباب يوم الشورى، فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: « بايع الناس أبا بكر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم بايع الناس عمر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف.. ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان؟!..» .(١٦٧)

ثانياً: إندلاع الفتن: إنّ الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ مع القلّة القليلة من أنصاره لو شهروا السيف بوجه القوم، لانقسم المسلمون إلى فريقين، وهذا الانقسام يُعد أرضاً لِلْمُنَافِقُينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ من أجل إشعال نار الفتنة بإشاعة الأكاذيب بأن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قاتل القوم من أجل المنصب والخلافة.

قد يسأل أحدكم: أليس الله تعالى قال: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (١٦٨)؟

نقول: إن الأمر بالقتال يتوقف على شروط منها: أن يكون بإذن الإمام المعصوم وبتوفر العِدّة والعدد الكافي والطاعة المطلقة لأوامر الإمام، وعندها تُطْفَأُ الفتنة، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (١٦٩)، ولكن لّما لا تتوفر هذه الشروط فأن القتال يترتب عليه فتنة أدهى وأعظم، وهذا ما حصل مع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فلذا لم يحاربهم...

ولقد شهد على ذلك من هم من أعدائه، وفي كتاب معاوية المشهور إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : « وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلا على حمار . ويداك

في يد ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر . فلم تدع من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك ومشيت إليهم بامرأتك وأدليت إليهم بابنيك . فلم يجبك منهم إلا أربعة أو خمسة . ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حركك وهيجك . لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم. فإذا الإمام كان وحيدا فكيف يقاتل أمة لوحده ». [١٧٠]

والإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ كان عارفاً بأن هناك من يريد استغلال القتال وسفك الدماء من أجل تحقيق مصالحه الشخصية، فلقد حدث أن جاء أحد المنافقين في زيّ المُحبّ المُشفق إلى عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال له : « يا أبا الحسن أبسط يدك حتّى أُبايعك ، وقائل هذه الجملة هو أبو سفيان العدوّ اللّدود للإسلام . إلاّ أنّ أمير المؤمنين كان مطّلعاً على دخيلة أمره ، في أنّه يريد إيقاع أهل بيت النبيّ في حرب داخليّة بالمدينة ، ولذلك أجابه عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله :" إنّك والله ما أردت بالإسلام إلاّ الفتنة ، وإنّك والله طالما بغيت الإسلام، لا حاجة لنا في نصيحتك ». [١٧١][١٧٢]

إن التاريخ يذكر لنا العديد من الفتن، منها :أن عثمان بن عفان قد حوصر في أيامه الأخيرة مدّة أربعين يوماً وليس يوماً واحداً فقط، ومعاوية كان في الشام -وهي ليست في المريخ- فلو أراد فعلا أن يفك حصاره لأرسل جيشاً.... أين ذهب الصحابة! كيف تركوا عثمان - الذي يقولون أن الملائكة تستحي منه - محاصرا في قصره يطلب الماء ولا يجده؟!

والمصيبة الأدهى أن عائشة كانت تشجّع على قتله وتقول: (أقتلوا نعثلا فقد كفر) وإيضا طلحة من شجّع الآخرين على قتله، ولكن بعدما قُتل مباشرة فإذا بهم يطالبون بدمه من أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ رغم أن الإمام اعترض على فعلهم بالمحاصرة، بل وأرسل له ماءً غلسة لأنه لا يجوز منع الماء حتى على الكفار. وترتب على هذه الفتنة سفك الآف الدماء نتيجة حرب الجمل التي قادتها عائشة وحرب صفين التي قادها معاوية.

إلى هنا انتهينا من الرد على أبرز ما يتعلّق بشبهة دفاع الإمام علي عن السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ. فلذا على الموالين والمحبين لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أن لا يصغوا إلى أمثال هذه الشبهات التي هي بمثابة سم يخلط في العسل، ويكفيهم أن يعلموا أن الإمام

معصوم ومسدد من قبل الله لا يخطأ ولا يسهو ولا يغفل، وكل أقواله وأفعاله حجّة علينا ولا يحق لنا الاعتراض عليها... نعم لا بأس بالتعرّف على الأسباب التي ذكرها علماؤنا والتي ذكرناها في البحث ومنها أن الإمام علياً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان مأموراً بتنفيذ وصية رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الذي كان عارفاً بما سيجري على أهل بيته من بعده ولذا تذكر كتب السيرة والتاريخ (كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في -أيامه الأخيرة- كثيرا ما يبكي إذا نظر إلى أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ فإذا سألوه عن بكائه يقول إني أتذكر ضربة علي على رأسه ولطم فاطم على خدها وطعن الحسن في فخذه والسم الذي يسقاه وقتل الحسين.

أقول: كما أخبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لقد تحقق كل شيء حيث جرت المصائب على أهل البيت الواحد بعد الآخر وأولهم ظلامة السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ التي اقتحم القوم عليها دارها.

يقول السيد المقرم في كتاب وفاة الصديقة نقلاً عن البحار: فأصر ... أن يبعث إليه (إلى علي بن أبي طالب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) فأرسل قنفذا أحد بني كعب بن عدي من الطلقاء، ومعه جماعة فأتوا بيت أمير المؤمنين فلم يأذن لهم في الدخول فرجع الجماعة وثبت قنفذ على الباب ولما سمع... من الجماعة ذلك غضب وأمرهم بحمل حطب ليضعوه على الباب فإن خرج أمير المؤمنين إلى البيعة وإلا أحرقوا البيت على من فيه ووقف... على الباب وصاح بصوت رفيع يسمع علياً وفاطمة لتخرجن يا علي إلى البيعة وإلا أضرمت عليك النار فصاحت فاطمة مالنا ولك فأبى أن ينصرف إلا أن تفتح الباب له ولما رأى منهم الامتناع أضرم النار في الحطب ودفع الباب وكانت ابنة رسول الله عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ خلفها فمانعته من الدخول فركل الباب برجله وألصقها إلى الجدار ثم لطمها على خدها من ظاهر الخمار حتى تناثر قرطها وضرب كفها بالسوط فندبت أباها وبكت بكاءا شديدا عاليا ثم عصرها إلى الجدار ثانية فنادت أهكذا يفعل بحبيبتك واستغاثت بجاريتها فضة وقالت لقد قتل ما في بطني من حمل [١٧٣] وأقبلت إليها فضة فأخرجتها من وراء الباب وجاءت بها إلى حجرتها وهناك أسقطت جنينها فأغمي عليها.

(نصاري)

غدت تصرخ يفضّه صدري انعاب او حملي سگط مني ابعتبة الباب
اجت فضه او لگتها فوگ التراب يسيل امن الصدر واضلوعها الدم

(أبوذية)

آه اكتاب حزني من يفـــضّه ابد ما يفض نوحي من يفـــــــضه
على الصاحت تعالي لي يفضّه الحمل طاح او سگط فوگ الوطيه

(أبوذية)

لبست الحزن طول العمر يلبـــاب ذهيل او مابگت لي افكار يلباب
انشدك وين محسن سگط يلباب يوم العصروا الزهره الزچـــــــيه

(أبوذية)

كتلها ابعصرته الظالم ولهها او ما يبره الضلع كسره ولهـــها
الزهره من حضر يمها ولهها من صاحت يفضه اتعاي ليه

(أبوذية)

يفضه صاحت ام احسين وهه او من طاح الجنين انگطع وهه
خفّه صوتها البسمار وهه او كسر ضلعين من عدها الزچيه

***

أفاطـمُ يُسـقَطُ منهـا الجنيـنُ وتُدفَـعُ عـن حقّها راغمهْ
و تُحـرَقُ بـابَ فِناهـا الطَغـامُ وتأتـي علـي خدرها هاجمهْ
فتبـت يـدٌ كسـرتْ ظِلعَهـا ومُدَّتْ على وجهها لاطمه[١٧٤]

عن الأيام الفاطمية الثانية

السّلامُ عليكِ أيّتها الحوراءُ الإنسيّة

المناسبة

الأيام الفاطمية الثانية

القصيدة: للسيد خضر القزويني النجفي

إلى مَ التوانيْ صاحبَ الطلعةِ الغـرَّا ... أما آنَ من أعداك أن تطلُب الوتـرا
فديناك لِمْ أغضيتَ عمَّا جرى عـلى ... بني المصطفى منها وقد صَدَعَ الصخرا
أتُغضي وتنسى أمَّك الطهرَ فاطـما ... غداةَ عليها القومُ قد هجموا جهـرا
أتُغضي وشبوا النارَ في باب دارِهـا ... وقد أوسعوا في عصرِهم ضلعَها كسرا
أتُغضي ومنها أسقطوا الطهرَ محسنا ... وقادوا عليَّ المرتضى بعلَها قسـرا
أتُغضي وسوطُ (العبدِ) وشَّح متنَها ... ومن لطمة الطاغي غدت عينُها حمرا
أتُغضي وقد ماتت وملؤُ فؤادِهـا ... شجىً وعليٌّ بعـدُ شيَّعها سـرا
أتُغضِي وقد أردى حُسام (ابنِ ملجمٍ) ... (علياً) وطَرفُ الشركَّ حينَ قضى قَرّا
أتُغضِي وقد دسّ السَّمامَ أخو الشّقا ... إلى المجتبى كيما بِهِ يفجَعُ الزَّهـرا
أتُغضِي ويومَ الطَّفِ (آلُ أمـيةٍ) ... بقتلِ سَليلِ الطُّـهرِ أدركتِ الوِترا
أتُغضِي وقد طافت برأسِ فَخـارِهِ ... على ذابلٍ أمسى يُـباهي بهِ البَدرا
أتُغضِي وقد سارت بربّاتِ خِـدرِه ... سبايا وسوطُ الشَّمرِ أوسعَها زَجـرا
أتُغضِي وقد طافت بها كل بلـدة ... على هـزل تنعى وأعينها عـبرا
(وأعظمُ ما يشجي الغَيورَ دخـولُها ... إلى مجلسٍ ما بارحَ اللّهوَ والخَـمرا)
فحتى متى تُغضِي ولم تُلفَ ثائِـراً ... بوترِ بني الهادي الذين قَضوَا صَـبرا
فهُبَّ لها واسقِ حُسامَكَ من دمـا ... عِداكَ وغادر نَظمَ هاماتِها نَثـرا

(بحر طويل)

يراعـــي الثـــار فـــات الثـــار دنشـــر رايتـــك واظهـــر

تدري والخبر عندك ابصير الباب شتكـــــــــسر

تصبـــر والخبـــر عندك مـــن بعد الرســـول اشـــصار

صارالحكـــم لعداكم اوظل جـــدك جليس الدار

تنســـى امـــن اوجـــروا بـــاب الزهـــره جدتـــك بالنار

هاي اكلوبنا للســـــــــا ابذيچ النار تتوجـــــــر

مـــن نـــار الگلـــوب اتهيـــج غيـــرك مـــا لنـــا چـــاره

انلومك واحناندري اشـــلون كلبك تلتهب ناره

نـــدري بيـــك مـــن تذكـــر صـــدر امـــك او مســـماره

اتهيج اوتنتظررخصه امن اللّه اتريد بس تظهر

يربـــي اصدورنـــا ضگت حســـره انجـــر باثر حســـره

عجل فرج والينا ابجاه الضـــــلع وابكســـــــــره

ابجـــاه الســـقط وامصابـــه ابجـــاه البضعـــة الزهره

المتنها بالضرب مسود اوخدهاامن اللطم محمر

(أبوذية)

اخبرك سيدي ابروحي شمسها الهظم والحزن وافراگك شمسها

متى تشرج من المغرب شمسها او تطلب ثارها الزهره الزچيه[١٧٥]

المحاضرة الرابعة

دور فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ في التمهيد للظهور

روي عن الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال :

« وفي ابنةِ رسولِ اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لي أسوةٌ حسنة »[١٧٦]

مباحث الرواية المهدويّة

المبحث الأول: السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ القدوة والأسوة

إن الأسوة هو القدوة. تحتل مسألة القدوة والاقتداء مكانةً هامّة في حياة الإنسان. والاقتداء هو طلب موافقة المقتدي بالآخر (المُقتدَى به) في فعله، واتّباع شخصية تنتمي إلى القيم نفسها التي يؤمن بها المقتدي.[١٧٧]

إن الاقتداء هو أمر فطريٌّ يميل إليه الإنسان ويبحث عنه تلقائياً، فهو يميل إلى أن يكون أمامه نموذج حيّ يقتدي به.[١٧٨]

وهذا النموذج الذي يجب علينا الاقتداء به لا بدّ أن يكون من المهتدين، قال الله عزّ وجلّ في محكم كتابه: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[١٧٩] ، فقوله تعالى:﴿الَّذِينَ هَدَى اللّهُ﴾ هم حجج الله على البرايا كالأنبياء والأوصياء وعلى رأسهم محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وقوله تعالى﴿الَّذِينَ هَدَى اللّهُ﴾ ليست مختصة بالرجال، بل تشمل النساء أيضاً وعلى رأسهن السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين. فالسيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ هي بنت الوحي والرسالة وهي التي تربّت في حجر سيد الخلق، فكانت الناطق العملي والمترجم السلوكي للإسلام في الحياة.

فعندما نطّلع على سيرتها العطرة نجد أنّ أغلب الجوانب الحياتية التي تقاسيها المرأة – إن لم نقل كلها – قد مرّت بها عَلَيْهَا السَّلَامُ، حيث تقدّم لنا بسلوكها النابع

من الذوبان في الإسلام، الأسس والقواعد - على أقل تقدير - التي ينبغي اتّباعها في الحياة للالتحاق بها وتحقيق الهدف من الخلق. إن طريق الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ هو طريق العظمة، هو طريق رضى الله عز وجل والمراتب العلى. (١٨٠)

علماً أن السيدة فاطمة عليها السلام ليست قدوة للنساء فقط، بل هي قدوة للنساء والرجال... بل أعظم من ذلك ففاطمة قدوة حتى للمعصومين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ولذا خرج من الناحية الشريفة عن الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أنه قال : « وفي ابنة رسول الله عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ لي أسوة حسنة... » (١٨١)

فأي مقام يظهر لنا من خلال هذا التوقيع الشريف والذي بيّن فيه الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن له أسوة حسنة بفاطمة أي اتخذها قدوة له يتأسى بها في المعضلات والمصائب. (١٨٢)

لذا من باب أولى علينا أن نتخذها قدوة وأسوة في كل جوانب حياتنا، حيث يترتب على اقتداءنا وطاعتنا لأهل البيت وللصديقة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ آثار عديدة نذكر منها الآتي:

١.نيل رضا الله تعالى، ورضا الرسول وآل الرسول عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ -كما سنبين في البحث-.

٢.نيل الخير الكثير، قال تعالى:﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (١٨٣)، روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: (يعني لو استقاموا على ولاية أمير المؤمنين علي والأوصياء من ولده عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم « لأسقيناهم ماء غدقا « يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة هي الإيمان بولاية علي والأوصياء). (١٨٤)

٣. الشعور بالاستقرار النفسي والطمأنينة، قال تعالى:﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى *وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (١٨٥)

٤.التمهيد لظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ لأن الاقتداء بأهل البيت وطاعتهم طاعةً مطلقة سيجعلنا من شيعتهم، حيث روي عن السيدة

فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ أنها قالت لرجل« إن كنت تعمل بما أمرناك، وتنتهي عمّا زجرناك عنه، فأنت من شيعتنا، وإلا فلا ». (١٨٦)

والنتيجة المترتبة على الاقتداء والطاعة أننا سنكون من أنصار الإمام المهدي وسنمهّد لاكتمال العدد الكافي المتوقف عليه ظهوره الشريف. وهذا الأمر قد مارسته الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ حينما اقتدت برسول الله وأمير المؤمنين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فكانت لها أدوار خاصة بها مارستها في حياتها، كان لها أثر كبير في نُصرة الإسلام، وبنفس الوقت تعدّ أدواراً ممهدةً لظهور حفيدها الإمام المهدي فيما لو وعاها الناس وسعوا في تطبيقها والاقتداء بها، فحينها سيظهر الإمام فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً...

وأول هذه الأدوار هو الدور الوجودي الذي وقفنا عليه في المحاضرة المعنونة بـ(فاطمة وليلة القدر)(١٨٧)، وإليكم بقية الأدوار الفاطمية التي سنطرح بعضها في المبحث الآتي:

المبحث الثاني: أدوار فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ في التمهيد للظهور

المطلب الأول: دور السيدة فاطمة الكاشف للحق عن الباطل

الدور الأول للزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ هو كونها الكاشفة للحق عن الباطل. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ (١٨٨) ومعلوم أن المصداق الأمثل لهذه الآية هم محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الذين بلغوا القمّة في الإيمان والتقوى، فلذا هم الفرقان الذي يفرّق بين الحق والباطل بشكل مطلق، فمن وافقهم فهو على الحق، ومن خالفهم فهو على باطل.

ولتوضيح أن السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ هي الفرقان بين الحق والباطل، وأنها الكاشفة عن المؤمن الحقيقي وعن المنافق والكافر، لنقف على المقدمتين الآتيين:

المقدمة الأولى: عصمة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ:

إن الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ معصومة بالعصمة التامة من جميع الذنوب والمعاصي، وهناك أدلة كثيرة على ذلك، نذكر منها الأدلة النقلية الآتية:

١. الدليل القرآني: ونذكر منها آية التطهير، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١٨٩)، حيث استدل علماء الشيعة بهذه الآية لإثبات عصمتها (١٩٠) فبناء على روايات وردت في المصادر الشيعيةوالسنية(١٩١) نزلت هذه الآية في شأن الخمسة أصحاب الكساء، فالمراد من أهل البيت في الآية هم خمسة أشخاص: النبي ص، والإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، والسيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، والإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ، والإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ. (١٩٢)وقد ورد في بعض الروايات أنّ النبي ولعدّة أشهر كان يذهب بعد صلاة الصبح، إلى بيت علي وفاطمة، ويسلّم عليهم، ويقول: الصلاة الصلاة، ثم يقرأ آية التطهير.(١٩٣) وقد ذكر الفخر الرازي الرواية التي صدرت في شأن نزول آية التطهير وعدّت أهل البيت هم الخمسة أصحاب الكساء، ثم قال عنها: واعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث. (١٩٤)

وقال العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان إن كلمة :﴿الرِّجْسَ﴾ في الآية حيث وردت بـ«ال» التي تدلّ الجنس، فالآية تشمل الرجس الظاهري والباطني، فمعنى هذا النوع من إذهاب الرجس ليس إلا عصمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.(١٩٥)

ومن النتائج المترتبة على عصمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ أن تكون معياراً وميزاناً لتمييز الحق من الباطل، فكل أقوالها وأفعالها وتقريراتها حق، وكل من خالفها على باطل، وهذا يثبت أن من ظلموها حتماً على باطل.

٢. الدليل الروائي: الروايات التي تثبت عصمة السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ عديدة نكتفي بهاتين الروايتين:

١. حديث البَضْعَة: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن ابنته: « فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي و مَنْ سَرّها فَقد سَرّني ». (١٩٦)

وعدَّ المفسر جلال الدين السيوطي أن هذا الحديث متفق عليه بين الشيعة والسنة [١٩٧]، واستند المتكلمون على هذا الحديث لإثبات عصمة السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ. [١٩٨]

وروي أيضاً عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها فقد أغضبني» [١٩٩]، وبيّن آية الله السبحاني أن روايات البضعة تدل على أنّ رضا السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ وسخطها هو المعيار في رضا الله ورسوله وسخطهما، وبما أنّ الله لا يرضيه ولا يسرّه إلا العمل الصالح، ولا يرضى بارتكاب الذنب ومخالفة أوامره، فلو أن السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ ارتكبت خطيئة لرضيت بشيء لا يرضى به الله، في حين أن حديث البضعة، يُبين أن هناك صلة وثيقة بين رضا الله ورضا فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ. [٢٠٠]

٢.حديث الرضا والغضب: روي عن رسول الله ص: « إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها » [٢٠١] ، وروي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني » [٢٠٢] فاذا كان غضبها موافقاً لغضب الله في جميع الأحوال وكذلك رضاها فهذا يعني أن رضاها وغضبها يوافقان الموازين الشرعية في جميع الأحوال وأنها لا تعدو الحق في حالتي الغضب والرضا، وفي ذلك دليل ساطع على عصمتها عَلَيْهَا السَّلَامُ [٢٠٣]، فهو سبحانه بما انّه عادل و حكيم لا يغضب إلّا على الكافر والعاصي، ولا يرضى إلاّ على المؤمن والمطيع. [٢٠٤]

أذن نستنتج من المقدمة الأولى: إن السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ معصومة، فلذا غضبها يكشف عن غضب الله ورسوله عليه.

يبقى السؤال: مَنْ الذي ظلم السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ فنال غضب الله ورسوله؟

الجواب في المقدّمة الثانية

المقدمة الثانية: ظلامات السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ

إن ما تعرضت له السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ من ظلامات من قبل الشيخين المدّعين للخلافة بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تعدّ من المسلمات المذهبية التي لها علاقة بالعقيدة التي لا يمكن إنكارها لوضوح وتسليم أدلتها، بل قد لا يمكن

للمحققين التشكيك في ثبوتها.[٢٠٥]

وسأذكر بعض الظلامات مع ذكر مصادرها التي تجدونها في الهامش، وهي كالآتي:

١.مسارعة القوم لاغتصاب حق زوجها أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الخلافة.[٢٠٦]

٢.كسر ضلعها.[٢٠٧]

٣.ضربها واسقاط جنينها.[٢٠٨]

٤.لطمها على الخدّ.[٢٠٩]

٥.حرق بابها.[٢١٠]

٦.غصب أرض فدك منها.[٢١١]

٧.منعها من البكاء على أبيها.

٨.نشر أحاديث موضوعة ومكذوبة عن رسول الله؛ من أجل الوقوف بوجه السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ و تبرير سرقتهم لأرض فدك، ومنعها من البكاء على أبيها، ومنعهم من التجمّع في مسجد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.[٢١٢]

إنّ النتيجة المترتبة على المطلبين : إن الله تعالى غضب على الذين لم يتورعوا عن محارم الله وظلموا وآذوا فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، علماً أن غضبها على الشيخين استمر حتى ماتت، فقد روي عن عائشة «.. فوجدت فاطمة على أبي بكر فهجرته ، فلم تكلّمه حتى توفيت».[٢١٣]

وجميعنا يعلم أن مصير من يُغضب ويؤذي الله ورسوله هو اللعن والعذاب الأليم، بدليل قوله تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[٢١٤]، ومن ثمَّ سوف تنسحب الشرعية من الخلافة التي ادعاها القوم .

إذن ظلامات السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ تمكّنت من إسقاط الأقنعة عن وجوه القوم، وكشفت للناس أن خلافة هؤلاء غير شرعية وبالتالي تبين بطلان من انحرف عن الخط الإسلام المحمدي الأصيل. علماً أن خلافتهم ساقطة لقوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[٢١٥]، فالنص الشرعي القرآني ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[٢١٦]، يصرح أن الخليفة يشترط أن لا يكون ظالماً، وبما أن ظلمهم للسيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ثابت ولا مجال لإنكاره، لذا ثبت أن خلافتهم غير شرعية وأن من اتبعهم في ضلال.

ربّ تساؤلات تردّ، ونذكر منها تساؤلين:

التساؤل الأول: ما هي وظيفة عوام الناس المترتبة على هذا الكشف؟

الجواب باختصار هو التولي والتبري.

فلا يخفى على أحد أن من أهمّ أركان التشيع هما:

١- التولي والولاية، وهو عبارة عن موالاة أولياء الله واتباعهم وجعلهم القدوة في كل الأمور.

٢- التبري والبراءة من أعداء الله سواء في ذلك بالعلن أو الخفية، بالجنان واللسان.

فلا يصدق على أحد أنه شيعي إذا أخلّ بأحد هذين، إذ لا يمكن للولاء أن يتمّ من دون التبري، ومن أجل التبري والبراءة في الفكر الشيعي لقّب الشيعة بالروافض، ولهذا نرى أن المؤرخين ينعتون من كان يروي من علماء أهل السنة روايات في فضائل أهل البيت : (شيعي بلا رفض) أو (يتشيع بلا رفض) .

ومن أهمّ المصاديق التي يبتني عليه التبري هو مظلومية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عموماً، ومظلومية السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ خصوصاً .

فالذين يشككون - أيّاً من كان - في مظلومية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومظلومية الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ هم الذين في قلوبهم مرض، يريدون أن يجعلوا التشيع في الولاء

فقط، من دون تبري، وذلك لأغراض أضمروها في قلوبهم .[٢١٧]

التساؤل الثاني: لماذا الاهتمام الكبير بكشف ظلامات الصديقة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ؟

الجواب يردّ عليه الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حينما سأله المفضل: يا مولاي ما في الدموع ثواب ؟ قال : ما لا يحصى إذا كان من محقّ. فبكى المفضل (بكاءاً) طويلاً ويقول : يا ابن رسول الله إنَّ يومكم في القصاص لأعظم من يوم محنتكم ، فقال له الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ولا كيوم محنتنا بكربلاء وإن كان يوم السقيفة وإحراق النار على باب أمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة وزينب وأم كلثوم وفضة وقتل محسن بالرفسة أعظم وأدهى وأمرّ ، لأنّه أصل يوم العذاب.[٢١٨]

إن الظلم الذي جرى على أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ الذي أعقب وفاة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ والذي ابتدأ باغتصاب حق زوجها أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الخلافة, بعد وفاة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مباشرة منذ يوم السقيفة، وما جرى بعده من الهجوم على دار بنت رسول الله عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ وكسر ضلعها وإسقاط جنينها ولطم خدّها وغيره ...وما جرى على الأئمة المعصومين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ من ظلم وجور وما زال مستمراً ليومنا هذا ... لو بحثنا في جذور هذا الظلم سنجده متجسداً في الطواغيت الذين ظلموا علياً وفاطمة عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ منذ يوم السقيفة، وترتب عليه إنخداع أغلب المسلمين بهم وأتباع نهجهم المنحرف عن نهج أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

في حين لو انقادت الأمة لأوامر الله ورسوله وسلّموا الخلافة لأصحابها الشرعيين لامتلأت الأرض قسطاً وعدلاً منذ تلك الفترة إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾[٢١٩] أي لو استقاموا على نهج محمد وآله لنالوا الخير الكثير.

فكل ما يجري علينا من ظلم من قبل الزوج أو الزوجة أو الأهل أو الأقارب أو الأصدقاء والزملاء والمجتمع أو اعداء الإسلام سببه يرجع لتلك الفترة التي ظلم فيها القوم السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ لأنها قطب الرحى التي تدور حوله محورية أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ[٢٢٠]، فلو كان الإمام المعصوم يحكم العالم لما تجرأ أحدٌ على ظلم أحد؛ لأن ستنفّذ بحقه العقوبة الشرعية فيتأدّب ويكون عبرةً لغيره.

ولذا فواجبنا الشرعي يُحتّم علينا أن نكشف الحقيقة للناس ونفرّق بين من كان على الحق فنواليه، ومن كان على الباطل فنتبرأ منه، وهذه هي الخطوة الأولى لنكون من جنود وأتباع الإمام المهدي المنتظر ... والذي يترتب عليه تعجيل ظهوره الشريف.

إذا فهمتم ذلك ستفهمون (أن بكاء السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ على أبيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وفي الوقت الذي تزامنت فيه تلك الأحداث الجسام من غصب الخلافة وغصب الإرث-الذي يُعد مصدر قوة لإمام زمانها- وكشف البيت الطاهر والاستخفاف بحرمة الدين وأهله، كان بكاءً على الرسالة، والدين القويم، والحقوق المضيّعة، بل هو بكاء على الملايين من المسلمين الذين سيكونون ضحايا هذه المظالم وتبعات هذه الأحداث، و السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ تعلم بتلك الامور وما ستؤول اليه لذا كان البكاء عند الصديقة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ يتجاوز معناه العاطفي المحدود الى معانٍ أخرى من الإستنهاض والثورة على الظالمين وبعث رسالة إلى أعماق التاريخ أن لا يغفلوا عن أحداث هذه الفترة التي غيّرت وجه الدنيا بانجرافها وميلها عن الحق ...

فقد كان البكاء هو الوسيلة الوحيدة المتاحة أمام السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ لإعلان الحق ورفض الباطل، واستمراره ليلاً ونهاراً هو استمرار المطالبة بالحق واستمرار رفض الباطل ...ومن هناك أدرك الخصوم المعاني التي يختزنها بكاء السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ.

لذا قاموا بالتحريض عليه، مع أنه من المستحبات البكاء على سيد المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وخير البشر أجمعين و السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ حين بكت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وطال حزنها، وأظهرت هذا الحزن لم تخالف وصية رسول الله، فهي: لم تخمش عليه وجها، ولم ترخ عليه شعراً، ولم تناد بالويل، ولم تقم عليه نائحة-رغم أن الجزع مشروع على حجج الله-... إنما كان بكاؤها بكاء الثائرين ... كما يمثل بكاء شيعة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وتواصل هذا البكاء لقرون متمادية وحث أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عليه كما ورد في الأحاديث الصحيحة المعتبرة، ثورتهم ورفضهم للظلم والظالمين، ومن هنا جاءت قوة منعه من قبل سلاطين الجور وأئمة الضلال. (٢٢١)

المطلب الثاني: دور صبر الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ في التمهيد للظهور

الدور الثاني للزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ هو التزامها الصبر بأعلى درجاته.

قد يعتقد بعضهم أن الصبر معناه السكوت عن الحق، وهذا غير صحيح لأن من يسكت على من يسلب منه حقاً وهو قادر على استرداده فهو من الصبر المذموم[٢٢٢]، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، فالسيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ لم تسكت بل دافعت وألقت الخُطب وبذلت قصارى جهدها كما سنوضح ذلك لاحقاً. لذا نقصد بالصبر هو الصبر الممدوح وهو احتمال المكاره من غير جزع[٢٢٣] ، أو هو ثبات النفس وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب.[٢٢٤]

بينما الذي يجزع فليشك في إيمانه، روي عن أبي عبدالله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: « الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان »[٢٢٥]، إلا ما استثنته النصوص الشرعية وهو الجزع على مصاب أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ولكن السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ رغم ما تعرضت له من ظلامات فهي لم تجزع، وصبرت على الطاعة وعن المعصية وصبرت على البلاء ولم تخالف أوامر إمام زمانها الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طرفة عين أبداً، لدرجة أن القوم لما سحبوا أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمحاولة إكراهه على بيعة الشيخ، خرجت خلفه رغم ما تعرضت له من كسر ضلعها وإسقاط جنينها لتدافع عنه وهددت القوم بنزول العذاب، (فأدركها سلمان رضى الله عنه ، فقال : يا بنت محمد، إنّ الله إنّما بعث أباك رحمة، فارجعي. فقالت: « يا سلمان، يريدون قتل عليّ، ما على عليّ صبر، فدعني حتى آتي قبر أبي فأنشر شعري، وأشقّ جيبي، وأصيح إلى ربّي، فقال سلمان: إنّي أخاف أن تخسف بالمدينة، وعليّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعثني إليك، ويأمرك أن ترجعي إلى بيتك، وتنصرفي . فقالت: إذاً أرجع، وأصبر، وأسمع وأطيع » .[٢٢٦]

ومنها صبرها على فقد أبيها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وما جرى عليها بعده لدرجة « أنّها أخذت قبضة من تراب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فوضعتها على عينيها ثمّ قالت :

ماذا على من شمَّ تربة أحمدٍ *** أن لا يشمَّ مدى الزمان غواليا

صُبَّتْ عَليَّ مصائبٌ لو أنها *** صُبَّتْ على الأيام عُدْنَ لياليا ».[٢٢٧]

ونحن عوام الناس نتعرض إلى أنواع من الابتلاءات والظلامات منها ظلم الزوج أو الزوجة أو الأبوين أو الأولاد أو الأخوان أو الأقارب أو ظلم المجتمع والحكومة وأعداء الإسلام .. فلذا تكليفنا يحتّم علينا أن نصبر ولا نجزع ...ونكرر إن الصبر لا يعني السكوت عن الحق بل أن نسعى لرفع الظلم ولا نجزع اقتداءً بسيدة نساء العالمين عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ التي هي قدوة وأسوة لكل البشرية بما فيهم المعصومين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ كالتصريح الذي ذكره الإمام المهدي عج بقوله: « وفي ابنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لي أسوة حسنة... »

وهذا الصبر له دور كبير في التمهيد للظهور؛ لأن الإنسان الذي يصبر على الطاعة، وعن المعصية، وعلى البلاء النازل عليه يكون قد مهّد نفسه ليكون من أنصار الإمام المهدي عج وهذا سيعجّل ظهوره المشروط باكتمال العدد، روي أن أبا عبد الله الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال : « أما لو كملت العدة الموصوفة ثلاثمائة وبضعة عشر كان الذى تريدون، ولكن شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه، ولا شحناؤه بدنه... ».[٢٢٨]

ولذا وجب التحلّي بالصبر لأن كتب الحديث تؤكد تعرضنا لأشد أنواع البلاء في زمن الغيبة، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنّه قال: «وَاللهِ لَتُكْسَّرُنَّ تَكَسُّرَ الزُّجَاجِ، وَإِنَّ الزُّجَاجَ لَيُعَادُ فَيَعُودُ (كَمَا كَانَ) وَاللهِ لَتُكَسَّرُنَّ تَكَسُّرَ الفَخَّارَ، فَإِنَّ الفَخَّارَ لَيَتَكَسَّرُ فَلَا يَعُودُ كَمَا كَانَ وَاللهِ لَتُغَرْبَلُنَّ وَاللهِ لَتُمَيَّزُنَّ وَاللهِ لَتُمَحَّصُنَّ حَتَّى لا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلّا الأَقَلُّ، وَصَعَّرَ كَفَّهُ». [٢٢٩]

المطلب الثالث: دور فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ في حفظ حجج الله

الدور الثالث الذي مارسته السيدة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ هو حفظها ودفاعها عن حجج الله تعالى. فقد دافعت عن أربعة حجج لله تعالى، وهم كالآتي:

الأول: والدها نبي الرحمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، حيث أغدقت عليه بحبها وحنانها رغم صغرها وكانت تنصره وتؤيده وتضمد جراحاته، وتسكن آلامه وتمسح جبينه الشريف بيديها الشريفتين منذ صغرها.. كما تفعل الأم الحنون مع ولدها

وهذا ما دفع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى أن يقول: «إن فاطمة أم أبيها».

الثانـــي: زوجها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلقد كانت له الزوجة المثال، فلقد حفظته وراعته ودافعت عن إمام زمانها الذي اتخذ أشكالاً متعددة، منها كلامها مع الطواغيت من خلف الباب من أجل اتمام الحجة عليهم عسى أن يرتدعوا، ومنها حينما طالبت بحقها في أرض فدك لأنها تُعد مصدر قوة لنصرة إمام زمانها ومصدر لمساعدة المحتاجين، ومنها حينما لحِقَت بإمام زمانها حينما أخذوه ملبّباً رغم ما بها من مصاب، وهددت الأعداء قائلةً: (يا أبابكر، أتريد أن ترمّلني من زوجي. والله. لئن لم تكفّ عنه لأنشرنّ شعري ولأشقّنّ جيبي، ولآتينّ قبر أبي، ولأصيحنّ إلى ربّي ...»[٢٣٠].

ومنها لما طالبت الناس بنصرة إمام زمانها، يذكر صاحب كتاب الإختصاص: « ثمّ خرجَتْ وحَمَلها عليٌّ على أتان-أنثى الحمار- عليه كساء له خمل، فدار بها. أربعين صباحاً. في بيوت المهاجرين والأنصار والحسن والحسين معها وهي تقول: يا معشر المهاجرين والأنصار أنصروا الله فإنّي ابنة نبيّكم، وقد بايعتم رسول الله يوم بايعتموه أن تمنعوه وذريّته ممّا تمنعون منه أنفسكم وذراريكم، ففوا لرسول الله ببيعتكم! قال: فما أعانها أحد ولا أجابها ولا نصرها! قال: فانتهت إلى معاذ بن جبل فقالت: يا معاذ بن جبل إنّي قد جئتك مستنصرة وقد بايعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على أن تنصره وذريّته وتمنعه ممّا تمنع منه نفسك وذريّتك، وأنّ أبا بكر قد غصبني على فدك وأخرج وكيلي منها! قال: فمعي غيري؟ قالت: لا، ما أجابني أحد. قال: فأين أبلغ أنا من نصرتك؟ قال: فخرجت من عنده ودخل ابنه فقال: ما جاء بابنة محمّد إليك؟ قال: جاءت تطلب نصرتي على أبي بكر فإنّه أخذ منها فدكاً، قال: فما أجبتها به؟ قال قلت: وما يبلغ من نصرتي أنا وحدي؟ قال: فأبيتَ أن تنصرها! قال: نعم، قال: فأيُّ شيء قالت لك؟ قال: قالت لي: والله لأُنازعنّك الفصيح من رأسي-أي لا كلّمتك كلّ عمري- حتّى أرد على رسول الله، قال فقال: أنا والله لا نازعتك الفصيح من رأسي حتّى أرد على رسول الله إذ لم تجب ابنة محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ! قال وخرجت فاطمة من عنده وهي تقول: والله لا أكلّمك كلمة حتّى اجتمع أنا وأنت عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثمّ انصرفت »![٢٣١]

الثالث والرابع: ولداها الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فكانت الأم المثال التي حفظت أولادها وربتهم تربية إسلامية أصيلة وفق النهج المحمدي الأصيل، وربّت وهيأت بناتها العقيلة وأم كلثوم لنصرة الإسلام فكانت تأخذ ابنتيها معها في المواقف الدفاعية ومنها عند إلقاء خطبها على الأعداء ليقتدين بشجاعتها وبلاغتها، وأوصتهما بنصرة إمام زمانهما الحسنين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فلولا هذه التربية الفاطمية لما مارست بنات الوحي والرسالة الدور الإعلامي، ولما نجحت النهضة الحسينية التي تُعد السبب الرئيس في بقاء الإسلام.

وواجبنا الشرعي يحتّم علينا الاقتداء بسيدة نساء العالمين في حفظ وتربية الأجيال تربية إيمانية ولائية، وأن نربيهم على الورع عن محارم الله، ونعلّمهم محاسن الأخلاق، ونربطهم بالإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ ونعرّفهم عليه لينتظروه في كل يوم وليلة، فإذا فعل المربّي ذلك يكون قد هيأ ولده ليكون من أصحاب الإمام المنتظر عَلَيْهِ السَّلَامُ، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر ». [٢٣٢]

المطلب الرابع: دور الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ في الدعوة الإلهية الناطقة

الدور الرابع الذي مارسته الصديقة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ هو دعوتها الإلهية الناطقة.

فمن المعلوم أن الأعمال الصالحة كثيرة ومتفاوتة في درجاتها، ولكن ليس هناك أفضل من الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٢٣٣]. إنّ الآية الكريمة هذه ترسم ثلاث صفات لذي القول الحسن هي: الدعوة إلى الله، والعمل الصالح، والتسليم حيال الحق والافتخار بالهوية الإسلامية. [٢٣٤]

فالدعوة إلى الله ليست مقتصرة على الرجال بل تشمل حتى النساء، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [٢٣٥].

وأول من مارست هذا الدور من النساء بشكل واضح وجلي هي الصديقة الزهراء

البتول عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ بطرق متعددة منها :

أ. إلقاء الدروس الدينية: فلقد ساهمت السيدة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ في نشر الدعوة الإسلامية وكانت تلقي دروسًا على نساء المهاجرين والأنصار اللواتي كنّ يجتمعن عندها لغرض التعلم، فقد روي عن الإمام العسكري عليه السلام إنه قال : « حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ فقالت : إنّ لي والدة ضعيفة ، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء ، وقد بعثتني إليك اسألك ، فأجابتها فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ عن ذلك ، فثنّت فأجابت ، ثم ثلّثت إلى أن عشّرت فأجابت ، ثم خجلت من الكثرة ، فقالت : لا أشقّ عليك يا ابنة رسول الله . فقالت عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ : هاتي وسلي عمّا بدا لك . . . إنّي سمعت أبي يقول : إنّ علماء أُمّتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله ، حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور . . . ». (٢٣٦)

ب. إلقاء الخُطَب: إن من أساليب الدعوة إلى الله هو إلقاء الخطب الدينية، وقد تميزت خطب السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ بأنها غاية في الفصاحة والبلاغة والمتانة وقوّة الحجّة، أولها خطبتها لقومٍ غصبوا حق زوجها، وثانيها الخطبة الفدكية، وثالثها خطبتها لنساء المهاجرين والأنصار...فمثلاً الخطبة الفدكيّة كانت من الخطب المشهورة وتعدّ (من محاسن الخطب وبدائعها ، عليها مسحة من نور النبوّة ، وفيها عبقة من أرج الرسالة ، قد أوردها الموالف والمخالف) (٢٣٧)

وتتضمن خطبتها العديد من المبادئ والقيّم منها رفض مبدأ النأي بالنفس أي اللامبالاة او السكوت، وباللهجة العراقية رفض عبارة (شعليّه، وشلّي كار)..

في الحقيقة إن ابتعاد الإنسان عن فضول الكلام وعن القول القبيح وما شابه أمر حثت عليه الشريعة ولكن الابتعاد والسكوت عن الظواهر السلبية التي نراها في محيطنا دون أن نحرك ساكناً أو دون أن نَنبس ببنتِ شفة أمر مذموم ونهت عنه الشريعة ، روي عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: « من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم ». (٢٣٨)

فلزم على الجميع رجالاً ونساءً أن لا يسكتوا عن الظلم والباطل لأن فيه خذلانهم

، روي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً إن يكُ ظالماً فأردده عن ظلمه وان يكُ مظلوماً فانصره» [٢٣٩]

إن السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ حين رأت الأمة متخاذلة عن نصرة الحق، انطلقت لتواجه الموقف، ولم تقف موقفًا سلبيًا حياديًا ولم تنأَ بالنفس في الصراع الدائر، فالخلافة ليست مسألة زوج أو حق شخصي أو مطالبة بسلطة، بل إنها مسألة الأمة ومسألة رسالة وقضية.

فالسيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ (تشعر أنها مسؤولة عن حماية الأمة وحماية الرسالة التي تركها والدها وأراد أن يتم الاستمرار بها بعده، لذلك اندفعت في أولِ موقف خطابي لها إلى المسجد، لتتحدّث للمسلمين عن الإسلام، والواقع الذي عاشه المسلمون سابقاً وما ينتظرهم بغياب النبي، ثم بعدها للحديث عن إرثها الشخصي والذي لم يكن يمثّل بالنسبة لها مجرد مالٍ تريده أو ميراث ورثته عن والدها، بل كان يمثّل منطلقاً للحق، ومصدر قوة لنصرة إمام زمانها والدولة الإسلامية. لقد أرادت السيدة الزهراء أن تكرّس موقفا مبدئيا على كل إنسان اتّباعه، ففي الموقف من الحق والباطل، والظلم والعدل، على الإنسان أن يسلك طريق الحق والعدل، ولا يساوم ولا يجامل ولا ينأى بنفسه، ذلك أن المجاملات والكلمات الضبابية إنّما قد تُقبل في العلاقات الإنسانية العادية التي لا تحتاج الى حد فاصل، أما عندما تكون القضية قضية إثبات حق ودحض باطل، فإن المجاملة والنأي بالنفس والوسطية كلها قد تشكّل معايير خيانية). [٢٤٠]

هذا الدور العظيم للسيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ إذا اقتدينا به فسوف نكون قد مهدّنا لظهور إمامنا المهدي عج، بالدعوة إلى الله، بالتفقه في الدين وتعليم غيرنا فزكاة العلم نشره، وتطبيق ما تعلمناه على أنفسنا وأولادنا وأهلنا ومجتمعنا وأجيالنا، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال:« أشد من يتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه ولايقدر على الوصول إليه ولايدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه. ألا فمن كان من شيعتنا عالما بعلومنا وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى ». [٢٤١]

المطلب الخامس: دور الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ في الدعوة الإلهية الصامتة

الدور الخامس الذي مارسته السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ هو الدعوة إلى الله الصامتة. فمن المعلوم أن للدعوة الصامتة المتجسدة بالتطبيق المطلق لأحكام الله تعالى والتحلّي بالخُلق الحسن له تأثير كبير في نفوس الناس؛ لذلك حثت الشريعة عليه، فقد روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه أوصى بعض شيعته فقال لهم: « كونوا لنا دعاة صامتين. قالوا: وكيف ذلك يا بن رسول الله؟ قال: تعملون بما أمرناكم به من طاعة الله وتنتهون عما نهيناكم عنه ومعاصيه، فإذا رأى الناس ما أنتم عليه علموا فضل ما عندنا فسارعوا إليه ».[٢٤٢]

فلما نتتبع سيرة السيدة الزهراء الطاهرة سنجد أنها تمثّل الإسلام، فأعمالها نستنتج منها أحكام الله تعالى، ومن أخلاقها نستنتج أخلاق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ومن أفكارها وعقائدها نستنتج العقيدة التي دعانا إليها الله ورسوله...فبغض النظر عن أقوالها فأن كل أفعالها وحركاتها تدعو إلى الله، ونذكر من مصاديق دعوتها الصامتة الآتي:

١.عبادتها: ففي الحديث عن الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: « رأيت أُمي فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ قامت في محرابها ليلة جمعة فلم تزل راكعة وساجدة حتَّى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أُمّاه لِم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بُني الجار ثمَّ الدار ».[٢٤٣] وعن الحسن البصري: ما كان في هذه الامة أعبد من فاطمة كانت تقوم حتى تورّم قدماها.[٢٤٤]

٢.زهدها: روي عن جابر الأنصاري أنه رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فاطمة وعليها كساء من أجلة الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: « يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: يا رسول الله الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه، فأنزل الله ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾».[٢٤٥]

٣.طاعتها لزوجها: روي عن أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ انه قال : « فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عزّ وجلّ ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً ولقد كنت أنظر اليها فتنكشف عني الهموم والأحزان ».[٢٤٦]

وتذكر الروايات أنها عَلَيْهَا السَّلَامُ لما عادت من إلقاء خطبتها تستحث الإمام لطلب حقها من الغاصبين، قال لها: احتسبي الله- وما يكون منها سلام الله عليها إلا أن - قالت: حسبي الله، وأمسكت.[٢٤٧] ولم تنبس ببنت شفة بعدئذ. فهي بذلك جسدت موقفا جليلا بحد ذاته عظيما في معناه ومحتواه، فلقد جسدت معنى الطاعة والخضوع لإمامها وأظهرت معنى الولاية، وهي ابنة سيد الخلائق أجمعين.

٣.عفتها وحجابها: لقد كانت هذه السيدة الجليلة في عفتها وحشمتها مضرباً للأمثال، فكانت لا تخرج من البيت إلا والعباءة تستر جميع جسدها من الرأس إلى القدم.. وكانت تكره الاختلاط، ولا تخرج إلا للضرورة.... ورغم حياتها القصيرة إلا أنها حافلة بالدروس العظيمة عن العفة التي يجب على كل مؤمنة أن تقتدي بها، ولقد ذكرنا تفاصيل هذا الموضوع في المحاضرة المعنونة بـ(دروس عن عفة فاطمة) في هذ الكتاب، يمكنكم مراجعته.

إذاً لكي نمهّد لظهور الإمام المهدي عج وجب علينا الاقتداء بفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بأن نجعل كل أعمالنا قربة لله وفي سبيل الله، قال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٢٤٨] علماً أن الاقتداء بحجج الله المقرون بالانتظار يعد نوعاً من الجهاد الذي يطهر أنفسنا ويقربنا من صاحب الأمر والزمان عج... والنتيجة أن الفرد سيكون من جنود وأصحاب الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ سواءً شهد عصر ظهوره أو مات قبل ظهوره، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : « من مات منتظرا لهذا الأمر كان كمن كان مع القائم في فسطاطه، لا بل كان كالضارب بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالسيف ».[٢٤٩]

٤.تعظيم شعائر الله: كحزنها على فقد أبيها المتمثّل بالبكاء، فلقد كانت السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ تبكي على فقد أبيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليلاً ونهاراً حتى عُدت من البكائين الخمسة، ويروى أنه اجتمع شيوخ أهل المدينة وطلبوا من الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن تبكي أما في الليل أو النهار لأنهم يتأذون من بكائها.[٢٥٠]

وينبغي الالتفات إلى أن تأذّي بعض أهل المدينة أو جماعة السلطة، لا يمكن أن يكون من مجرّد بكاء السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ وذويها في بيتها أو في البقيع ، بل من مجلسها الذي كان يحضره نساء الأنصار فيأخذ قسماً من النهار وجزءاً من الليل، وتندب فيه النادبات، ويقرأنَ فيه القرآن والشعر، وربّما تحدّثت فيه فاطمة ! ثمّ تنعكس أخباره وأجواؤه على مدينة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وحكومتها الجديدة، [٢٥١] ولذا اعترضوا على بكاءها!... وهكذا بقيت مولاتنا فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ مظلومة حزينة إلى أن ارتحلت من الدنيا، وأرادت من الأمة أن تستيقظ من غفلتها لتطلّع على ظلاماتها، ولكن لكونها تعلم أن الحقائق سوف تُزوّر من قبل الشيخين لذا طلبت من الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يخفي قبرها لكي يسأل العاقل نفسه: إن ذرية رسول الله انحصرت بفاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، فلماذا لا يوجد لها قبرٌ؟

فإذا بحث سيكتشف الحقيقة الغائبة عن أغلب المسلمين...سيعرف الظلامات العظيمة التي تعرضت لها المظلومة والتي أدهشت حتى المعصومينعليهم السلام، فقد ورد في البحار عن زكريا بن آدم قال: كنت عند الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذ جيء بأبي جعفر الجواد وسنه أقل من أربع سنين فضرب بيده الأرض ورفع رأسه إلى السماء فأطال الفكر فقال له الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بنفسي فلم طال فكرك؟ فقال: فكرت فيما صنع بأمي فاطمة... قال فاستدناه فقبل الرضا بين عينيه وقال: بأبي أنت وأمي لها يعني الإمامة.

هذا إمامنا الجواد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أما إمامنا الحجة المنتظر روحي له الفداء فكذلك هو حاله فقد رآه المرحوم السيد باقر الهندي في الرؤيا ليلة الغدير كئيبا باكيا فقال له سيدي الليلة ليلة فرح الليلة تنصيب جدك أمير المؤمنين خليفة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ. قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نعم ولكن:

لا تراني اتخذت لا وعلاها *** بعد بيت الأحزان بيت سرور

أقول: إن إمامنا المنتظر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نظر إلى مصيبة جدته فاطمة بعين القلب ولم ينظر بعينه إلى بيت الأحزان ولكن ساعد الله قلب سيدي ومولاي أمير المؤمنين الذي بنى بيده لفاطمة ذلك البيت كيف هو حاله وهو يرى تلك المصائب؟

نعم هذا هو حال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ [٢٥٢]:

فراقُكِ أعظمُ الأشياءِ عندي وفقدُك فاطمٌ أدهى الثكول
سأبكي حسرةً وأنوح شجوا على خِلٍّ مضى أسنا سبيلِ
ألا يا عينُ جودي واسعديني فحزني دائما أبكي خليلي

ولسان حال أمير المؤمنين مخاطباً رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ :

يا رسول اللّه عصرها اوطكت اضلوع الطهر
يارسول اللّه اونبت مسمار بابك بالصدر
يارسول اللّه اوسكط محسن حملها امن العصر
وانغشه اعليهاعداها اللوم يابن امي اوعداك
يارسول اللّه اوكلت لي الصبر وبأمرك رضيت
اتجرعت هلهظم كله اوعن هلمْصايب غضيت
عاد كلي اشلون يابن امي خذوني مِنِ البيت
بالحبل مجتوف خاب اللي عصه ربه اوعصاك
فزَّت او ركضت ورايه خايفه لن انچتل
ريتني بالچتل بس لا شاهدت ذاك الفعل
شفت متن البضعه تلعب فوكه اسياط النذل
او رد سطرها عله العين اوعلوجن وهي تنخاك

(بحر طويل)

من ضرب العصه ماضل حال الهه ولاضل حيل
لما ماتت ابغصتها يويلي اولا يفيد الويل

غســلها علــي بيــده او كفنهــا او دفنهــا ابليل

اورد بس يجذب الحسره اوبس يتوسـف اعليها

(أبوذية)

ادموعــك يــا المحــب ادمــوم ســلها علــى الماتــت ونيــن الليــل ســلها

إذا تنســه المصــاب البــاب ســلها علــى المحســن او عــن ضلــع الزچيــه

***

ثـم انثنـت عبـرى تُجـــــــرُّ رداءهـا تحكـي بِمشـيتِه البشـيرَ المــنذرا

فمــن المعــزّي للرســول ببضعــةٍ أوصــى بهــا ومَــن المعــزّي حيــدرا[٢٥٣]

٣ جمادى الآخرة

شهادة السيدة الزهراء (عليها السلام)

على رواية ٩٥ يومًا

السّلامُ عليكِ أيّتها التّقيّة النّقيّة

المناسبة

شهادة السيدة الزهراء عليها السلام

على رواية ٩٠ يومًا

القصيدة للمرحوم الشيخ محسن أبو الحب الكبير

أو قيل مريم قلت فاطم أفضل ... إن قيل حوّا قلت فاطم فخرها

أم هل لمريم مثل فاطم أشبل ... أفهل لحوّا والد كمحمّدٍ

منها عقول ذوي البصائر تذهل ... كلّ لها عند الولادة حالة

رطبا جنيّاً فهي منه تأكل ... هذي لنخلتها التجت فتساقطت

أنّي وحارسها السّريّ[٢٥٤] الأبسل ... وضعت بعيسى وهي غير مروعةٍ

بنت النّبيّ فأسقطت ما تحمل ... وإلى الجداروصفحة الباب التجت

من كّل ذي حسبٍ لئيم جحفل ... سقطت وأسقطت الجنين وحولها

ويردها هذا وهذا يركل ... هذا يعنّفها وذاك يدعهّا

بالحبل قنفذ هل كهذا معضل ... وأمامها أسد الأسود يقوده

تشكو الى رب السماء وتعول ... ولسوف تأتي في القيامة فاطم

بشكايةٍ منها السّما تتزلزل ... ولتعرفنّ جنينها وحنينها

غصبوا وأبنائي جميعاً قتّلوا ... ربّاه ميراثي وبعلي حقّه[٢٥٥]

(مجردات)

آمر على عبده ضربني ... او من ضربته للكاع ذبني
اولا انكسر كلبه اولا رحمني ... امن الناس ما واحد حشمني
وين انته رحت يابويه عني ... ماتشوف كوم المرمرتني
الكسرت اضلوعي او سكطتني ... وامن البچه اعليك امنعتني [٢٥٦]

(أبوذية)

تون والگلب يابو احسين داوي ... او من عدها ضلع مكسور داوي
احرگوا بابك او ظل الباب داوي ... او دمعها او طاح ابنها اعله الوطيه

(أبوذية)

سطرني او دم تسيل العين واجرت ... او مثل امصيبتي ما سدت واجرت
ابني والضلع والباب واجرت ... او علي گادوه وآنه انغشه اعليه [٢٥٧]

المحاضرة الخامسة

فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ سيدة نساء العالمين

روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال :

« إن هذا ملك مقرب لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربّه أن يسلّم عليّ ويبشرني بأنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة » [٢٥٨]

مباحث الرواية النبوية الشريفة

المبحث الأول: دلالات الحديث الشريف

يقول العلماء من خلال مراجعة الحديث-محل البحث- أنّه ممن أتفقت عليه العامة والخاصة[٢٥٩] حيث نقلته كتب الفريقين المعتمدة خصوصاً عند السنة وفي الصحاح الستة، وعليه فلا مجال للطعن أو النقاش في سند هذا الحديث المبارك الذي يظهر كرامة السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ على الله وعلى الرسول الأكرم محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والحديث يروي لنا قصة ملكٍ لم ينزل إلى أرض سابقاً إستأذن الله تعالى أن يسلم على رسوله الكريم وأنّ يبشره بأن فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ هي سيدة نساء أهل الجنّة).[٢٦٠]

لمّا نقف على حديث رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نجد فيه عدة دلالات وإشارات، نذكر منها ما يلي:

١.إن الحديث فيه إشارة بأن رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مطلّع على علم الملكوت الذي هو باطن عالم الدنيا، بدليل قوله « إن هذا ملك»، ونحن نعلم أن الملائكة والشياطين والأرواح ونعيم الجنة وعذاب النار من سنخ عالم الآخرة الذي لا يراه الإنسان إلا بعد موته، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [٢٦١]، أو عند الوصول لدرجة اليقين التي هي درجة

الصديقين، قال تعالى: ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾.[٢٦٢]

٢.نستنتج من هذا الحديث أن هناك حدثاً وأمرا مهماً يريد الله أن يبشّر به رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بدليل قوله « إن هذا ملك مقرّب »، فلو كان خبراً عادياً لبلّغه لملك من الملائكة العاديين، فرئيس الدولة لما يريد أن يبلّغ شخصا خبراً مهماً جداً فلا يرسل مراسله المتعارف بل يرسل الأعز والأقرب الذي لم يرسله سابقا لأحد.

٣.نستنتج من قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « إستأذن ربّه »، بأن هذا الخبر خبر إلهي لأن الملائكة لا تتحرك إلا بأذن الله، قال تعالى:﴿بل عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [٢٦٣] وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ويبشرني » يدل بأن الخبر مفرح.

٤. العبارة المهمة التي نريد الوقوف عليها هي قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ « بأنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة »، يا ترى ما معنى (السيدة)؟

الجواب: السيدة مؤنث السيد[٢٦٤]، قال تعالى:﴿ سَيِّداً وَحَصُوراً ﴾[٢٦٥]، يقول السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري (قدس) ما مضمونه: السيد هو الذي يسود غيره إما في الزعامة وتولّي أموره، أو في الفضائل المحمودة والأخلاق الكريمة، فيكون فائقا على غيره، ... وساد غيره في الكمال. [٢٦٦]

وفي الحديث عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذي قال فيه: «أنا سيد ولد آدم، ولا فخر» [٢٦٧]، أي أنه ساد غيره في الكمال والفضائل، فقد روي عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لي: يا أبا محمّد إن الله عزّ وجلّ لم يُعطِ الأنبياء شيئاً إلا وقد اعطاه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ » وقد أعطى محمداً جميع ما أعطي الأنبياء أعطاه لنا» [٢٦٨]

وهذا يعني أن معنى «بأنّ فاطمة سيدة النساء» أن كل الكمالات والمناقب والفضائل التي ثبتت لمن هو دونها ثابتة لها وزيادة، كما هو الحال مع أبيها سيد الأنبياء والمرسلين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. فـ(السيدة) من ألقاب فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ. وهناك نصوص عديدة تثبت بأن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ هي سيدة نساء العالمين، نذكر منها ما رواه الحاكم بإسناده إلى عائشة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال وهو في مرضه الذي

توفي فيه : « يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء المؤمنين ». [٢٦٩]

وروى المجلسي في بحار الأنوار: «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين. [٢٧٠]

بل أن نفس الحديث-محل البحث-يثبت ذلك، فقول الرسول ص: «بأنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة»، يعني أنها سيدة نساء العالمين، ابتداءً من حواء إلى آخر امرأة قبل قيام الساعة؛ لأن الدنيا مزرعة الآخرة، فالمقامات الأخروية هي تجسيد للمقامات الدنيوية.

المبحث الثاني: إشكالات وردود عن فاطمة ومريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

من القضايا العقائدية والمسلّمات لدى الشيعة الإمامية هي مسألة تفضيل السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ على كل النساء، فهي سيدة نساء العالمين، حتى سادت على النسوة الثلاثة الكُمَّل[٢٧١] من آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد عليهن السلام.

ولكن اعترض بعض المخالفين على هذا الاعتقاد، وقالوا بأن (سيدة نساء العالمين) هي السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ وليست فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، وطرحوا بعض الاعتراضات، وسوف نذكرها ونردّ عليها ليتبين لنا أفضلية السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ على السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

علماً أننا لا نقصد ببحثنا الانتقاص من قدر السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ، حاشا لله، فهي امرأة عظيمة، ولكن تبقى فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ هي الأعظم، فالعقل يحكم بقبح تفضيل المفضول على الفاضل[٢٧٢]، لذا لا بدّ من كشف الحقيقة. وأما الاعتراضات فهي كالآتي:

الاعتراض الأول: إن سيدة نساء العالمين ليست السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ بل هي السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢٧٣]!!!

الجواب: سنقف على معنى (الاصطفاء)، و(التطهير)، و(العالمين) المذكورة في الآية لنتمكن من حل الإشكال، وسنوضحه في النقاط الآتية:

أولاً: فيما يتعلق بالاصطفاء-أي الاختيار-في قوله تعالى:﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾، ما المقصود به، ولماذا ذُكر مرتين في الآية؟

ابتداءً وجب أن نعلم أن آيات الله تعالى لا يجوز أن تفسيرها بالرأي، قال رسول الله ص: من قال في القرآن برأيه -أو بما لا يعلم -فليتبوأ مقعده من النار.[٢٧٤]، بل يجب أن نأخذ تفسيره من أهل الذكر، قال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[٢٧٥]، و(أهل الذكر) هم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ولما نراجع روايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نجد أن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ يفسّر الآية قائلاً: « اصطفاك من ذرية الأنبياء، وطهرك من السفاح، واصطفاك لولادة عيسى من غير فحل، وخرج بهذا من أن يكون تكرارا ». [٢٧٦]

للتوضيح: إن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ يذكر بأن معنى الاصطفاء الأول -أي الاختيار- للسيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ هو كونها مصطفاة من ذرية الأنبياء، فمريم بنت عمران هي بنت نبي، فقد روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّ عمران كان من أنبياء بني إسرائيل [٢٧٧].

وحينما نأتي للسيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ نجد أنها مصطفاة من أفضل الأنبياء والرسل وهو نبي الرحمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولاشك أنّ البضعة من نبينا هي خير من البضعة من غير نبينا، أذن تبيّن أن رتبة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ في الاصطفاء الأول أعلى من رتبة السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

وأما الاصطفاء الثاني -الذي ذكره الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ- للسيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ فهو أن الله تعالى اصطفاها لولادة النبي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ . وحينما نأتي إلى السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ نجد أن الله اصطفاها لولادة الإمامين الحسنين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ سيدي شباب أهل الجنة، ومعلوم أن رتبة الإمامة اعلى من رتبة النبوة- كما سنوضحه لاحقا-، واصطفاها لتكون الجدّة للتسعة المعصومين من ذرية الإمام الحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، آخرهم الإمام المهدي عج الذي سيصلي خلفه نبي الله عيسى

عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثانياً: وأمّا ما يتعلق بالطهارة فالإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ فسّر معنى ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ بحق مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ أي طهرك من السفاح، فالمقصود من السِّفَاحِ: الزِّنَى، قال تعالى: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ [٢٧٨]، لكون السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ لما انجبت نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من غير أب رُميت بالزنا، فقالوا لها: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [٢٧٩]، فلذا طهرها الله تعالى من ذلك في هذه الآية.

ولو سلّمنا بأنّ ما ذكرته الرواية في حق السيدة مريم من باب ذكر المصداق وإن الاصطفاء والطهارة للسيدة مريم أوسع من ذلك، ولكن لما نأتي للسيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ نجد أنها نالت من الله تعالى اعلى درجات الطهارة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [٢٨٠]

فالتأمل في آية التطهير يجد أن الله تعالى قد حصر اذهاب الرجس والتطهير بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومنهم الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ بأداة الحصر ﴿إِنَّمَا﴾، أي طهرها من أي نوع من أنواع القذارات الفكرية والروحية والعملية التي من أبرزها الذنوب والمعاصي الصغيرة والكبيرة. مع ملاحظة أن الله (أكدّ التطهير بالمصدر بقوله ﴿وَيُطَهِّرَكُم تَطهِيراً﴾ بخلاف ما قال في حق السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ حيث لم يؤكد التطهير فقال ﴿وَطَهَّرَكِ﴾. قال ابن حجر في الصواعق المحرقة، ص ١٤٤: وحكمة ختم الآية بـ ﴿تطهيراً﴾ المبالغة في وصولهم لأعلاه وفي رفع التجوز عنهم ثم تنويه تنوين التعظيم والتكثير والإعجاب المفيد إلى انه ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف). [٢٨١]

أذن تبيّن أن الطهارة على مراتب ودرجات، فالذي ثبت للسيدة لفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ هو أعلاها درجة، بخلاف السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

ثالثاً: فيما يتعلق بـ﴿الْعَالَمِينَ﴾ هناك نصوص روائية عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تقيّد اطلاق لفظ ﴿الْعَالَمِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿.. عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ بكونها سيدة نساء عالمها. بينما فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ هي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين. وهذا ما أخبرنا به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فقد روي عن سعيد بن

المسيب عن ابن عباس قال: « إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان جالساً ذات يوم ، وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ » فقال : اللهم إنك تعلم إن هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس علي فأحب من أحبهم وأبغض من أبغضهم وأوالي من والاهم وأعادي من عاداهم ... إلى أن يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حق فاطمة ... وإنها لسيدة نساء العالمين . فقيل يا رسول الله، أهي سيدة نساء عالمها ؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : ذاك لمريم بنت عمران ؛ فأما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين : وإنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾[٢٨٢]

فيكون الحديث بمثابة تحديد لإطلاق كلمة العالمين التي وردت في الآية القرآنية فتكون النتيجة أن مريم سيدة نساء عالمها وزمانها، بينما فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، أي ان السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ أفضل من كل امرأة خلقها اللَّهُ سواءً في الأمم السابقة أو الحاضرة أو اللاحقة الى قيام الساعة.

رابعـاً: إن حمل كلمة ﴿الْعَالَمِينَ﴾ في القرآن الكريم على المعنى المطلق في كل آية يستلزم منه التعارض، وللتوضيح لنقف على النقاط الآتية:

١. وردت كلمة تفضيل على العالمين لأنبياء بني إسرائيل في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[٢٨٣]، فالآية الشريفة بيّنت أن الله تعالى فضل أنبياء بني إسرائيل على العالمين هذا هو الظاهر منها ولكن من منّا يقول إن هؤلاء الأنبياء أفضل من نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ؟!

وأن القول بأن أنبياء بني إسرائيل-ومنهم يونس-هم أفضل أنبياء العالمين من الأولين والآخرين -ومن جملتهم النبي محمد ص-سيستلزم منه التناقض؛ لأن الله تعالى ينهى نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يكون كنبي الله يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾[٢٨٤]؛ لأن منزلة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ورتبته اعلى وأفضل منه.

٢.وردت كلمة تفضيل على العالمين لبني إسرائيل، قال تعالى:﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٨٥) فإذا التزمنا بأن لفظ العالمين يُحمل على اطلاقه فلزم منه أن يكون اليهود أفضل من المسلمين ومن كل الناس وهذا لا يمكن الالتزام به لأسباب نذكر منها الآتي:

۞ هذا القول سيعارض قوله تعالى بأن أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هي خير أمة، قال تعالى:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (٢٨٦)، وسيعارض نصوصاً شرعية أخرى قرآنية وروائية تثبت ذلك.

۞ المدح بكونهم افضل الأمم سيتعارض مع الذم النازل بحقهم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقّ ﴾ (٢٨٧)، وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ (٢٨٨)

إذن من نفس مفردات القرآن الكريم نستفيد من كلمة﴿الْعَالَمِينَ﴾ أنها قد ترد بالمعنى المقيّد، أي بعالم زمانهم لوجود القرينة المتصلة أو المنفصلة، سواء كانت كلمة (عالمين) في قضية تفضيل اليهود أو تفضيل الأنبياء، وسواء أكانت القرينة قرآنية-كما ذكرنا-أو قرينة روائية، مثال ذلك: اطلاق حرمة الربا في قوله تعالى: وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾(٢٨٩) تقيّده بعض النصوص الروائية، فقد روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: ليس بين الرجل وولده ربا.(٢٩٠)، وهناك أحكام أخرى مطلقة في القرآن تقيدها القاعدة المستنبطة من الحديث النبوي «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام» المتفق عليها عند الفريقين.

وهذا الأمر ينطبق على السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ ، فتكون كلمة عالمين يعني عالم زمانها ليس إلاّ (٢٩١)؛ لأننا ذكرنا عدة نصوص روائية تثبت ذلك.

الاعتراض الثاني: لماذا القرآن لم يذكر اسم فاطمة بأنها سيدة نساء العالمين كما ذكرت مريم؟

الجواب: ونردّ عليه بالنقاط الآتية:

أولاً: من أجل حفظ القرآن الكريم من التحريف، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[٢٩٢]، فنحن نعلم أن بعض المسلمين منافقون ارتدوا بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن الولاية، قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾[٢٩٣]، (فاغتصبوا الخلافة، وظلموا فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ فسرقوا منها أرض فدك، وهجموا على دراها وكسروا ضلعها وأسقطوا جنينها وضربوها، وأعرضوا عن الأحاديث النبويَّة التي قالها في شأن أهل البيت وخلافتهم .فلو كان اسمها مذكوراً في القرآن الكريم لأدَّى ذلك لتحريف القرآن أو أن ينكروه، ويقولوا: إن النبي ليهجر، كما قالها بعضهم في مرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عندما طلب منهم الدواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلُّوا بعده .وهذا يعني إنكار الدستور الإسلامي، وإنكار الإسلام كُله، وهذا يتنافى مع الحكمة الإلهية، فاقتضت الحكمة أن لا يذكر اسم علي وفاطمة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ولا الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من بعده في القرآن. وإنما يذكر في ترجمانه، وفي عِدل القرآن، أي السنّة الشريفة، ليؤمن من يؤمن، وليكفر من يكفر، فما ذلك لله بضار)[٢٩٤] وما أكثر الأحاديث والمصادر من طرق السنة، تدل على كون السيدة فاطمة سيدة نساء العالمين، ومنزلتها العظيمة، وهكذا الأمر مع الأئمة الاطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ثانياً: إن الرجوع إلى سنة محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أمرٌ ضروري باعتبارها شارحة ومبيّنة للقرآن، ولذا لا يمكن الاكتفاء بالقرآن دون السنّة، روي عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قول الله عز وجل: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ فقال: « نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : فقلت له: إن الناس يقولون: فما له لم يسمِ عليا وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في كتاب الله عز و جل؟ قال: فقال: قولوا لهم: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نزلت عليه الصلاة ولم يسمِ الله لهم ثلاثا ولا أربعا، حتى كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو الذي فسر ذلك لهم، ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهما درهم، حتى كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو الذي فسر ذلك لهم، ونزل الحج فلم يقل لهم: طوفوا أسبوعا حتى كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو الذي فسر ذلك لهم، ونزلت ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ونزلت في علي والحسن والحسين - فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : في علي: من كنت مولاه، فعلي مولاه، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإني سألت الله عز وجل أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما علي الحوض، فأعطاني ذلك... ».[٢٩٥]

ثالثاً: إن للقرآن منهجاً واضحاً في آيات الذكر الحكيم، وهو: ذكر أسماء بعض الماضين سواءً كانوا صالحين أم طالحين؛ لأخذ العبرة والتذكّر، وعدم ذكر من يأتي مستقبلاً، سواءً كان صالحاً، كفاطمة والمهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أو طالحاً، كالدجّال.[٢٩٦]

وإن القران الكريم عندما يذكر الأسماء لا يذكر الاسم مع سبعة أجداد كأن يقول: نوح ابن فلان ابن فلان ابن فلان.. حتى لا يقع الاشتباه بينه وبين غيره, وإنما الذي يقوله : نوح، إبراهيم، موسى، زكريا وغيرهم...فالقرآن إذا ذكر اسم (فاطمة)، فأن المنافقين والنواصب إذا لم يحذفوها فأنهم سوف يوهمون الناس بأن ليس المراد من (فاطمة) في القرآن هي بنت النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بل قد تكون فاطمة بنت أسد أو فاطمة بنت الزبير، أو فاطمة بنت حمزة وغيرهن من الفاطميات المعاصرات للسيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ؟![٢٩٧]

إن القرآن الكريم استعمل أسلوباً أفضل من أسلوب ذكر الأسماء، وهو التوصيف، والتوصيف أدق بمراتب من الاسم؛ لأنَّ الاسم مشترك، والتوصيف لا يقبل الاشتباه ولا يقبل الخطأ ولا التطبيق على أي أحد، كقوله تعالى: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ [٢٩٨]، فلقد ذكر المفسرون -سنة وشيعة-بأن الذي آمن واقام الصلاة وتصدق أثناء ركوعه هو علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي أن هذا الوصف مختص به فقط. بينما لو قال الله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وعلي) لتعرض القرآن للتحريف أو لنسبوه لشخص آخر اسمه علي.

وأيضاً في آية المباهلة لم يقل تعالى: ﴿مَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلمِ فَقُلْ تَعَالُوا نَدْعُ **الحسن والحسين وفاطمة وعلي** ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾، بل ذكر وصفهم قائلاً: ﴿مَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلمِ فَقُلْ تَعَالُوا نَدْعُ أَبنَاءَنَا وَ أَبنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُم وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُم ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾ [٢٩٩] فالكل يشهد بأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يجلب معه في يوم المباهلة من النساء سوى السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ وعبّر عنها بـ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ رغم انها امرأة واحدة. وهكذا الحال مع آية التطهير والإطعام، وآية المودة، وسورة الكوثر، وقوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ﴾ [٣٠٠]، وغيرها من الآيات التي تثبت بأنها نازلة في أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومن ضمنهم السيدة فاطمة

عَلَيْهَا السَّلَامُ.

الاعتراض الثالث: إن للسيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ كرامات غير موجودة عند الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، ومنها الكرامة التي ذكرها تعالى بقوله: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٣٠١] لذا تبقى السيادة لمريم !!

الجواب: إن هذه الكرامة ليست مختصة بالسيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ، بل تحققت مع السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، ففي كتاب ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري « إن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ استقرض ديناراً ليشتري به طعاماً لأهله ، فالتقى بالمقداد بن الأسود في حال إزعاج ولما سأله الإمام قال: تركت أهلي يبكون جوعاً ، فآثره بالدينار على نفسه وأهله وانطلق الى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصلى خلفه وبعد الصلاة قال النبي لعلي: هل عند شيء تعشينا به؟ وكأن الله قد أوحى إليه أن يتعشى عند علي، فأطرق علي لا يحير جواباً، فأخذ النبي بيده، وانطلقا إلى بيت فاطمة، وإذا بجفنة-وعاء-من الطعام فقال لها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّى لك هذا ؟ قال له النبي : هذا ثواب الدينار ، هذا من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب، الحمد لله الذي أجراك يا علي مجرىٰ زكريا واجراكِ يا فاطمة مجري مريم، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ... » [٣٠٢]، وعليه قد ثبتت هذه الفضيلة للسيدة للزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ مثلما ثبتت للسيدة مريم سواءً من طرق العامة أو الخاصة.

ونحن نعتقد أن السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ لا فقط تملك كل كرامات مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ، بل أكثر من ذلك لذا صارت سيدة نساء العالمين[٣٠٣]، ولقد ذكر العلماء في كتبهم عشرات الكرامات، والواقع يثبت تحقق الآف الكرامات بفضل التوسل بها عَلَيْهَا السَّلَامُ.[٣٠٤]

الاعتراض الرابع: إن السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ أنجبت عيسى من غير أب، وهذه الخصوصية غير موجودة عن السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ؟

ونجيب عن ذلك بهاتين النقطتين:

١ . إن الله تعالى اقتضت حكمته أن تنجب السيدة مريم نبياً لطهارتها، وأن الولادة الطبيعية لحجة من حجج الله تعالى تستلزم أن يكون لها زوج طاهر كفؤ

لأن الخصائص الوراثية للجنين يكتسبها من طرفي الزوجين، لذا نقرأ في زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُوراً فِي الْأَصْلَابِ الشَّامِخَةِ، وَالْأَرْحَامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجَاهِلِيَّةُ بِأَنْجَاسِهَا، وَلَمْ تُلْبِسْكَ مِنْ مُدْلَهِمَّاتِ ثِيَابِهَا.

ولم يكن في زمن السيدة مريم رجل كفؤ لها ليتزوجها، ولذا كانت الولادة اعجازية، وهناك أسباب أخرى استدعت الاعجاز الولادي نتركها للاختصار.

وحينما نأتي إلى السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ نجد أن الكفؤ موجود وهو أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: لولا أن الله تعالى خلق أمير المؤمنين لم يكن لفاطمة كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه.[٣٠٥]

إن توفر الكفؤ يقتضي الانجاب بالطريقة الطبيعية-الزواج-دون الحاجة إلى الإنجاب من غير أب كما حصل مع مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ.

٢ . أما بالنسبة للسيدة مريم وأنها ولدت نبياً ولم تلد السيدة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ نبياً فهذا يُردّ عليه بأن ولادة الأنبياء في بني إسرائيل حتى وإن كانت طبيعية أو غير طبيعية لا يدل ذلك أن الأنبياء من بني اسرائيل أفضل من أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، فلقد ثبت بالأدلة القاطعة أن أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ لا يدانيهم آل من الآل سواءٍ آل عمران أو آل لوط ... وغيرهم ممن ذكرهم القرآن الكريم فهؤلاء لا يصلون ولا يرتقون إلى منزلة أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.[٣٠٦]

وربما محل الأشكال أن الناس تعتقد أن رتبة النبوة اعلى من رتبة الإمامة، في حين أن العكس صحيح. وللتوضيح نقول: (إنّ النبوّة هي رتبة لمن يتلقّى أخبار الغيب ليوصلها إلى الناس، والرسول هو: النبيّ الذي يأتي بشريعة خاصّة بوحي يوحى إليه؛ فهو أرفع مكانةً من النبيّ[٣٠٧].

، وأمّا الإمام فهو: من كانت له مهمّة التطبيق وقيادة المجتمع البشري وتنفيذ الوحي، فهو أعلى رتبةً من النبيّ والرسول, وممّا يدلّ عليه - على سبيل المثال لا الحصر - أنّ الإمامة أعطيت لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد مدّة طويلة من نبوّته ورسالته، وبعد خضوعه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأوامر امتحانيّة صعبة، قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابتَلَى إِبرَاهِيمَ رَبُّهُ

بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ [٣٠٨]، والمتيقّن: أنّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان نبيّاً ورسولاً قبل هذه الامتحانات لتلقّيه الكلمات من ربّه وحياً.[٣٠٩]

وأيضاً نبي الرحمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ له ثلاثة مراتب، مرتبة النبوة، والرسالة، والإمامة. ولكن نيل مرتبة الإمامة لا يشترط فيها نيل رتبة النبوة، فأهل البيت الاثني عشر المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نالوا رتبة الإمامة دون النبوة، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.[٣١٠]

ولكل مرتبة درجات ومراتب، ولقد بلغ أعلى الدرجات وأكملها نبي الرحمة محمد ص، ومن بعده أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أي أنهم اعلى رتبة من كل الأنبياء عدا الخاتم محمد ص.

إذن لمّا ولدت السيدة مريم نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنّ السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ولدت حسناً وحسيناً، وهما -بتعبير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- إمامان قاما أو قعدا.[٣١١] ولا يقاس بهما لا نبي من أنبياء بني إسرائيل ولا وصي، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « علماء أُمتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل »[٣١٢]، فعلى أقل تقدير أن تفسير (علماء أُمتي) هم الأئمة بالخصوص فتكون الأفضلية لفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ من هذه الجهة. وأيضاً أنّ عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ وكما وردت الروايات في ذلك إنَّه سوف يصلي خلف حفيد الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ وهو الإمام المهدي عج عند ظهوره الشريف، ومعلوم أن الإمام مقدم على المأموم.

الإعتراض الخامس: إذا كانت السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ أفضل من السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ، فبماذا تميّزت ؟

الجواب: لقد زادت الصديقة فاطمة على السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ بعدة امتيازات ذكرنا بعضها في مضامين الإعتراضات السابقة، ونذكر امتيازات أخرى وهي كالآتي:

أولاً: مريم بنت عمران هي بنت نبي، فقد روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّ عمران كان من أنبياء بني إسرائيل [٣١٣]، وهي أم النبي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

بينما فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ فهي بنت خير خلق الله لأنها بنت نبي الرحمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وزوجة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي هو نفس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾[٣١٤]، وأم الإمامين الحسنين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ سيدا شباب أهل الجنة، والجدّة للتسعة المعصومين من ذرية الحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

ويكفيها فخراً أنها بضعة نبي الرحمة، ومعلوم أن البضعة من نبينا خير من البضعة من غير نبينا. هذه البضعة التي قال فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « وأما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين، من الأولين والآخرين وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي وهي الحوراء الانسية ».[٣١٥]

فاطمة التي يغضب الله لغضبها، ويرضى لرضاها، ويغضبه ما يغضبها، ويبسطه ما يبسطها، ويُؤذيه ما يُؤذيها، ويسرّه ما يسرّها.[٣١٦]

ولمنزلتها العظيمة عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يفديها نفسه قائلاً: فداك أبوك ... أو (فداك أبي وأمي)[٣١٧]

ثانيـــاً: إن السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ تكوّنت نطفتها من ثمار الأرض، بينما السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ تكونّت نطفتها من ثمار الجنة، فهي الحوراء الأنسية كما ذكرنا ذلك في المحاضرة الثامنة المعنونة بـ(فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ جلال وجمال) في هذا الكتاب.

بل هي أفضل من مريم عنصراً وشرفاً وكرماً، لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ :«لو كان الحُسنُ شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم، إنّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً».[٣١٨]

ثالثـــاً: (فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ مفروضة الطاعة على جميع الخلق، فقد روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ : « ولقد كانت مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله ، من الجن والانس والطير والوحش والأنبياء والملائكة ».[٣١٩]

فالذي يظهر من هذا الحديث وغيره أن السيدة فاطمة مفروضة الطاعة على جميع الأولين والآخرين بما فيهم النساء والأنبياء والخلق كلهم، فاذا كان حال الصديقة

الكبرىٰ هكذا مع الأنبياء فكيف مع السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ ولم تكن نبية ؟

رابعاً: إن لفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ الشفاعة الكبرىٰ كما لأبيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، بينما لا يوجد عندنا نص في شفاعة السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ فلذلك يكون هذا الحديث المروي عن شفاعة السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ دليل علىٰ كونها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ومنهن مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ، وإلا كيف يكون لها مقام الشفاعة ؟

فقد روي في حديث طويل عن الله عزّ وجلّ:«يا فاطمة، وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني، لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفي عام أن لا أُعذّب محبّيكِ ومحبّي عترتك بالنار».[٣٢٠] [٣٢١]

خامساً: إن السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ قد تكفّلت برعاية حجة واحدة من حجج الله تعالى وهو النبي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بينما فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ قد تكفلت برعاية أربع حجج من حجج الله تعالى، أولهم أبيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الذي كناها بـ(أم أبيها) لعظم اهتمامها ومحبتها ورعايتها للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.[٣٢٢]، وثاني الحجج هو بعلها الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأما الثالث والرابع من حجج الله فهما ولداها الإمامان الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

سادساً: إن الإمتحان والإبتلاء الكبير الذي تعرضت له السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ يتمثّل في حملها من غير أب، قال تعالى:﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا *قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[٣٢٣]

بمعنى أن محنتها استمرت طوال مدّة حملها، التي قيل أنها ستة أشهر أو أقل من ذلك.[٣٢٤] وبعد أن كلمهم نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في المهد تبيّنت لهم المعجزة وعرفوا قدر السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

بينما المحن والإبتلاءات التي واجهتها السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ في فترة حملها بالإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لا تقل ألماً وحزناً مما تعرضت له السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ

حتى نزل فيها قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾[٣٢٥]

وسبب الكراهة والحزن لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أخبرها بأن الأمة ستقتله، وهذا الشعور طبيعي لأي أم، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: لما حملت فاطمة بالحسين جاء جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: إن فاطمة ستلد ولد تقتله أمتك من بعدك فلما حملت فاطمة بالحسين كرهت حمله وحين وضعته كرهت وضعه، ثم قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: هل رأيتم في الدنيا أماً تلد غلاماً فتكرهه ولكنها كرهته لا نها علمت أنه سيقتل، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾[٣٢٦]. [٣٢٧]

وهذا يدّل بأن كراهة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ لا تعني الاعتراض على قضاء الله، حاشا لله، فهم معصومون وهم من قالوا: «إنّا ندعو الله فيما يحب فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما يحب». [٣٢٨]، بل هو حزن على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن المعلوم أن الجزع فضلاً عن الحزن مستحب عليه عَلَيْهِ السَّلَامُ، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ:«كل الجزع و البكاء مكروه، ما خلا الجزع و البكاء لقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ». [٣٢٩]

وهكذا الحال مع حزن السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ على بقية أولادها وأحفادها لكون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أخبرها بتفاصيل ما سيجري عليهم من غدر وخيانة وقتل وتمثيل. بل زادت السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ على السيدة مريم في ابتلاءات أخرى أكثر وأعظم من ذلك، وهذا يدل على عظم إيمانها لكون الابتلاء يتناسب طردياً مع الإيمان، فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل. [٣٣٠]ونذكر منها باختصار الابتلاءات الآتية:

١.مواساة أبيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في رسالته ودفع الأذى عنه منذ طفولتها.

٢.إمتحانها بوفاة أبيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

٣.إغتصاب الخلافة من إمام زمانها علي ع

٤.غصب حقها من أرض فدك .

٥.الاعتداء عليها، وحرق دارها، وكسر ضلعها، وقتل جنينها، ولطمها على خدها.

٦. منع الأعداء أن تقيم مجلس البكاء عند قبر أبيها ص ... وهكذا استمر ظلمهم إلى أن ماتت...

رُبّ اعتراض يرد: بأن السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ قد برأت ذمّة الشيخين قبل موتها وانتهى الموضوع، فلماذا تقلّبون المواجع؟

الجواب: ونرد عليه بالنقاط الآتية:

١. إن تلك الأحداث التي جرت على البيت النبوي ليست من قبيل القضايا التاريخية الصامتة، وليست من قبيل أساطير القصّاص والمؤلفين، بل كان لها مساس بعقيدة المسلمين، وكان لها تأثيرات مصيرية على واقع الأمّة الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وقد تأثرت بها الأسس العقائدية والشرعية، فليس من الصحيح تناسيها والتغافل عنها بسبب العامل الزمني.[٣٣١] فإن واجبنا الشرعي يحتم علينا إحياء فريضتي التولي والتبري، أي تولي أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والتبرّي من أعدائهم، فلو سكتنا عن من ظلمهم واعتدى عليهم فممن سنتبرأ؟! فشرعا لا يمكن تولي كليهما لأن كل منهما يخالف الآخر ويستلزم منه ضياع المكلف.

٢.إن المصادر من كتب الفريقين تثبت أنها ماتت وهي غاضبة عليهم، فقد رَوى البخاري في كتاب الخمس قائلاً : فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت[٣٣٢]، و أخرج البخاري أيضاً في كتاب الفرائض و قال : فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت.[٣٣٣]

وذكر البخاري أيضاً في كتاب المغازي في باب غزوة خيبر قوله : فوجدت- أي غضبت عليه - فاطمة على أبي بكر فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت.[٣٣٤]

٣.إن إصرار السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ على أن تدفن سراً ولا يحضر هؤلاء جنازتها وإخفاء موقع قبرها أكبر دليل على عدم رضاها عليهما ...فإن من غير المعقول أن ترضى عليهما ثم تمنعهما من حضور جنازتها وتمنعهما حتى من معرفة قبرها خوفا من أن يتظاهرا بالحزن عليها...فأرادت عَلَيْهَا السَّلَامُ أن تفوّت عليهما الفرصة، فرصة

رضاها عليهما.

٤. لا يوجد دليل على توبتهم ..فمعلوم أن التوبة مشروطة بالإصلاح وإرجاع حقوق الناس، قال تعالى:﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣٣٥]، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إنه قال لقائل قال بحضرته أستغفر الله: « ثكلتك أمك! أتدري ما الإستغفار؟ إن للإستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معان: أولها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العود إليه أبدا، و الثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل أملس ليس عليك تبعة »[٣٣٦]

إذن الذي يريد أن يتوب وجب عليه الإصلاح...نسأل:

- هل أصلح الشيخان حالهما مع السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ؟
- هل أرجعا حق بعلها في الخلافة؟
- هل أرجعا حقها في أرض فدك؟
- هل دفعا ديّة اسقاط جنينها وكفّرا عن ذلك؟
- هل دفعا ديّة لطمها على خدها؟
- هل دفعا ديّة كسر ضلعها الشريف؟

الجواب: كلا لم يفعلا ذلك أبدا رغم أننا نجد السنّة حريصة على نقل أدق التفاصيل . نعم، هناك رواية تذكر أنهما حاولا نيل رضاها رغم عنادهما على الظلم، ولكنها رفضت، فقد روي أنه بعد الظلم الذي رأته السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ من الشيخين...كان الإمام علي يصلي في المسجد الصلوات الخمس فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله... إلى أن ثقلت فسألا عنها وقالا: قد كان بيننا وبينها ما قد علمت فإن رأيت أن تأذن لنا لنعتذر إليها من ذنبنا، قال: ذاك إليكما.

فقاما فجلسا بالباب ودخل الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ على السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ

فقال لها: أيتها الحرة فلان وفلان بالباب يريدان أن يسلما عليك فما تريدين؟ قالت: البيت بيتك، و الحرة زوجتك، إفعل ما تشاء! فقال: سدي قناعك فسدت قناعها وحولت وجهها إلى الحائط، فدخلا وسلما وقالا: أرضِ عنا رضي الله عنك فقالت: ما دعا إلى هذا؟

فقالا: إعترفنا بالإساءة ورجونا أن تعفي عنا فقالت: إن كنتما صادقين فأخبراني عما أسألكما عنه، فإني لا أسألكما عن أمر إلا وأنا عارفة بأنكما تعلمانه، فإن صدقتما علمت أنكما صادقان في مجيئكما قالا: سلي عما بدا لك.

قالت: نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: « فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني »؟ قالا: نعم فرفعت يدها إلى السماء فقالت: « اللهم إنهما قد آذياني فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك، لا والله لا أرضى عنكما أبدا حتى ألقى أبي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما ». (٣٣٧)

وهكذا ظلت حزينة مهضومة لفراق أبيها ومن الظلم الذي رأته من قبل المنافقين (وبكت حتى انصدع قلبها، فقال لها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: « أقلي من البكاء وتعزى بالعزاء فإني أخشى عليك أن تكوني من الهالكين» قالت: يا ابن العم، لا تلمني، واعذرني، فإن الفراق مرَّ المذاق خصوصا فراق أبي، سلطان الرسل، وهادي السبل، و حبيب قلبي ونور عيني وسيدي و سنادي، وملجئي و ملاذي، و عصمة أمري وقوة ظهري رسول الله ثم أخذت قبضة من صعيد قبره الشريف، ووضعتها على أنفها و عينيها وشمتها و أنشأت تقول:

ماذا على مَن شَمَّ تربةَ أحمدٍ ... أن لا يَشَمَّ مدى الزمانِ غواليا

صُبَّت عليَّ مصائبٌ لو أنها ... صبت على الأيامِ صِرنَ لياليا

قد كنتَ لي جبلا ألوذ بظلِّه ... واليوم تُسلمني إلى أعدائيا (٣٣٨)

(نصاري)

طبت دارها او ظلت عليله ... او جفنها امن الولم ما غمض ليله

تـروح الكبـر ابوهـا تشـتكيله وهو ابكبره على الزهره ايتـولم

(فائزي)

گومك يبويه خالفوا فينا الوصـيه بس غبت عنه اتواثبوا كلهم عليه
أخبرك يبويه نحلتي مني خذوهـا وبنتك يبويه بعد عينك ما رعوها
إضلوعي يبويه ابساتر الباب اكسروها واتجمعوا كلهم على بعلي او عليه
ريتك تراهم يوم دخلوا وسطة الـدار من بعد ما وجّوا يبويه الباب بالنار
او حامي الحمه جالس يبو ابراهيم محتار وآني حزينه واذرف ادموعي جريه

(نصاري)

كومك يبويه ما رعـونـي واخـلاف عينـك مرمـونـي
وامـن البچـه اعليـك امنعونـي او وره البـاب لمـن هيِّسـونـي
للحايـط اوليهـه اعصرونـي كسـروا اضلوعـي او سـكطونـي

اوبره المدينة طلّعوني

* * *

رضّـوا أضالعَهـا أجـروا مدامعَهـا أدمـوا نواظرَهـا ميراثَهـا غصبـوا[٣٣٩]

١٤ جمادى الآخرة

وفاة السيدة أم البنين (عليها السلام)

السلام عليك يا عزيزة الزهراء

المناسبة

وفاة السيدة أم البنين الكلابية عَلَيْهَا السَّلَامُ

القصيدة: للشيخ محمد علي اليعقوبي

بكيتُ على ربعِكمْ ... فأخصبَ من أدمعي ممرعا
فلا النومُ خالطَ لي ناظرا ... ولا اللومُ قد خاضَ لي مسمعا
جزِعُ ولولا الذي قد أصاب ... بني الوحي ما كدتُ أن أجزعا
بيوم به ضاع عهدُ النبيِّ ... وخانت أميةُ ما استُودِعا
غداةَ أبو الفضلِ لفَّ الصفوفَ ... وفلَّ الضبا والقنا المشرَعا
رعى بالوفاءِ عهودَ الاخاءِ ... رعى اللّهُ ذمةَ موفٍ رعى
وحولَ الشريعةِ تحمي الفراتَ ... جموعٌ قضى البغيُ أن تُجمعا
فجنَّبَ وردَ المعينِ الذي ... به غُلةُ السبطِ لن تُنقعا
وآبَ ولم يُروَ من ... وجرَّعهُ الحتفُ ما جُرِّعا
فخرَّ على ضفةِ ... صريعا فأعظِمْ به مصرعا
قطيعَ اليمينِ عفيرَ الجبينِ ... تشُقُّ النصالُ له مضجعا
وإن أنسَ لا أنسى أمَ البنين ... وقد فقدت وِلدها
تنوحُ عليهم بوادي البقيعْ ... فيُذري (الطريدُ)[٣٤٠] لها أدمُعا

ولـــم تَسْـــلُ مـــن فقـــدت واحـــداً فمـا حـالُ مـن فقـدت أربعـا[٣٤١]

(أبوذية)

هـاي أم أربعـه كومـن لبنهـا البچت لحسـين ما ونّت لبنها
الكالـت يحـرم اعليكـم لبنهـا عـدل يبكـه ولـه كلكـم ضحيـه

(أبوذية)

تـون ام البنيـن ابحـزن ونهـا علـى الراحـوا فـده لحسـين ونهـا
الزلـم ذيـچ التـرج الأرض ونهـا التخلـص اعيالكـم مـن هلرزيـه

(تخميس)

يا مصاباً زلزل السبع العلى وله الكون بحزن أعولا
ونجيع الدمع نادى قائلا كربلا لازلت كربا وبلا

ما لقي عندك آل المصطفى [٣٤٢]

المحاضرة السادسة

مُشْكِلَةُ الْغَيْرَة الزوجية

روي عن النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « كُتِبَ الجهادُ على رجالِ أمتي والغيرةُ على نسائه، فمن صَبَرت منهنّ واحتسبت أعطاها اللّه أجرَ شهيد » [٣٤٣]

من أكثر المشكلات الزوجية التي يعاني منها الزوجان هي مشكلة الغيرة الزوجية، ونريد في هذه المحاضرة أن نقف عليها.

إنّ الغَيْرة الزوجية هي رد فعل من قبل أحد الزوجين تجاه الآخر، تحدث نتيجة إحساس الشخص بتهديد محتمل -حقيقي أو متخيل- على علاقته الزوجية التي يحبها ويهمه أمرها.

إن الغيرة الزوجية مطلوبة في الحياة الزوجية بشرط أن تكون بتحصين، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « إن المرء يحتاج في منزله وعياله إلى ثلاث خلال يتكلفها وإن لم يكن في طبعه ذلك: معاشرة جميلة، وسعة بتقدير، وغيرة بتحصين». [٣٤٤]

ونقصد بـ(غيرة بتحصين) هي الغيرة المعتدلة ما بين الزوجين، لأنها تذكّر كل من الشريكين بأهمية كل منهما عند الآخر. كما أنها تجدد شعلة الحب والعلاقة الحميمية بين الزوجين. إلا أن أحد الزوجين حينما يبالغ في غيرته ستصبح غيرته غير عقلانية ومَرَضيّة ومذمومة، من الممكن أن تسبب ضرراً لا يمكن إصلاحه على العلاقة العاطفية.

(ومن أعراض الغيرة المذمومة الانتقاد الدائم، والانزعاج من العلاقات الاجتماعية للزوج، والفضول الزائد، وتتبع سلوك الزوج، ومراقبة الهاتف ووسائل التواصل الاجتماعي، والتحقيق في كل شيء، وإطالة النظر إلى الزوج عند تواجد نساء أجنبيات عليه وبالعكس مع الزوج تجاه زوجته)[٣٤٥] ..إلخ

وحصلت على أثر ذلك مشكلات أدت إلى خراب بيوت، وانهدام الحياة الزوجية وضياع الأولاد، وإلى التشهير والفضيحة وانتهت في بعضها إلى الاعتداء والضرب وفي بعض المجتمعات تحصل على أثر ذلك جرائم قتل تحت عنوان الدفاع عن شرف العائلة، ويطلق عليها (جرائم الشرف).

مباحث الرواية الشريفة

المبحث الأول: تفسير الرواية النبويّة

إنّ معنى (كُتِبَ) أي فُرض، ومعلوم أن الإسلام فرض الجهاد على الرجال، ولكن جهاد المرأة يختلف، فقد روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: « جهاد المرأة حسن التبعل »[٣٤٦].

ومن أشد أنواع جهاد المرأة في (حُسن التبعّل) هو الصبر على الغيرة، لذا فُسر في الروايات بأنه كناية عن حسن التبعّل، روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: « إن الله كتب على الرجال الجهاد وعلى النساء الجهاد فجهاد الرجل أن يبذل ماله ودمه حتى يقتل في سبيل الله، وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته ».[٣٤٧]

فيكون معنى الجزء الأول لهذا النص: (إن الله فرض الجهاد على الرجال وفرض الغيرة على النساء)

قد يسأل أحدكم قائلاً: إنّ الله فرض الغيرة على النساء بمعنى أن الغيرة في ذاتها هي أمرٌ أودعه الله تعالى فيها وفطرها عليه، فتكون أمراً لا إرادياً يفرض نفسه على المرأة أو الرجل دون اختيار منهما، ولهذا كيف يطلب الله من المرأة أن تصبر على غيرتها؟ بعبارة أخرى لا يمكن أن تكون-الغيرة-بنفسها مورداً للنهي والتكليف، فإنّ التكليف إنّما يتوجّه إلى الإنسان فيما يقع تحت إرادته!!!

الجواب: نعم، يمكن أن تقع الغيرة مورداً للتكليف بأن يأمرنا الله بالصبر عليها بلحاظ تعبيراتها التي تظهر من خلالها وتتجسد فيها من قول أو فعل، وحالها في ذلك حال سائر الصفات النفسية، كالغضب، أو الحسد، أو حديث النفس بشأن الخالق، أو غيرها؛ ويشهد لذلك ما ورد في حديث الرفع المروي عن رسول

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان.. والوسوسة في التفكير في الخلق، ما لم ينطق بشفة» (٣٤٨)

مثال ذلك: عندما يقوم شخص بالإساءة إلينا نغضب منه لا إرادياً ولكن هذا الغضب تارة يظهر بالقول والفعل عن طريق السب والشتم والضرب والاعتداء وغيرها، وتارة أخرى نصبر عن إظهاره بالقول والفعل ونكظم غيظنا. إذن صار الغضب مورداً للنهي والتكليف.

وكذلك الحال مع الحسد، فحين يرى أحدنا نعمة عند شخص آخر ليست عنده ويتمنى أن تنتقل إليه، فهناك من يُظهر الحسد بأن يحقق ما يتمنى بأن يسرق النعمة من الآخر او يؤذي المتنعّم بها، بينما بعضهم يصبر عن إظهار الحسد ويستغفر الله من هذا الشعور ولا يتجرأ على أذية المتنعم خوفاً من الله تعالى. أذن صار الحسد مورداً للنهي والتكليف.

وهذا الأمر ينطبق على غيرة المرأة التي تحاول أن تدفعها إلى إظهار غيرتها بقول أو فعلٍ متجاوزة حداً من حدود الله تعالى، كأن تقوم بسب وشتم ضرّتها وتلفيق التهم بحقها ... وهنا المرأة أمام خيارين: إما أن تظهر غيرتها بأذية الضرّة أو أن تصبر ولا تظهر غيرتها بمجاهدة نفسها وتهذيبها كي لا تندفع مع غيرتها وتقع فيما يُسْخِطُ الله تعالى. بمعنى (إن الصبر على الغيرة يكون فيما لو ظلّت الغيرة حبيسة نفسها ولم تفجرها بالاعتداءِ على ضرّتها أو تَنَاولها بمكروه أو سوء أو غيبة أو سخرية أو سباب، ولم تقصّر في حقِّ زوجها ولم تنلْ منه ولم تسجّلْ اعتراضاً على إرادة الله وتشريعه). (٣٤٩)

نأتي إلى الجزء الثاني من الرواية وهو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « فمن صبرت منهنّ واحتسبت أعطاها الله أجر شهيد »

بمعنى أن ثبات المرأة وصبرها وعدم خروج غيرتها عن حد الاعتدال إلى الغيرة المذمومة سيترتب عليه ثواب عظيم يعدل أجر الشهيد

واللطيف في هذا الحديث وغيره أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حوّل أجر

الشهيد إلى وحدة قياس للثواب، بحيث أن من تصبر على أذى غيرتها ستنال أجر الشهيد.

رُبّ تساؤل يرد: ما هو أجر الشهيد؟

الجواب: تذكر النصوص الروائية بأن أوّل ما يناله الشهيد وهو في اللحظة الأخيرة من عالم الدنيا واللحظة الأولى للمرحلة التي بعده سبع خصال من الله، فقد روي عن سيّد المرسلين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « للشَّهيد سبع خصال من الله: من أول قطرةٍ من دمه مغفورٌ له كلّ ذنب، والثانية يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين، وتمسحان الغبار عن وجهه، وتقولان: مرحباً بك ويقول هو مثل ذلك لهما، والثالثة يُكسى من كسوة الجنّة، والرابعة تبتدره خزنة الجنّة بكلّ ريح طيّبة أيّهم يأخذه معه، والخامسة أن يرى منزله، والسادسة يقال لروحه: إسرح في الجنّة حيث شئت، والسابعة أن ينظر في وجه الله وإنّها لراحة لكلّ نبيٍّ وشهيد ».[٣٥٠]

ولذا نقول: هنيئا للمرأة الصابرة المتحكّمة بغيرتها التي ستنال هذا الأجر العظيم في كل لحظة تغار فيها على زوجها وتصبر.

المبحث الثاني: الغَيْرة وأقسامها

لما نقف على بعض النصوص الروائية المختصة بالغيرة نجدها تمّدح غيرة الرجل وتصفها بالإيمان، في قبال ذلك تذم غيرة المرأة وتصفها بالعدوان، كما روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ « غَيرَةُ الرّجُلِ إيمانٌ ، غَيرَةُ المرأةِ عُدوانٌ »[٣٥١]

قد يرد هذا التساؤل: أليس في هذا الحديث انحياز لجانب الرجل دون المرأة؟!

الجواب: إن هذا الحديث بصدد بيان غيرة الرجل المحمودة، وغيرة المرأة المذمومة. وهذا لا يعني أن غيرة الرجل محمودة بشكل مطلق، وغيرة المرأة مذمومة بشكل مطلق، بل لما نستقرئ النصوص الشرعية المختصة بالغيرة نلاحظ أنها تارة تمدحها وتارة أخرى تذمها، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يكره الله، .. ».[٣٥٢]

ومعلوم أن الغيرة التي يحبها الله هي الغيرة المحمودة، وأما الغيرة التي يكرهها الله فهي الغيرة المذمومة، وهذان القسمان تارة يوجدان عند الرجل وأخرى عند المرأة، وسوف نفصّل فيهما في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: غَيْرة الرجل

وسنطرحه بالقسمين الآتيين:

أولاً: غَيْرةُ الرجل الممدوحة

إن هذا القسم من الغيرة هو الغيرة التي يحبها الله وتسمى بالغيرة المحمودة، ونقصد بها الغيرة التي تدعو إلى العفَّة والمودَّة، ولا تكون إلا إذا قامت على أسباب الرِّيبة والفتنة لا على الظن والتهمة، روي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يكره الله، فأما ما يحب فالغيرة في الريبة،..».[٣٥٣]

ومعنى (الْغَيْرَةِ فِي رِيبَةٍ) هي الغيرة التي يكون منشؤها له مُبرِّر للغيرة، أي لا يحكم بمجرد الشك والتهمة وسوء الظن، ومن شروط الغيرة المحمودة أن لا تكون ردة فعله مخالفة للضوابط الشرعية.

مثال ذلك: الزوج الذي يزوره رجل أجنبي على زوجته -كأخيه وغيره- فيجب عليه كرجل غيور أن لا يسمح بالاختلاط المحرم ولا بالخلوة لأنها من موجبات الريبة، وأن يأمر زوجته بالحشمة الكاملة وعدم التبرج، وعلى الزوج أن لا يثق بإنسان ثقة مطلقة ما دام ليس معصوماً مائة بالمائة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [٣٥٤] روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لا تثقنّ بأخيك كل الثقة، فإنّ صرعة الاسترسال لا تستقال ». [٣٥٥]

إن الشريعة الإسلامية تسمي الرجل غير الغيور على زوجته (بالدّيُّوث) الذي لا يشعر بأدنى غيرة على كرامة المرأة، مبيّناً مصيره الوخيم، فعن الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « إنَّ الجنَّة لتوجد ريحها من مسيرة خمسمئة عام، ولا يجدها عاقّ، ولا دَيُّوث»، قيل يا رسول الله، وما الدّيُّوث؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: الذي تزني امرأته ويعلم بها » [٣٥٦]

كما ذمَّ النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أولئك الذين يرضون بخروج نسائهم أمام الرجال الأجانب متزيّنات متعطِّرات، فورد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « المرأة إذا خرجت من باب دارها متزيّنة، متعطِّرة، والزوج بذلك راضٍ بُني لزوجها بكلِّ قدم بيت في النار ». (٣٥٧) . (٣٥٨)

وصدق الذي قال: عندما ماتت الغيرة عند الرجال، انتحر الحياء عند النساء.

ولكن الرجل الغيور في موضع الريبة تعد غيرته من الإيمان، كما عبّر عنها الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : «غيرة الرجل إيمان ». (٣٥٩)

(إنّ غيرة الرجل إنّما تكون فعل إيمان، باعتبار أنّها تدفعه إلى المحافظة على زوجته وحمايتها من أن يتعرّض لها أهل السوء بفعل أو بقول، أو يتحرّش بها أحد بما يخدش كرامتها وعفتها، كما أنها - أعني غيرة الرجل - تدفعه أيضاً إلى صونها من الانزلاق إلى الحرام. وبهذا المعنى فإنّ غيرة المؤمن لا تقتصر على زوجته، بل إنّها تمتدّ إلى بناته أو أخواته وسائر قريباته وكل النساء المؤمنات، فإنّ هؤلاء هنّ عرضه، ويجدر به حمايتهن من الوقوع في الحرام ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. (٣٦٠)

ثانياً: غَيْرةُ الرجل المذمومة (المَرَضِيَّة)

رغم المدح المتقدِّم للغيرة إلا أنّ الروايات الشريفة دعت إلى عدم إطلاقها كيفما كان، فالزوجة بشكل عام تحبُّ من زوجها مقداراً من الغيرة عليها، إلا أنَّ تلك الغيرة قد تنقلب إلى غَيْرة مذمومة فيما لو تحقق فيها أحد الأمرين الآتيين أو كلاهما:

الحالة الأولى: هي الغيرة في غير ريبة، أي الغيرة التي يكون منشؤها لا مُبرِّر له لحصول التغاير في غير محله كالرجل الذي يتهم زوجته بالخيانة لأمر لا يستلزم استشعار الخوف، كمن سلّمت على شخص ما، أو لكونه تجسس على هاتفها وعرف أنها واعدت أختها بالزيارة فشك أنه رجل وليست أختها، ..إلخ

(إن هذا النوع من الغيرة الذي يتوهم فيه الرجل أو يتخيل أشياء لا واقع لها، فيستعمل معها التحقيق في كل حركة أو فعل أو قول لها، فهذا النوع من الغيرة

الذي فيه مبالغة هو مرض، وقد يؤدي إلى إفساد العلاقة الزوجية وربما إلى الطلاق، بسبب الظنون والشكوك غير الموضوعية وغير الواقعية التي يبتلى بها مثل هذا الإنسان)[٣٦١]

وهذا النوع من الغيرة مبغوض عند الله تعالى، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ ».[٣٦٢]

(لذلك لا بُدّ من الابتعاد عن سوء الظنّ وعدم ممارسة التجسّس، وعدم المبالغة في التحسّس من أيّ علاقة طبيعية، وخاصة ضمن ما نعيش من أجواء مفتوحة فرضت التداخل والتواصل بين الجنسين.

وحينما يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[٣٦٣]، فإنّ النهي عن سوء الظنّ والتجسّس يشمل مجال العلاقات الزوجية والأسرية.

وقد نصّت إجابات الفقهاء على سؤال وجه إليهم بخصوص تفتيش هاتف (موبايل) الزوج أو الزوجة، بأنه: غير جائز وأنّ حُرمة التجسّس سارية المفعول بين الزوج وزوجته أيضًا.[٣٦٤]

ولكن هناك استثناء يذكره الفقهاء وهو فيما لو كان التصرّف من قبل الزوجة مريباً عقلاً بحيث يعدّ منافياً لما يلزمها رعايته تجاه زوجها وتوقّف رفع الإشكال على إطّلاع الزوج على مضمون المراسلات تعيّن ذلك إذا لم يترتب محذور آخر.[٣٦٥]

الحالة الثانية: إستخدام الزوج الوسائل الخاطئة، ذكرنا أن غيرة الرجل على زوجته تارة تكون في غير ريبة أي غَيْرة لا مبرر لها بل مجرد سوء ظن، فهذه الغيرة مذمومة، وأخرى غيرة ممدوحة لأن لها مبرر عقلائي.. ولكن الوسائل المستخدمة كردة فعل -لِمَا استنتجه الرجل- إذا كانت غير مشروعة فهنا ستكون غيرته مذمومة كاستخدامه للضرب المبرح والسب والشتم والتشهير والفضيحة وما شابه، بل قد يقدم بعضهم على قتل زوجته، وشرعاً لا يجوز له ولا لأهل الزوجة ذلك، روي عن

علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: « الغيرة غيرتان غيرة حسنة جميلة يصلح بها الرجل أهله ، وغيرة تدخله النار تحمله على القتل فيقتل ». [٣٦٦]

وإليكم نص الفتوى الصادرة من سماحة السيد السيستاني دام ظله فيما يتعلق بقتل المرأة الزانية:

السؤال: مسألة قتل المرأة الزانية من قبل زوجها إذا رأى الفاحشة بأم عينه أو شهد له شهود ثقات، هل يجوز قتلها من قبل أهلها كالأب أو الأخ أو من قبل أقربائها؟ وما هي الطريقة المثلى للتعامل مع المرأة الزانية؟

الجواب: ليس لعامة الناس إقامة الحدود الشرعية ولا بد من منع المرأة المنحرفة عن ممارسة الرذيلة. [٣٦٧]

فبدلاً من ذلك عليه أن يتحكم بغضبه، فهو مخيّر بين طلاقها أو مسامحتها فيما إذا تابت واستغفرت.

المطلب الثاني: غَيْرةُ المرأة

وسنطرحهما بالقسمين الآتيين:

أولاً: غَيْرةُ المرأة الممدوحة

إن غيرة المرأة الممدوحة تتمثل فيما لو غارت على عفتها وعفة بناتها وذويها، بالالتزام بكل أحكام العفة وعدم السماح لأي رجلٍ-عدا الزوج- بالاستمتاع بمفاتن المرأة ومحاسنها.

وأيضا الغيرة الممدوحة تكون فيما لو غارت على دينها ودافعت عنه، لأن فريضتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبتان على كلا الجنسين، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [٣٦٨]

السؤال المطروح هو: لو غارت الزوجة على زوجها، فمتى تكون غيرتها ممدوحة يحبها الله، ومتى تكون مذمومة يبغضها الله.؟

بعبارة أخرى: متى تكون غيرتها إيمان، ومتى تكون عدوان لقول الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :« .. غَيرَةُ المرأةِ عُدوانٌ »[٣٦٩]؟

الجواب: ذكرنا أن الغيرة المذمومة هي الغيرة في غير ريبة، وأيضاً وسائل التعامل مع المشكلة تكون خاطئة. بينما الغيرة المحمودة فهي الغيرة في ريبة والمقرونة بوسائل تربوية مشروعة.

فالغيرة المحمودة تتحقق فيما إذا علمت الزوجة أن زوجها يعقد علاقات غير شرعية مع نساء وليس مجرد ظن أو شك، فانطلاقا من الغيرة على حدود الله تعالى من أن تنتهك، ولحرصها على أن لا يقع زوجها - أو ابنها أو أخوها- في الحرام، أو فعل القبيح، ولدفع ما يترتب على الفواحش من آثار وخيمة، وجب عليها أن تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، بشرط أن تكون ردة فعلها مشروعة.

فهذه الغيرة من مصاديق (الغيرة في ريبة) وهي فعل إيمان ولا تفترق عن غيرة الرجل الممدوحة في شيء، روي عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: « ألا وإن الله حرم الحرام، وحد الحدود، وما أحد أغير من الله، ومن غيرته حرم الفواحش ».[٣٧٠]

ولكن إذا علمت أن علاقة زوجها مع امرأة كانت شرعية، فهنا الغيرة التي فيها إعتراض من مصاديق (الغيرة في غير ريبة)، فالشريعة نهتنا عن الغيرة في الحلال، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « لا غيرة في الحلال ».[٣٧١]

نعم جاز لها أن تتحاور معه في هذا الموضوع وفيما يتعلق بالعدالة وخوف التقصير، لقوله تعالى: ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾[٣٧٢] ولكن شرعاً لا يحق لها منعه، فالله تعالى أجاز له ذلك قائلاً: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾[٣٧٣]

علما أن زواج الزوج على زوجته لا يُعد خيانة لها كما فصّلنا ذلك في المحاضرة المعنونة بـ(الخيانة الزوجية في المنظور الإسلامي) في الجزء الرابع من كتاب زاد

المبلغات.

ولكن وجب عليها حينما تتحاور معه أو حينما تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر أن تنضبط بضوابط شرعية بأن يكون حوارها بعيداً عن الصراخ والتهديد وإلا كان ما تُفسده أكثر مما تصلحه. (والغيرة المحمودة يكون منشؤها الحبّ الذي أشار إليه الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما سأله أحدهم: المرأة تغار على الرجل، تؤذيه؟ فأجاب عَلَيْهِ السَّلَامُ: « ذلك من الحب ». [٣٧٤]

فإذا كان الحبّ هو المنشأ الأساس فينبغي للمرأة أن تراعي عدم خروج الغيرة عن دائرة الكمال الذي هو أساس الحبّ، ومن ثمَّ عليها أن لا تجعل غيرتها منغّصة للحياة الزوجية، فتصبح كالمرافق المزعج الذي يحبس أنفاس مرافقه، فيشعر كأنه يتحرك بين أسلاك كهربائية ضيّقة. فإذا أصبحت المرأة كذلك، فلا بدّ أن منشأ هذه الغيرة هو (الحسد) الذي سنذكره في الغيرة المذمومة). [٣٧٥]

ثانياً: غيرة المرأة المذمومة (المَرَضِيَّة)

إن الغيرة المذمومة هي الغيرة التي تدفع المرأة إلى العدوان، كما صرّح بذلك الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: « .. غَيرَةُ المرأةِ عُدوانٌ »

وهذا النوع من الغيرة هو النوع الشائع ما بين النساء، وسبب الغيرة المذمومة عند المرأة هو (الحسد) الذي يدفعها لممارسة العدوان أي يدفعها للظلم والاعْتِداء. وهذه الحقيقة صرّح بها أئمتنا الأطهارعليهم السلام ، فقد روي عن الإمام الباقرع : « غيرة النساء الحسد ». [٣٧٦]

(وتوضيح ذلك أن المرأة حينما تغار على زوجها من امرأة أخرى فما هو منشأ غيرتها التي تخرج عن دائرة الحبّ الطبيعي؟

إنَّه اعتقادها أنَّ المرأة الأخرى فيها شيء كمالي قد جذب زوجها إليها وهو مفقود فيها، لذا فهي ترغب أن يزول ذلك الكمال منها ليكون فيه، وهذا هو عين الحسد الذي معناه تمني زوال نعمة الغير.

وبما أنَّ معطي الكمالات هو الله تعالى، فإنَّ هذا الحسد يحمل خلفيّة عقائديَّة

خطيرة هي الاعتراض على الله تعالى في ما قسمه بين الناس، من هنا أكمل الإمام الباقر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حديثه السابق « غيرة النساء الحسد، والحسد أصل الكفر، إنَّ النساء إذا غرن غضبن، وإذا غضبن كفرن، إلا المسلمات منهنّ ».[٣٧٧]

فقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « إلا المسلمات منهن » أي إلا المُسلّمات أمرهن لله تعالى ولا يعترضن على حكمه، وهذا مختص بالمرأة ذات الإيمان الحقيقي التي لا تسمح للهوى والشهوات والحسد أن يسيطرن على عقلها المنقاد لشرع الله، حتى لو علمت أن زوجها قد تزوج عليها، روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: « إن الله عز وجل لم يجعل الغيرة للنساء وإنما تغار المنكرات منهن، فأما المؤمنات فلا، إنما جعل الله الغيرة للرجال لأنه أحل للرجال أربعا وما ملكت يمينه ولم يجعل للمرأة إلا زوجها فإذا أرادت معه غيره كانت عند الله زانية ».[٣٧٨]

وحتى تكون المرأة من المؤمنات لا من المنكرات لأحكام الله فعليها أن تهذّب نفسها من هذا المرض، ولو بأن تصبر على عدم خروج الغيرة إلى مجال التعبير الذي يحوّل الحياة الزوجية إلى شقاء. وهذا هو الإمتحان الكبير للمرأة الذي نجحت فيه زوجة ذلك الرجل الذي مدح زوجته وأثنى عليها الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فسأله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : «أغرتها؟» قال:لا، قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «فأغرها». فإذا بذلك الرجل يجرّب، فأغاره، فثبتت، فرجع إلى الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقال له: إني قد أغرتها فثبتت، فقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منوّهاً بها: «هي كما تقول»[٣٧٩]

فقول الإمام: (أغرتها)، بمعنى هل امتحنت إيمانها بالغيرة؟، كأن تخبرها بأنك ستتزوج عليها، فإذا لم تعترض فهي ذات إيمان حقيقي وهي تستحق المدح الذي مدحته بها.

نعم إن استطاعت المرأة أن تتغلّب بعقلها وإيمانها على غيرتها السلبية تكون قد حازت على ذلك الأجر الكبير الذي ذكره الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «.. ، فمن صبرت منهنّ واحتسبت أعطاها الله أجر شهيد ».[٣٨٠] [٣٨١]

قد تقول إحدكن: أنا لا أريد هذا الثواب!!

نقول: أنت أمام خيارين لا ثالث لهما، أما الصبر على الغيرة الذي يترتب عليه نيل

الثواب، أو الجزع الذي يترتب عليه العقاب. روي في جامع الأخبار عن الإمام علي : « إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور ».

ولكن المرأة الضعيفة الإيمان هي التي لا تتمكن من السيطرة على غيرتها وتتسرع في إصدار الأحكام بأن زوجها قد خانها لكونه قد تواصل مع امرأة أو ترى رقما او اسماً او تسمع مُكالمة في هاتف زوجها رغم أن بعض الأحكام مبنيّة على سوء الظن والشك والتهمة...

وبعض النساء ردة فعلهن تدفعهن إلى العدوان فتسخط على زوجها وتنهال عليه بالكلام القبيح وتطلب منه الطلاق وبعضهن تجمع ثيابها وتذهب إلى بيت أهلها بدون إذن الزوج، وتحاول أن تنتقم منه، وإذا بقيت في بيت الزوج ستقصّر في أداء حقوقه الزوجية، وغالباً ما تدفعها الغيرة إلى التجسس وإلى شتم وسب الزوجة الأخرى وإلى اغتيابها والنيل منها أو الكيد لها، وتسعى جاهدة لتضغط على زوجها-وكأنه عبدٌ لها- لكي يطلق الزوجة الثانية، فتحلل وتحرّم بهواها وتأمره أن يظلم زوجته الثانية ولو ترتب عليه ضياع الزوجة الثانية وسمعتها.. والأغرب من ذلك أننا نجد -في بعض الحالات- أن الزوجة الثانية تقوم بهذا العدوان مع الزوجة الأولى، وكلا الصنفين عاصيتان ومحاسبتان أمام الله تعالى.

وبعض النسوة لمّا يغرن كأنما يفقدن عقولهن، فتصدر منهن تصرفات غير عقلائية محرّمة ، وفي رواية أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: « إن الغيراء لا تبصر أعلى الوادي من أسفله ». (٣٨٢)

والواقع يثبت لنا ذلك بالإضافة إلى النصوص الشرعية، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: « بينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جالس ونحن حوله، إذ أقبلت امرأة كاشفة عن شعرها وعن نحرها وعن ساقيها وعن قدميها، في درع ليس عليها غطاء، وزوجها جالس مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقام الرجل فألقى عليها ثوبه، و هي تقول يا رسول الله زنيت فأقم عليّ الحدّ، فقال زوجها: بأبي أنت وأمي إنها غيراء، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ما تدري الغيراء ما بأعلى الجبل من أسفله ». (٣٨٣)

روي عن تميم بن خزام الأسدي قال : «...صبّت امرأة بياض البيض على فراش ضرتها وقالت: قد بات عندها رجل، وفتش ثيابها فأصاب ذلك البياض وقص على عمر، فهَمَّ أن يعاقبها فقال أمير المؤمنين ائتوني بماء حار قد أغلي غليانا شديدا، فلما أتي به أمرهم فصبوا على الموضع فانشوى ذلك البياض فرمى به إليها وقال: إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم, إمسك عليك زوجك فإنها حيلة تلك التي قذفتها فضربها الحد». (٣٨٤)

وقبل أن ننتقل إلى المبحث الآخر، نريد أن نطرح سؤالاً كثيراً ما نسمعه من النساء وهو متعلّق بما روي عن الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « غَيرَةُ المرأةِ كُفرٌ ، و غَيرَةُ الرجُلِ إيمانٌ »(٣٨٥)

والتساؤل هو: كيف نفهم الحُكْم على غيرة المرأة بالكفر، مع أنّ غيرة المرأة بالمعنى المذكور لا تعدو كونها معصية لله تعالى؟!

ويجيب عن ذلك علماؤنا - بغض النظر عن مدى صحة الرواية- بأحد وجهين:

الوجه الأول: إنّ الكفر هنا لا يراد به الكفر العقدي المخرج عن الملّة وإنما الكفر العملي، المتمثل بالتمرد على الله تعالى وعصيان أوامره، ويؤيد ذلك قرينتان:

إحداهما: خارجية، وهي ما جاء في رواية الآمدي « وغيرة المرأة عدوان»، حيث نلاحظ استبدال لفظ «كفر» بلفظ آخر، وهو «عدوان»، والعدوان معصية لله تعالى.

والثانية: داخلية، وهي أنّ الإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على فرض صدور الرواية - لم يحكم بتكفير المرأة نفسها بسبب الغيرة، وإنما حكم على غيرتها بالكفر، ومن الواضح أنّ تكفير القول أو الفعل لا يلازم تكفير صاحبه إلا في حال التفات الشخص إلى لوازم ما يقول أو يفعل، والتزامه باللوازم، بما يكون مرجعه إلى تكذيب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أو الرد عليه.

الوجه الثاني: أن يقال إنّ علياً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عندما حكم بكون غيرة المرأة كفراً فهو ناظر إلى نوع من الغيرة، وهي التي تدفع المرأة الغيراء إلى الاعتراض على حكم الله تعالى الذي ينصّ على حليّة تعدد الزوجات. فإنّ هذا الاعتراض قد ينتهي بها - لا سمح

الله - إلى الكفر، إذا ما تضمّن اعتراضاً على الله تعالى واتهاماً له بالظلم وعدم العدل، ونحن نسمع بعض الكلمات المعترضة على عدل الله تصدر من بعض النساء، حيث إنّها تصف الحكم الشرعي الذي يسمح للرجل بالتعدد بأنه حكم ظالم، وتقولها بصراحة: إنّ الإسلام ظلم المرأة من خلال ذلك! [٣٨٦]

المبحث الرابع: الآثار المترتبة على الغيرة المذمومة

إنّ المبالغة في الغَيْرة والخروج بها عن الحدّ الطبيعي، سيترتب عليها آثار وخيمة، نذكر منها ما يلي:

١.تكون سببا في فقدان الثقة وحدوث مشكلات كثيرة بين الزوجين قد تصل إلى الانفصال.

٢.تبقى الزوجة في شك دائم أنَّ زوجها يعرف نساءً غيرها، ولذا ستتعب من ناحية نفسية من كثرة شكوكها وتتأذى وتحترق من الداخل لأننا ذكرنا أن الغيرة من الحسد، روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : « ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد نفس يتضور، وزفير يتردد، وحزن يتجدد ». [٣٨٧]

٣.عدم استطاعة الزوجة صاحبة الغيرة المفرطة من أداء واجباتها بالشكل الأمثل؛ فهي شاردة الذهن مكتئبة، وكذلك الحال مع الزوج الذي يعاني من شكوك زوجته. [٣٨٨]

٤. إن الغيرة المذمومة تدفع لارتكاب المحرمات من التجسس وسوء الظن والغيبة والنميمة والسحر والضرب و الاعتداء بل ربما إلى قذف المحصنات والقتل.

٥. إن الغيرة المذمومة من قبل الزوج تكون سبباً للسمعة السيئة للزوجة، من هنا ورد عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً: « لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك». [٣٨٩] ونتيجة لذلك سيستحق العذاب في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [٣٩٠]، والعكس صحيح مع الزوجة التي تكون سبباً في إساءة سمعة زوجها بسبب الغيرة.

٦.قد تدفع الغيرة المذمومة بعض الزوجات ضعيفات الإيمان نحو الانحراف بدل أن تحصّن منه، وإلى ذلك يشير ما جاء في وصايا الإمام علي لابنه الحسن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « إِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ اَلْغَيْرَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو اَلصَّحِيحَةَ مِنْهُنَّ إِلَى اَلسَّقَمِ ».[٣٩١] [٣٩٢]

فقول الإمام: (فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو اَلصَّحِيحَةَ مِنْهُنَّ إِلَى اَلسَّقَمِ) بمعنى أن بعض النساء اللاتي عبّرت عنهن الروايات بـ(ناقصات عقل ودين) [٣٩٣]، يتحول سلوكها الصحيح العفيف إلى سلوك سقيم منحرف، كأن تقول لنفسها « بما أنني عفيفة ويتهمني بالخيانة ولا ينفع معه الإنكار لذا سأخونه ليكون اتهامه لي صادقاً ».

ولكن هل نست هذه المرأة أن الأئمة والملائكة وبقاع الأرض والأزمنة والجوارح كلها سوف تشهد على خيانتها يوم القيامة وسوف تُفضح أمام كل الخلائق وتعذب في نار جهنم!!، وهل هذه المرأة تعيش من أجل زوجها الشكاك المريض نفسياً أم من أجل نيل مرضاة الله تعالى؟

ولذا فكلام الإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو تفسير لا تبرير، وإلا شرعاً فكلاهما محاسبان، ووجب على الزوجة أن تحاول حل المشكلة أو تصبر ولها الأجر العظيم.

المبحث الخامس: أسباب الغيرة المذمومة المرضية

إن أسباب الغيرة المذمومة عديدة، نذكر منها ما يلي:

١. الصفات والسمات الشخصية: يتَّسم بعض الأشخاص بالشخصية الشكاكة، وهي الشخصية التي تتخيل وتتوهم بعض الأمور والأحداث وتصدقها، وتكوّن نتيجةً لها، ردة فعلٍ عنيفةٍ تجاه الشريك، وتضعه دائماً في دائرة الاتهام، مُلقيةً اللوم عليه وعلى الآخرين.

٢. فقدان الثقة بالنفس: إنَّ أحد أهمِّ أسباب الغيرة المرضية: فقدان الثقة بالنفس، واعتقاد الشخص أنَّه يفتقد الصفات التي يُحبُّها الشريك، مثل: الذكاء، أو الجمال؛ لذلك يلجأ إلى مُهاجمة الشريك، بدلاً من أن يُعزِّز ثقته بنفسه.

٣. التربية الأسرية الخاطئة: يُشعِر فقدان الاهتمام والرعاية والحب والحنان من

قبل الأهل في مراحل الطفولة والمُراهقة، الفردَ دائماً بحاجته لهذه المشاعر؛ وعندما يجد من يمحنه إياها، يتملَّكه الخوف الشديد من فقدانه.

٤. التعرُّض إلى خيانةٍ مُسبقة: يمكن أن يكون المرء قد تعرَّض إلى خيانةٍ مُسبقةٍ من الشريك في وقتٍ ما؛ لذلك لم يعُد يستطيع أن يمنحه الثقة مُجدداً، ممَّا يدفعه إلى مُراقبته في أغلب الأوقات.

٥. الفروقات المادية والاجتماعية بين الشريكين: تلعب الفروقات الاجتماعية أو الثقافية أو المادية، دوراً في خلق الشكِّ بين الشريكين عند الارتباط؛ وذلك لقلة أو انعدام الثقة بالنفس لأحد الشريكين، أو لتعالي الشريك الآخر.[٣٩٤]

٦.التربية البيئية: إن النساء لكثرة ما يسمعنه من الأخريات من أن أغلب أزواجهن له علاقات مع نساء فصارت الواحدة منهن تشك في تصرفات زوجها وتغار عليه في غير ريبة، ولأن بعض النساء صارت ثقافتهن ثقافة جاهلية غير إسلامية، فاعتقدت الواحدة منهن أنها بزواجها سوف تمتلك الزوج فلذا لا يحق له أن يرتبط بأي زوجة أخرى إلا بأذنها، وإلا ستُعده خائنا.

٧. الأنانية: فأنانية الزوجة قد تدفعها للعدوان لأنها لا تفكر في معاناة غيرها من النساء الأرامل والمطلقات والعوانس.

المبحث السادس: كيفية التعامل مع الغَيْرة المَرضية

المطلب الأول: كيفية التعامل مع الزوج الغيور

ننصح باتباع النقاط الآتية:

١.الحرص الدائم على النقاش والحوار بين الشريكين؛ فمن الرائع أن تُحدِّث المرأة شريكها عن طبيعة علاقتها بالآخرين، وعن أي أحداث مرت بها في يومها.

٢.يُفضَّل دائماً أن تُثني الزوجة على زوجها في جميع التفاصيل التي تتعلق به، سواء أكانت جمالية أم صفاتٍ شخصية؛ هذا الأمر يُعزز ثقته بنفسه.

٣.الحديث عن الزوج بكل فخر أمام الآخرين؛ الأمر الذي يُسهم في التخفيف من غيرته.

٤.المحافظة على تلبية احتياجات الزوج وعدم إهماله مهما كانت الظروف.

٥.إذا استمر الرجل مُصرًّا على غيرته، يجب الحديث معه بكل صراحة وإخباره أنَّ هذا السلوك الصادر عنه يُسبب الأذى، ومن الواجب السعي للتغير.[٣٩٥]

٦.أن تبتعد الزوجة عن مواضع التهمة، فعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « مَنْ وضع نفسه مواضع التهمة فلا يَلُومَنَّ مَنْ أساءَ بِه الظَّنَّ ».[٣٩٦]

فيجب على الزوجة أن تكون دائما عفيفة ولكن إذا كان زوجها مصاباً بالغيرة المرضية فينبغي أن تراعي حالته وتكون أكثر حيطة عند استخدام الهاتف أو الإنترنت أو عند تبادل الزيارات أو عند الخروج.

المطلب الثاني: كيف تتعامل الزوجة مع غيرتها المذمومة؟

ننصح باتباع النقاط الآتية:

١.محاولة رفع الأسباب المسببة للغيرة مع الإمكان، والابتعاد عن مجالسة الشكاكين ورفض تعميم انحراف سلوك بعض الأزواج على الجميع.

٢.إن الغيرة المحمودة لكي تكون محمودة يجب أن يكون فيها اعتدال بلا إفراط أو تفريط، فالتفريط في الغيرة يوقع الشخص في الحرمة لأنه لا يبالي بممارسة الفاحشة من قبل زوجه، وأما الإفراط والمبالغة في الغيرة كغيرة الزوجة على زوجها بسبب حبها لزوجها فسوف يُشعرها بأنها قد تملكته ولا يحق لأحد أخذه منها، وإذا عرفت أن هناك من شاركت زوجها معها تعتبرها سارقة ومعتدية على أملاكها ولذا تسعى جاهدة لتأخذه منها لتسترجع أملاكها، وهذا هو الحسد الذي معناه تمني زوال النعمة عن الآخرين، وهذا الحسد هو الذي يدفعها لممارسة العدوان.

ولكن وجب على المرأة أن تعلم أن الزوج ليس ملكاً للزوجة، ولا الزوجة ملكاً للزوج، بل كل منهما أمانة مودعة عند الآخر فالزوجة هي أمانة الله عند زوجها،

فليس له أن يظلمها أو يضطهدها أو يتجاوز التزاماته الزوجية معها، روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: « إنّ النساء عند الرجال لا يملكن لأنفسهن ضراً ولا نفعاً، وأنهن أمانة الله عندكم، فلا تضاروهن ولا تعضلوهن». [٣٩٧] وأيضاً الزوج هو أمانة الله عند زوجته، فليس لها أن تخونه أو تتجاوز التزاماتها الشرعيّة التي التزمتها معه.

فهل تعتقد الزوجة أنها لمّا أجرت عقد الزواج مع زوجها قد اشترته وتملكته كما يتملك المولى العَبْد؟

كلا لأن زمن الرق انتهى، والناس كلهم أحرار، ومن ثمَّ وجب على المرأة أن تعي هذه الحقيقة ولا تبالغ في غيرتها.

٣. إن الدنيا دار امتحان وابتلاء، قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [٣٩٨] ولكي ننجح في الامتحان لننال جنات تجري من تحتها الأنهار وجب علينا الجهاد، ومن جهاد المرأة الصبر على غيرتها الزوجية.

٤. إن التعدد أجازه الله تعالى للزوج لحكمة ومصلحة منها: لكون الغريزة الجنسية للرجل أكبر من المرأة، ولأن عدد النساء أكثر من الرجال ولذا فالتعدد يحد من الزنا وانتشار الفساد في الأرض وغيرها، فالمؤمنة الحقيقية هي التي تنقاد لتعاليم الشريعة بدون اعتراض.

٥. على الزوج أو الزوجة الذي غيرته من النوع المذموم المبالغ به ولم يتمكن من معالجة نفسه أن يراجع الطبيب النفساني فقد تكون الحالة بحاجة إلى علاج نفسي، أو سلوكي، أو معرفي، أو دوائي.

٦. إن على كل زوج يريد من زوجه وعرضه أن يكون عفيفاً أن يحصّن نفسه من الانزلاق إلى ما يكون ارتكابه منافياً للعفة والحشمة، ومن هنا ورد عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ «ما زنى غيور قط» [٣٩٩]، أي إنّ الغيور لا يرضى لنفسه ما يأباه لغيره، وإلا سيتعرض للخيانة، فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « لا تزنوا فتزني نساؤكم كما تدين تدان ». [٤٠٠]

وأخيرا على المؤمنة الصالحة أن تتقي الله وتبتعد عن الغيرة المذمومة التي هي

سبب دمار أغلب الأسر وضياع الأولاد وانتشار الفساد في الأرض، ولنا في صاحبة الذكرى أم البنين عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ أسوة حسنة، فهي قد تشرفت بالزواج من أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رغم أنها تعلم أنه متزوجٌ قبلَها، وأيضا رغم أنه تزوج بعدها فقد كانت راضية ومطمئنة ومسرورة، ولم تتكبر على ضراتها.

قد تقول أحداكن: ولكن زوجي ليس أمير المؤمنين؟، فنقول لك: وأنتِ أيضاً لست أم البنين. ولكن يمكننا الاقتداء بها، فهي عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ كانت تعلم أن زوجات الرجل الواحد لا تفاضل فيما بينها في الشريعة الا بالتقوى، وأيضا لم تتكبر على أولاد زوجاته اللاتي سبقنها، ويتجلى هذا الأمر في قولها للحسن والحسين وزينب عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ في ليلة زفافها من علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «أنا ما جئت هنا لأحل محل أمكما فاطمة» ... إختنقت بعبرتها وقالت: «أنا هنا خادمةٌ لكم، جئت لخدمتِكم، فهل تقبلون بهذا وإلا فإني راجعة إلى داري» [٤٠١] فرحب بها الحسن والحسين وزينب وقالوا لها : أنت عزيزةٌ كريمة وهذا بيتك».

تأملوا : هذا الموقف يصدر من (ضرة) تجاه (ضرتها) وتجاه أبناء (ضرتها) مع أنه إنما سميت الزوجة الأخرى (ضرة) لأن الإضرار بسابقتها والسابقة بلاحقتها وإن كان الإضرار حراماً . فانظر إلى أي درجة بلغت هذه المرأة العظيمة؟ بينما نجد في حياة بعض زوجات الرسول التغاير والتنافس حتى في صغائر الأمور، فإذا ما أثنى الرسول على واحدة من زوجاته تستحق الثناء، يَلُوح الغضب وتعتريها الغيرة من زوجة أخرى وإن كانت المذكورة بالثناء ميتة كما حصل للسيدة خديجة أم المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حيث قالت عائشة للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: لا زلتَ تذكرُ عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها فيقول الرسول : والله ما بُدّلت خيراً منها، آمنت بي حين كفر بي الناس، وأعطتني حين منعني الناس وصدقتني حين كذبني الناس» [٤٠٢]. [٤٠٣]

لقد واست أم البنين عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وضحّت من أجل الدفاع عن الدين الإسلامي بتقديم أولادها الأبطال الأربعة فداءً للحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولأهدافه السامية .... ثم واصلت جهادها الإعلامي بعد مقتل سيد الشهداء و وصول أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ إلى المدينة المنورة، فكانت تخرج كل يوم إلى مقبرة البقيع و معها عبيد الله ولد ولدها العباس، فتندب أبناءها الأربعة أشجى ندبة، فيجتمع الناس إليها فيسمعون بكاءها و ندبتها و يشاركونها العزاء، كما كانت تقيم مجالس العزاء في

بيتها فتنوح و تبكي على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى أبنائها الشهداء الأربعة.

قال صاحب كتاب ثمرات الأعواد: وأما أم البنين أم العباس فإنها كانت ترثي الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وترثي أولادها وتندبهم بأشجى ندبة، وكانت تخرج إلى البقيع كل يوم، فيجتمع الناس لسماع رثائها فيبكون لشجى ندبها. ومن رثائها:

لا تدعونّي ويكِ أمَّ البنـــــــينْ ... تُذكروني بليـــــــوثِ العريـــنْ
كانـت بنـونٌ لـيَ أُدعـى بهـم ... واليـومَ أصبحتُ ولا من بنـــين
أربعـةٌ مثـلُ نســـــــورِ الرُبى ... قـد واصلوا المـوتَ بقطع الوتين
يـا ليـتَ شـعري أَكمـا أخبـروا ... بـانَّ عباساً قطيـعُ اليمـــين[٤٠٤]

كانت أم البنين تصنع من التراب قبورا خمسة، أربعة لأولادها والخامس لأبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم تبكي عند كل قبر بعض الوقت وتساوي القبر مع الأرض وتقول: هذا فداء للحسين إلى أن تأتي على القبور الأربعة وتبقي القبر الذي صنعته للإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فتفرغ عليه دموعها.[٤٠٥]
(مجردات)

يا لواهة اعليمن تنوحـــين ... اتگول البچه والنوح لحسين
احنه امهات اولاد حـــيين ... او عن نوح ابنها فاطمه وين
الهه العزه واحنه المعزين ... أنا الفاجده اثنين واثنـــين[٤٠٦]

و لم تزل حالتها هذه حتى التحقت بالرفيق الأعلى ...

فسلام الله عليكِ يا سيدتي ومولاتي يوم ولدتِ ويوم متِ ويوم تبعثين حيّة.

عن الأيام الفاطمية الثالثة

السلام عليكِ أيتها المحدثة العليمة

المناسبة

الأيام الفاطمية حسب الرواية الثالثة

القصيدة للخطيب الشيخ محسن الفاضلي

توسَّلـــــت بالحـــــوراء فاطمةَ الزهراء ... لتلهمني حتـــــى أقـــــولَ بهـــا شعرا

فجاء بحمـــــدِ اللّه ما كنـــــت أبتغي ... فأبديـــــتُ للمعبـــــودِ خالقـــي الشكرا

أجل هـــي روح المصطفـــى كُـــفءُ حيدرٍ ... وأمُّ أبيهـــا هـــل تـــرى مثلَـــه فخرا

أوِ المثلِ الأعلـــى بكـــلَّ خصالها ... جـــلالاً كمـــالاً عفّةً شرفـــاً قـــدرا

حـــوت مَكرُماتٍ قطُّ لم يحـــوِ غيرها ... فمن بالثّنا منهـــا ألا قُـــلْ لَنـــا أحرى

وسيلـــتُـــنا واللّه خيـــرُ وسيلة ... بحقّ كما وهي الشفيـــعـــةُ فـــي الأخرى

أيـــا قاتَـــلَ اللّهُ الـــذي راعهـــا وقد ... عليها قســـى ظلمـــاً وروّعهـــا عصرا

وســـوّد متـــنيهـــا وأحـــرقَ بابها ... وأســـقطهاذاكَ الجنيـــن علـــى الغبـــرا

أيـــا مَـــن تواليهـــا أتنســـى مُصابَها ... وتَســـلو وقـــد أمســـت ومقلتُهـــا حمرا

مـــن الضّـــربِ ضـــربِ الرّجس يـــومِ تمانعت ... بـــأن يذهبوا بالمرتـــضى بعلِها قســـرا

وعـــادت تعانـــي هظمَهـــا ومصابهـــا ... بفقـــدِ أبيهـــا وهـــي والهفـــتا عبـــرا

الى أن قضت روحي فداهـــا ولا تَســـل ... عن أحوالهـــا واللّهُ مـــن كلّنـــا أدرى

(نصاري)

يعيني ابچي او دمعچ خل يهل دم ... على الزهره او ظلعها اللي تهـــــشم
گبعت بالهظيمه اخلاف أبوهـــا ... او حتى امن البچه اصحابه امنعوها
تعنّوا دارها او بيها اعصروهـــــا ... لمن طگ الضلع منها او تهـــــشم
ظلت تون والونه خفـــــــيه ... او يون يمها الحسن واحسين اخـيه
لمن دنت من عدها المنـــــــيه ... وصـــت تندفن بالليل الأظلـــم[٤٠٧]

المحاضرة السابعة

التوحيد الأفعالي (التوسل بالسيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿... وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٤٠٨)

من أعظم السور التي أنزلها الله تعالى في كتابه هي سورة الفاتحة والتي تدعى بأم الكتاب، أو أم القرآن، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ، وَلاَ فِي الإنجيل ولا فِي الزَّبُورِ وَلا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَهَا، وَهِيَ أُمُّ الْقرآن» (٤٠٩)

سبب أهمية هذه السّورة يتضح من محتواها، فهي في الحقيقة عرض لكل محتويات القرآن، جانب منها يختصّ بالتوحيد وصفات الله، وجانب آخر بالمعاد ويوم القيامة، وقسم منها يتحدّث عن الهداية والضلال باعتبارهما علامة التمييز بين المؤمن والكافر وفيها أيضاً إشارات إلى حاكمية الله المطلقة، وإلى مقام ربوبيّته، ونعمه اللامتناهية العامة والخاصة «الرحمانية والرحيمية»، وإلى مسألة العبادة والعبودية واختصاصهما بذات الله دون سواه.

ومن أجل عظمتها وأهميتها أمرنا الله تعالى بتلاوتها في اليوم والليلة على الأقل عشر مرات في فرائض الصلوات الخمسة.

فسورة الحمد تتكون من سبع آيات، وكل آية تشير إلى حقيقة هامّة، اخترنا منها الآية الخامسة وهي قوله تعالى: ﴿ إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، وهي تشير إلى نوعين من التوحيد، أحدهما التوحيد العبادي في قوله تعالى: ﴿ إِيّاكَ نَعْبُدُ ﴾ والذي سنقف عليه في المحاضرة العاشرة في هذا الكتاب، والنوع الآخر الذي سنتكلم عنه الآن هو التوحيد الأفعالي الذي يشير إليه قوله تعالى ﴿..وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

فلما نتأمل الآية نجد نكتة لغوية وهي :تقدم المفعول به على الفاعل والذي يفيد الحصر، أي أننا نستعينك دون سواك ونتيجة هذا الحصر، سيكون عندنا التوحيد

الأفعالي.

لقد عرّف العلماء توحيد الأفعال بأنه: الإيمان بأن الله هو المؤثر الحقيقي في العالم (لاَ مُؤَثِّرَ فَي الْوُجُودِ إلاَّ الله).[٤١٠]

(إنّ كل ما يحدث في هذا العالم، من أفعالٍ، كولادة الأحياء وإنبات ونمو النبات، وهطول المطر، وشروق الشمس، وكل شيءٍ يحصل في الكون، هو داخلٌ تحت قدرة الله تعالى، وتحت سلطنته، وليس هناك موجودٌ في هذا الكون يستطيع أن يمنع الله تعالى من فعلٍ إذا أراد أن يفعله، بل إنه تعالى يفعل ما يشاء وكيف يشاء، قال عز من قائل:﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[٤١١]، وقال تعالى:﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾.[٤١٢]) [٤١٣]

إن ثمرة هذا الاعتقاد أن الإنسان يصبح معتمداً على (الله) دون سواه، ويرى أن الله هو القادر العظيم فقط، ويرى ما سواه شبحاً لا حول له ولا قوّة، وهو وحده سبحانه اللائق بالاتكال والاعتماد عليه في كل الأمور.

هذا التفكير يحرر الإنسان من الانشداد بأي موجود من الموجودات، ويربطه بالله وحده. وحتى لو تحرك هذا الإنسان في دائرة استنطاق عالم الأسباب، فإنما يتحرك بأمر الله تعالى، ليرى فيها تجلّي قدرة الله، وهو «مُسَبِّبُ الأَسْبَابِ».

هذا المعتقد يسمو بروح الإنسان ويوسّع آفاق فكره، ليرتبط بالأبدية واللانهاية، ويحرر الكائن البشري من الأطر الضيقة الهابطة.[٤١٤]

ولقد تعمدنا في هذه المحاضرة أن نطرح هذا الموضوع المهم لأن من المزاعم الكاذبة التي ألصقت بالمذهب الجعفري مذهب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، دعوى أن الشيعة أتباع هذا المذهب يستعينون بغير الله تعالى، وبذلك يكذبون في صلاتهم عندما يقرؤون ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ فإن جميع المفسّرين يقولون إنّ هذه الآية تدلّ على حصر الاستعانة بالله عز وجل.

ويقصدون بالاستعانة هو التوسل، ويقصدون بغير الله تعالى الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.[٤١٥]

ونريد في هذا البحث أن نردّ على هذا السؤال الذي ستجدون إجابته في بطون المباحث الآتية:

مباحث الآية الكريمة

المبحث الأول: حصر الإستعانة بالله

لا بدّ أن نعلم أنّ الاستعانة أو الاستغاثة بمخلوقات الله لا يتنافى في كل الحالات مع حصر الاستعانة بالله، نعم هناك حالات يحصل التنافي ويستلزم منه الشرك، وحالات أخرى لا يحصل التنافي ويستلزم منه التوحيد، وللتوضيح نقول:

إن الله لمّا خلق الكون جعله قائماً على أساس الأسباب والمسببات-المسببات هي النتائج الحاصلة عند الأخذ بالأسباب- وطلب منّا أن نستعين بها، فالنار سبب، والإحراق متسبب عنه، والماء سبب، ورفع العطش متسبب عنه، والدواء سبب، والشفاء متسبب عنه، والسم سبب، والموت متسبب عنه وهكذا.

إن الشريعة أكّدت هذه الحقيقة، قال تعالى:﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ (٤١٦) روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكل شيء سببا ». (٤١٧)

ولكن السؤال المهم والذي يميّز بين الشرك والتوحيد هو: أن الله لما أودع في الأسباب المسببات -كما أودع في النار خاصية الإحراق -، هل أودعها على نحو الاستقلال ، أم أودعها على نحو التبعية؟

ونقصد بعبارة (هل أودعها على نحو الاستقلال) أي أن الله لما أودع في النار خاصية الإحراق بكنْ فيكون، فهل صارت مستقلة عن الله لا تحتاج إليه؟ أي هل جعل فيها الإحراق وأمرها أن تستمر في إحراقها معتمدة على نفسها دون أن تستمد القوة من الله في كل لحظة؟

ونقصد بعبارة (أم اودعها على نحو التبعيّة) أي أن النار لا تحرق إلا إذا كانت تابعة لله تعالى محتاجة إليه، تستمد منه هذه القدرة والقوة على الإحراق في كل لحظة، فإذا انقطع المدد للحظة انطفأت النار؟

يجب الانتباه للإجابة لأن أحدهما شرك والآخر التوحيد.

الجواب: إن الرأي الأول هو شرك، بينما الثاني هو التوحيد؛ لأن الرأي الأول فيه أن النار اعتمدت على نفسها في توليد خاصية الإحراق، غير معتمدة على الله ولذا فهي مستغنية عن الله.. أي صارت النار غنيّة وليست فقيرة إلى الله..ومعلوم أن الغني الوحيد في الوجود هو الله وما سواه من المخلوقات مهما عظمت فهي فقيرة، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[٤١٨]، فالآية تنسب الغنى لله تعالى فقط، ولذا إذا قلنا أن شيئاً ما غنياً فهذا يعني أنه (إله)، أي أننا ألهناه، وهذا معناه الشرك.

بينما الرأي الثاني لا يجعل النار والإحراق مستغنيةً عن الله بل النار تستمد قوة الإحراق من الله في كل لحظة، بمعنى أنها فقيرة لله، فلا حول لها ولا قوة إلا بالله.

إن الله شاء أن يجعل صفة الإحراق في النار كسنّة كونية ولكن إذا شاء أن يرفع من النار الإحراق لفعل، كما جعل النار برداً وسلاماً على نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حينما رماه نمرود في النار، قال تعالى:﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ * قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾[٤١٩]

والماء جعله الله تعالى سبباً لرفع العطش، ولكن إذا شاء رفع أثر الارتواء، روي عن حميد بن مسلم برواية أبي مخنف: « .. وجعل الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يطلب الماء و شمر يقول له: و الله لا ترده أو ترد النار فقال له رجل: ألا ترى إلى الفرات يا حسين كأنه بطون الحيتان و الله لا تذوقه أو تموت عطشا فقال الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: اللهم أمته عطشا قال: و الله لقد كان هذا الرجل يقول: اسقوني ماء فيؤتى بماء فيشرب حتى يخرج من فيه، ثم يقول: اسقوني قتلني العطش، فلم يزل كذلك حتى مات ».[٤٢٠]

والأمر لا يختص بالمسببات -أي الآثار المترتبة على الأسباب-، بل يشمل حتى الأسباب فالله جعل الارتباط ما بين الرجل والمرأة سبباً لخلق الإنسان كسنّة كونيّة، ولكن إذا شاء أن يخلق إنساناً بغير سبب لفعل كما خلق النبي آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من تراب، وخلق النبي عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من امرأة من دون أن تتزوج.

بل كل ما في الكون إذا لم يكن مستنداً وتابعاً لله تعالى في كل لحظة وآن فلن يكون له وجود، ولتوضيح المطلب نذكر لكم المثال الآتي:

لو نفترض أن لديك جهاز عرض (Projectors) وعرضت على الشاشة فلماً عن حياة الطبيعة والناس، فبمجرد انقطاع التيار الكهربائي عنه ولو للحظة واحدة ستنعدم الصورة..وهذا الأمر ينطبق مع كل المخلوقات فلو خلقها الله ومن ثم أعرض عنها الله تعالى ولو للحظة فسوف تنعدم من الوجود، ولكن الله سبحان غير معرضٍ عنّا لأنه لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ.

نفهم من ذلك أن الإيمان بالرأي الثاني الذي يقول أن الله هو المؤثر الحقيقي في العالم، وأن تأثير الأسباب، إنّما كان بأمر الله وحوله وقوته وإذنه هو التوحيد الحقيقي لله.

وهذا ينطبق على كل ما يتعلق بالأسباب والمسببات، ولذا وجب علينا أن ننتبه في حياتنا من بعض الأفكار الخاطئة التي نحملها والتي تُعد من الشرك الخفي، مثال ذلك لما يذهب أحدنا للطبيب ويتشافى، يقول: (لولا الطبيب، أو لولا الدواء لهلكت) فالقول بأنه السبب في شفائه من دون الله يُعدّ من الشرك الخفي. إن الدواء والطبيب جعلهما الله تعالى سبباً من أسباب الشفاء بإذن الله، روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: « يا رب من أين الداء قال مني قال فالشفاء قال مني قال فما يصنع عبادك بالمعالج قال يطيب بأنفسهم فيومئذ سمي المعالج الطبيب ». (٤٢١)

إنتبهوا لهذه الرواية الشريفة المروية عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، في قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُون ﴾، قال: هو قول الرجل لولا فلان لهلكت، ولولا فلان لأصبت كذا وكذا، ولولا فلان لضاع عيالي، ألا ترى أنه قد جعل لله شريكا في ملكه يرزقه ويدفع عنه؟ قال: فيقول: لولا أن الله منَّ علي بفلان لهلكت، قال: نعم لا بأس بهذا . (٤٢٢)

وهذا النوع من الشرك-الخفي- لا يُخرج المسلم من الإسلام ولكن وجب التنزه عنه.

المبحث الثاني: ما تفسير الاستعانة بغير الله؟

من كان ملماً بما ورد في القرآن الكريم عرف بأنه سبحانه حينما ينسب كثيرا من الأفعال إلى نفسه وفي الوقت نفسه ينسبها إلى غيره في مواضع أخرى لا يكون هناك أي تناقض أو تنافٍ بين ذلك النفي وهذا الإثبات، لأننا لما نُثبت (حصر الاستعانة بالله فقط) فالمقصود به الحصر على ذاته على وجه الاستقلال، ونقصد بعبارة (على نحو الاستقلال) المنسوبة لله تعالى بأنه تام الغنى في نفسه في كل كمال، فهو لا يحتاج إلى غيره مطلقاً.

بينما لما ننفي (الاستعانة بغير الله) فالمقصود منه نفي الاستعانة بغير الله على نحو الاستقلال لأنه شرك...ولكن حينما يمنح الله بعض الأفعال والشؤون لبعض مخلوقاته على نحو « التبعية » وفي ظل القدرة الإلهية، وحينما نستعين بهم فهذا لا يعد شركاً بل توحيد، بعنوان أنه مُظهر أمره سبحانه، ومنفذ إرادته، ومن أجل أن يظهر هذا النوع من المعارف نأتي بأمثلة في المقام:

١- إن القرآن - في بعض آياته - يعد قبض الأرواح فعلا لله تعالى، ويصرح بأن الله هو الذي يتوفى الأنفس حين موتها إذ يقول: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوتِهَا ﴾ [٤٢٣]، بينما نجده يقول في موضع آخر، ناسباً التوفي إلى غيره، قال تعالى:﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ ﴾ [٤٢٤] ، أي أن الله بالأصالة وعلى نحو الاستقلال هو المميت فهو خالق الموت والحياة، ولكن الله بإرادته منح صفة الإماتة لبعض مخلوقاته على نحو التبعية أي هذه القدرة-الإماتة-يستمدها ملك الموت من الله في كل لحظة. ولذا هل من يقول أن ملك الموت هو المميت سيكون مشركاً؟، كما نسبت الوهابية الشرك لكل من نسب كرامة لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟

٢- يأمر القرآن - في سورة الحمد - بالاستعانة بالله وحده، إذ يقول: ﴿وإِيَّاكَ نَستَعِينُ ﴾ . في حين نجده في آية أخرى يأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة، إذ يقول: ﴿ وَاستَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَّلاَةِ ﴾ [٤٢٥] فهل من استعان بالصبر والصلاة سيكون مشركاً، كما نسبوا الشرك لكل من استعان بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟

٣- ينقل القرآن عن نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله بأن الله يشفيه إذا مرض، حيث يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [٤٢٦]. وظاهر هذه الآية هو حصر الإشفاء من الأسقام في الله سبحانه، في حين أن الله يصف القرآن والعسل بأن فيهما الشفاء أيضا، حيث يقول: ﴿ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ ﴾ [٤٢٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ مَا هُوَ شِفَاء ﴾[٤٢٨]، ولذا نسأل: هل من يستعين بالقرآن والعسل سيكون مشركاً، كما نسبوا الشرك لكل من توسل بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لطلب الشفاء ؟

٤- إن الله هو الكاتب لأعمال عباده، إذ يقول: ﴿ وَاللّهُ يَكتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾[٤٢٩] في حين يعد القرآن الملائكة - في آية أخرى - بأنهم المأمورون بكتابة أعمال العباد، إذ يقول: ﴿بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيهِم يَكتُبُونَ ﴾[٤٣٠] ولذا نسأل هل من يقول أن الملائكة تكتب كل أعمالنا سيكون مشركاً، كما حكموا بالشرك لكل من نسب علم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بكل أعمالنا؟

٥- إن الله هو مدبر الأمور ، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمرَ فَسَيَقُولُونَ اللّه ﴾ [٤٣١] بينما اعترف القرآن بصراحة في آيات أخرى بمدبرية غير الله كالملائكة حيث يقول: ﴿فَالمُدَبِّرَاتِ أَمراً ﴾ [٤٣٢]. [٤٣٣]، ولذا نسأل: هل من يقول أن الملائكة هي المدبرة لأمورنا سيكون مشركاً، كما حكموا بالشرك لكل من نسب التدبير لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ؟

إن حكم الأمثال فيما يجوز ولا يجوز واحد، فمثلما أجاز الله منح بعض القدرات -على نحو التبعية-لمخلوقات الله كالملائكة ولا يعد شركاً، فلماذا يستنكرون لمّا يمنحها الله لبعض من اصطفاهم من خلقه من البشر، وتعده الوهابية شركاً؟ وتكفّر كل من استعان بهم؟.. قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ

المبحث الثالث: الاستعانة بحجج الله على البرايا

لقد ذكرنا بعض الآيات التي تثبت بأن بعض الأفعال المنسوبة لله تعالى بالأصالة قد منحها لبعض مخلوقاته بالتبع كالتدبير والشفاء وغيرها. ولا يستثنى من المخلوقات البشر، ولذا جاز الاستعانة بهم أيضا على نحو التبعية لا الاستقلال ولا يكون شركاً... وكيف يكون شركاً وقد صرّح الله تعالى بذلك في القرآن الكريم، ونذكر منها الآيات الآتية:

١- يعد القرآن الإطلاع على الغيب والعلم به منحصرا في الله، حيث يقول: ﴿ قُل لَّا يَعلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ الغَيبَ إِلَّا اللَّه ﴾[٤٣٤] فيما يخبر الكتاب العزيز في آية أخرى عن أن الله يختار بعض عباده لاطلاعهم على الغيب، إذ يقول: ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطلِعَكُم عَلَى الغَيبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ﴾[٤٣٥]، فهل من يستعين بمن أطلعهم الله على غيبه يُعد مشركاً؟

٢- الزارع الحقيقي - حسب نظر القرآن - هو الله، كما يقول ﴿ أَفَرَأَيتُم مَّا تَحرُثُونَ * أَأَنتُم تَزرَعُونَهُ أَم نَحنُ الزَّارِعُونَ ﴾ [٤٣٦]، في حين أن القرآن الكريم في آية أخرى يطلق صفة الزارع على الحارثين، إذ يقول: ﴿ يُعجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ ﴾ [٤٣٧]، فهل من يستعين بالزُّرَّاع والفلاحين للحصول على الخضار يُعد مشركاً؟

٣- إن الله تعالى - في نظر القرآن - هو الرزّاق الوحيد حيث يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ ﴾[٤٣٨] بينما نجد القرآن يأمر المتمكنين وذوي الطول بأن يرزقوا من يلوذ بهم من الضعفاء، إذ يقول: ﴿ وَارزُقُوهُم فِيهَا وَاكسُوهُم ﴾ [٤٣٩] [٤٤٠].

فهل من يستعين بمن رزقهم الله يُعد مشركاً؟

ونفس الأمر يكون حينما يمنح الله عباده الصالحين بعض القدرات التي يعجز عنها البشر، مثال ذلك: إن الله هو الخالق، والمحيي، والمشافي، وعنده علم الغيب في نظر القرآن. في حين أن القرآن نفسه ينسب صفة الخالقية والإحياء والشفاء وعلم الغيب إلى البشر ولذا استعان الناس بهم لقضاء حوائجهم كما هو الحال مع نبي الله عيسى عَلَيهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿ أَنِّي أَخلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيرًا بِإِذنِ اللَّهِ وَأُبرِئُ الأَكمَهَ وَالأَبرَصَ وَأُحيِي المَوتَى بِإِذنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ ﴾ [٤٤١].

ولذا من يستعين ويستغيث ويتوسل بهم لقضاء حوائجهم فلا يعني أنه أشرك مع الله لأنه يعلم أن هذه القدرات والمعاجز والكرامات التي عندهم مأخوذة من الله على نحو التبعية لا على نحو الاستقلال، كما وضحنا ذلك قبل قليل، ولتوضيح المطلب أكثر نذكر لكم المثال الآتي:

لو نفترض أن هناك قرية تحتاج إلى إمدادها بالماء والثياب والأدوية، فقام (الغني) بصنع مولدة ضخمة للكهرباء، وصنع معمل لصناعة الأدوية، ومن ثم اختار (مُعين) ليكون مسؤولاً عن معمل الأدوية... وتم اختياره لأمانته وصدقه، وطلب منه قضاء حوائج الناس وإعطاء الدواء الذي يحتاجه أهل القرية، فهنا حالاتان:

الحالــة الأولى: إن الغني منح المولدة والمعمل ومكونات الأدوية وعلّمه بكل ما يتعلق بالعلاج فجعله مستقلاً عنه، أي طلب منه أن يعتمد على نفسه دون الحاجة للرجوع إلى الغني مرة اخرى.

إن القول بهذا الرأي الأول يعني أن المعين صار مستقلاً عن الغني، بمعنى أنه صار غنياً عنه.

الحالــة الثانيــة: إن الغني يمّد المعين بالقدرة على صنع الأودية وعلاج الناس ما دام المعين مستنداً إلى الغني في كل لحظة، فالمعمل يعمل بإذن الغني وجهاز مولد الكهرباء الذي يمدّ المعمل بالطاقة يتحكّم به الغني، وتعليمات صنع الدواء يأخذها من الغني في كل لحظة، ولا يستطيع المعين أن يقضي حاجة أحد إلا بعد موافقة الغني.

إن القول بالرأي الثاني يعني أن المعين صار تابعاً للغني غير مستقل عنه أبداً، فهو لا يستطيع أن ينفع الناس إلا إذا استمد القدرة من الغني في كل لحظة.

فلو نطبق هذا المثال على الاستعانة بحجج الله كالذين استعانوا بني الله عيسى ع، وطلبوا منه إحياء الموتى ... فإذا كانوا يعتقدون أن القدرة التي لديه قد منحها الله إليه وجعلها مستقلة عنه، أي لا ارتباط لها بالله بعد أن منحها له، فهذا يشابه الرأي الأول ويستلزم القول بذلك الشرك لأن المستقل عن الله هو غني، وكل غني هو إله، ومن المعلوم أن الغني في هذا الوجود بالأصالة هو الله تعالى، وما سواه مخلوق فقير محتاج إلى الله.

وأما لو اعتقدوا أن قدرة إحياء الموتى ممنوحة من الله إليه ما دام نبي الله عيسى مستنداً في كل لحظة إلى الله، بمعنى أنّه قادر على أن يعين العباد بقدرته المكتسبة من الله وأذنه في كل لحظة، فالمصباح المضيء تتوقف إضاءته على إمداده بالكهرباء

في كل لحظة، ولكن بمجرد انقطاع الكهرباء عنه ولو للحظة فسوف ينطفئ، وكذلك الحال مع المعجزات والكرامات الصادرة من أولياء الله فهي بمثابة المصباح المحتاج إلى إمداد إلهي في كل لحظة لتظهر للناس، بمعنى أنهم فقراء إلى الله وليسوا أغنياء مستقلين عن الله، وهذا يطابق الرأي الثاني ولا يُعد شركاً، بل توحيدا...ولذا نجد أن نبي الله عيسى يؤكد بأن المحيي الحقيقي للأموات هو الله لقوله بعد كل معجزة ﴿بإذن الله﴾، قال تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [٤٤٢] يقول صاحب كتاب الأمثل: إن تكرار القول ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ والإعتماد على مشيئته في هذه الآية من أجل أن لا يبقى عذر لمدعي ألوهية المسيح، ولكيلا يعتبره الناس ربا، أما عدم تكرارها في الأخبار بالغيب لوضوح الأمر. [٤٤٣]

ولذا نستغرب ممن يستنكر أو يحرّم الاستعانة بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، (فقد استعان أبناء الأنبياء والصحابة الكرام بالوسائط الشريفة في تحقيق المراد التي قد يتصور أنه لا يصح طلبها إلا من الله خاصة، كما في قول أبناء يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيهم: ﴿قَالوا يَا أَبَانَا استَغفر لَنَا ذنوبَنَا إِنَّا كنَّا خَاطئينَ﴾ [٤٤٤] وقول يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لهم: ﴿...سَوفَ أَستَغفر لَكم رَبّيَ إِنَّه هوَ الغَفور الرَّحيم﴾ مع أنه ورد قوله تعالى: ﴿...وَمَن يَغفر الذّنوبَ إلاَّ اللّه..﴾ [٤٤٥]، ولم يوجّه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أبناءه لطلب الاستغفار من الله مباشرة، وإنما توسط بطلب الاستغفار لهم، وقرر هذا المعنى المولى سبحانه عند ذكره لهذه الحكاية ولم يعقّب عليها بشيء.

وأيضاً ندب المولى سبحانه الصحابة إلى طلب التوسط بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لتحقيق مرادهم في الحصول على التوبة من الله ونيل رحمته، قال تعالى: ﴿...وَلَو أَنَّهم إذ ظَّلَموا أَنفسَهم جَآؤوكَ فاستَغفروا اللّهَ وَاستَغفرَ لَهم الرَّسول لَوَجَدوا اللّهَ تَوَّابًا رَّحيمًا﴾ [٤٤٦]، وهذه الآية يستفاد منها العموم لحالتي الحياة والموت، ولا يقتصر بها على حالة وجوده الشريف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بين ظهراني الصحابة، وذلك لورود الفعل ﴿جَآؤوكَ﴾ في سياق الشرط (لَو) الذي يستفاد منه العموم.

وكلامنا لا ينافي قوله تعالى: ﴿...وإيَّاكَ نَسْتَعين﴾ [٤٤٧]، وايضاً الحديث الذي يرويه إبن عباس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (إذا استعنت فاستعن بالله).. لأنه ورد في القرآن الكريم الأمر بالاستعانة بغير الله كما في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعينوا بالصَّبْر

وَالصَّلاَة ... ﴾[٤٤٨]، وايضاً قوله سبحانه: ﴿...وَتَعَاوَنوا عَلَى البرّ وَالتَّقوَى ﴾ [٤٤٩]وقد استعان الأنبياء والأولياء بغير الله تعالى في مختلف حوائجهم، وإنما الذي ينافي الاستعانة المذكورة في الآية الشريفة والحديث الشريف إنما هو الاعتقاد باستقلال المستعان به عن إرادة الله وقدرته في قضاء الحوائج، فنحن نستعين في حياتنا اليومية بالناس، بالوالدين، وبالطبيب، والمعلم، والمهندس، وبالأدوية، والأطعمة والأشربة، والقلم، والحاسوب، والإنترنت وغيرها، باعتقاد أن هذه الأشياء هي مخلوقة لله، وأن ما يصدر من فائدة منها في المقام إنما هي فيض من فيوضات الله سبحانه، فلذا لا يستلزم من ذلك التعارض مع حصر الاستعانة بالله. فالآيات الكريمة يجب أن نفهمها ضمن هذه المنظومة الشاملة لها، ولا يصح اجتزاء بعضها عن بعض، وقد قال تعالى: ﴿ أفَلاَ يَتَدَبَّرونَ القرآنَ وَلَو كَانَ من عند غَير اللّه لَوَجَدوا فيه اختلافاً كَثيرًا ﴾. [٤٥٠] [٤٥١]

رُبّ تساؤل يرد: نحن لمّا نجعل من المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وغيرهم واسطة قُرْب من الله تعالى فنتوسل بهم، فعملنا يشابه عمل المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [٤٥٢]

ونجيب عن ذلك بالنقاط الآتية:

أولاً: التوسل حقيقة قرآنية وشرعية ثابتة وهي ليست عبادة لغير الله، فلا يمكن جعل المتوسل به شريكا لله تعالى، بل الشيعة يعتقدون أن المعصومين عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.

ثانياً: نحن لم نجعل محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ شفعاء ووسائط وإنما الله سبحانه هو من جعلهم كذلك وأمرنا باتخاذهم شفعاء نتوسل ونتوصل بهم إليه عز وجل حيث قال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابتَغُوا إِلَيهِ الوَسِيلَة ﴾[٤٥٣] وكذلك قوله عز وجل :﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدعُونَ يَبتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقرَبُ وَيَرجُونَ رَحمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[٤٥٤] ولا يمكن أن يكون تطبيق وامتثال الأمر الالهي هو نفس فعل الكفار الممقوت. [٤٥٥]

ثالثاً: يقول السيد الطباطبائي (قد): أن المراد بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ [٤٥٦]، اتخاذهم أربابا يدبرون الامر بأن يسندوا الربوبية وأمر التدبير إليهم لا إلى الله فهم المدبرون للأمر عندهم ويتفرع عليه أن يخضع لهم ويعبدوا لأن العبادة لجلب النفع أو لدفع الضرر أو شكر النعم وكل ذلك إليهم لتصديهم أمر التدبير دون الله سبحانه.[٤٥٧]

بمعنى أن هؤلاء المشركين يعتقدون بوجود الله ولكنهم جعلوا له وسطاء كالأصنام من نسج خيالهم وبأن الله منحها أمر التدبير والنفع والضر على نحو الإستقلال لا التبعية، ولقد ذكرنا أن ذلك يستلزم الشرك... بينما الشيعة الإمامية لا يعتقدون بإلوهية إلا الله، ولا مدبر في الكون غير الله تعالى، وأن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا يضرون ولا ينفعون إلا بإذن الله، قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾[٤٥٨]وكل ما أكرمهم الله من قدرات وأفعال فهي على نحو التبعية لا على نحو الاستقلال كالتي أودعها عند الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

سؤال: لماذا منح الله المعجزات والكرامات لحجج الله على البرايا كالأنبياء والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ؟

الجواب: إن الهدف من المعجزة أو الكرامة هو إثبات النبوة أو الإمامة، لكي يؤمن من خلالها الناس بالأنبياء أو الأئمة، فيطيعوا التعاليم والأوامر التي يبلغونها فيصلوا إلى السعادة. [٤٥٩]

ومن أجل ذلك لما أتى نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمعاجز أعقبها بذكر العلّة قائلاً:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٤٦٠]، أي ما آتيته من معاجز فهي دالة على صدق دعواتي للنبوة وأني رسول إليكم.

والأمر كذلك مع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فأن كراماتهم دالة على صدق إمامتهم وعلو منزلتهم ومقامهم عند الله تعالى فتكون سبباً لهداية الضالين ولتكون حجة على الجاحدين.

والكرامات غير مختصة بالأنبياء والأئمة بل تشمل حتى عباد الله الصالحين من النساء والرجال وعلى رأسهم السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عَلَيْهَا السَّلَامُ.

المبحث الرابع: الاستعانة بالسيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ

إن الاستعانة والتوسل بالسيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ أمرٌ حثتنا عليه الشريعة، ونذكر منها النصوص الآتية:

۞ روي عن السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ: ونحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصته، ومحل قدسه، ونحن حجته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه.[٤٦١]

فالوسيلة هي كل عمل أو شيء يؤدي إلى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وإن التوسّل والاستعانة بالأنبياء والأئمة والأولياء الصالحين من الوسائل التي تقرّب إلى الله تعالى. بمعنى أن السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ تخبرنا بأنها الوسيلة إلى الله التي أمرنا الله أن نبتغيها ونستعين بها، قال تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [٤٦٢] وأن التوسل (معناه أن يبادر الإنسان المؤمن - عن طريق الأعمال الصالحة والسير على نهج النبي والإمام - بطلب الشفاعة منهم إلى الله، أو أن يقسم بجاههم وبدينهم (وهذا يعد نوعا من الاحترام لمنزلتهم وهو نوع من العبادة) ويطلب من الله بذلك حاجته، وليس في هذا المعنى أي أثر للشرك)[٤٦٣]

۞ روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: « عليكم بالزهراء، استغيثوا باسمها ونادوا مولاتكم فاطمة، وحينئذ تقضى حاجتكم، وتنالون مطلبكم ».[٤٦٤]

۞ روي عن علي بن أبي حمزة، أنه استأذن من الإمام الكاظم أن ينقل عنه حديثا عن جده الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال : «أنه إذا كان وعك (أي أصابه الحمى) استعان بالماء البارد، فيكون له ثوبان: ثوب في الماء البارد، وثوب على جسده، يراوح بينهما، ثم ينادي حتى يسمع صوته على باب الدار: يا فاطمة بنت محمد، فقال الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: صدقت». [٤٦٥]

۞ لما نستقرئ النصوص الروائية نجد حتى الأنبياء قد توسلوا بالسيدة فاطمة حينما لاذوا بأسماء أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فقد روي عن المفضل، عن الصادق جعفر بن محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿ وَإِذِ ابتَلَى إِبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ ما هذه الكلمات؟، قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه

وهو أنه قال: « يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي « فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم.[٤٦٦]

وعن أبي سعيد المدائني يرفعه في قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيهِ ﴾[٤٦٧] قال سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.[٤٦٨]

بل لاذ بها حتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في رواية حديث الكساء المروية عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ قالت: « دخل علي أبي وقال: السلام عليك يا فاطمة، وقالت: وعليك السلام يا أبتي، قال: «إني أجد في بدني ضعفا»، فقلت له أعيذك بالله يا أبتاه من الضعف... »، (فمن المعلوم أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حركاته وأقواله وأفعاله وسكناته وقعوده وأنفاسه، هي بأمر من الله تعالى، فلذا ذهابه لبيت السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ لم يكن صدفة بل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يشعر أن السيدة فاطمة تمدّه بالقوة كما تمدّ الأم ولدها بالقوة ويشعر بالراحة لما يلجأ إليها ولذا كناها بـ(أم أبيها)، فلما دخل بيتها قال لها: (إتيني بالكساء اليماني فغطيني فيه) فلو لاحظتَ هذه الفقرة، تجد أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أزيل عنه الضعف ببركة الكساء اليماني التي تلتحف فيه فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، إذا كان هذا الكساء عند فاطمة يزيل الهم والغم، وما إن يلتحف به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلا وتدب فيه القوة في بدنه، إذا فكيف فاطمة ؟)[٤٦٩]، الكساء اليماني يذكّرني بقميص يوسف وبركاته على نبي الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأيضاً استعان بالسيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ الأئمة الأطهار، ومنهم صاحب الأمر والزمان عج، روي أن (أحد علمائنا الأبرار توفى «رضوان الله تعالى عليه» كان يتشرف بلقاء المهدي «عجل الله فرجه الشريف» وكان يعلم أن أعظم أمر يؤذي قلب الإمام المهدي عج هو عندما يرى من شيعته انحراف في الدين، أو انحراف في العقيدة، فهذه أعظم مصيبة على قلب الإمام والإمام يتأثر بما حصل على آبائه وأجداده... هذا العالم سأل الإمام يوماً قائلاً: أنت تحصل لك مصائب: فلان انحرف، فلان ثابت العقيدة أصبحت عقيدته مختلة وفلان كذا، عندما تصل إليك هذه المصائب وتتعبك وتنهكك، كيف تدرك النشاط، تدرك الحيوية مرة أخرى بعد أن أنهكتك المصيبة؟ الإمام «عجل الله فرجه الشريف» يجيب: (أن بعضها يقعدني لا أستطيع

أن أتحرك، فتعينني أمي فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ).

الإمام يستعين بأمه وهي روح محلقة في أجواء الخلد، يستعين بأمه الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ لاستعادة نشاطه وحيويته، (إن بعضها يقعدني فتعينني أمي الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ).[٤٧٠]

فإذا كان المعصومون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على قوتهم ومنزلتهم العظيمة استعانوا بالسيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ لذا فمن باب أولى أن يلوذ بالصديقة الطاهرة عوام الناس وبالأخص الموالين لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(إنّ التوسّل بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومنهم فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ يتصوّر على قسمين:

١. تارة نطلب من الله تعالى بحقّهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومنزلتهم عنده تعالى أن يقضي حوائجنا، وهذا القسم لا علاقة له بقدرتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على قضاء الحوائج. كأن نقول « اللهم أنّي أتوسل إليك بجاه ابنة محمّد وحرمتها وحقّها أن تقضي حاجتي »

٢. وتارة نطلب منهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أن يطلبوا من الله تعالى قضاء حوائجنا، كأن نقول -كما في دعاء التوسل-: (يا فاطمة الزهراء يا بنت محمد يا قرة عين الرسول، يا سيدتنا ومولاتنا، إنا توجهنا واستشفعنا، وتوسلنا بك إلى الله، وقدمناك بين يدي حاجاتنا، يا وجيهة عند الله اشفعي لنا عند الله....)[٤٧١]

وهذا القسم من التوسّل مقدور عندهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فهو مجرد طلب من الله تعالى في قضاء الحاجات، فالله تعالى هو القاضي لا هم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ [٤٧٢] كما ذكرنا في البحث.

وسنذكر لكم بعض الأعمال و الروايات الواردة في التوسّل بالصدّيقة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، وهي من المجرّبات في دفع المصائب والحوادث الملمة وقضاء الحاجات، وهي كالآتي:

أولاً: التوسل عن طريق الدعاء: من مجرّبات الأدعية هو الاستغاثة إليها عَلَيْهَا السَّلَامُ بالدعاء خمسمائة وثلاثين مرة بتوجّه: (اللهم بحق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها بعدد ما أحاط به علمك).

وأيضاً الاستغاثة إليها بالدعاء: (إلهى بحق فاطمة وأبيها ، وبعلها وبنيها ، والسر المستودع فيها).[٤٧٣]

ثانياً: التوسل عن طريق الصلاة: التي تسمى صلاة الاستغاثة بالزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، فقد روي عن الإمام الصادق أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: « إذا كانت لك حاجة إلى الله وضقت بها ذرعا، فصل ركعتين فإذا سلمت كبر الله ثلاثا، وسبح تسبيح فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، ثم اسجد وقل مائة مرة: يا مولاتي فاطمة أغيثيني، ثم ضع خدك الأيمن على الأرض، وقل مثل ذلك، ثم عد إلى السجود وقل ذلك مائة مرة وعشر مرات واذكر حاجتك فإن الله يقضيها ».[٤٧٤]

ثالثاً: التوسل عن طريق العمل الصالح: بأن نقوم بأعمال صالحة على حب فاطمة ؟ برجاء أن تقضى حاجاتنا، وحتماً ستقضى إذا كان فيها المصلحة، فإذا لم تُقضى في الدنيا فستُقضى في الآخرة، يروى في حديث شفاعة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ أنه في يوم القيامة يقول الله تعالى : « يا أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة، انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من رد عنكم غيبة في حب فاطمة خذوا بيده وأدخلوه الجنة ».[٤٧٥]

رابعاً: التوسل بتسبيحة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ: روى صاحب كتاب مشكاة الأنوار، صفحة ٢٧٨: قال: « دخل رجل على أبي عبد الله وكلمه فلم يسمع كلام أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وشكى إليه ثقلا في أذنيه، فقال له: ما يمنعك؟ وأين أنت من تسبيح فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ قال: جعلت فداك، وما تسبيح فاطمة؟ فقال: تكبر الله أربعا وثلاثين وتحمد الله ثلاثا وثلاثين وتسبح الله ثلاثا وثلاثين تمام المائة، قال: فما فعلت ذلك إلا يسيرا حتى أذهب عني ما كنت أجده ».

المبحث الخامس: كرامات السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ

لقد ذكرت لنا النصوص الشرعية العديد من كرامات الصديقة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ ، نذكر منها الكرامات الآتية:

١. خدم من الملائكة: روي عن أبي ذر الغفاري قال: « بعثني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

أدعو عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ فأتيت بيته وناديته فلم يجبني، فأخبرت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «عُد إليه فإنه في البيت» فأتيت ودخلت عليه فرأيت الرحى تطحن ولا أحد عندها، فقلت لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ : أن النبي يدعوك، فخرج متوشحاً حتى أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فأخبرت النبي بما رأيت، فقال: « يا أبا ذر لا تعجب، فإن لله ملائكة سياحون في الأرض موكلون بمعونة آل محمد ».[٤٧٦]

٢.دوران الرحى: عن عمار وميمونة قال كل منهما: وجدت فاطمة نائمة والرحى تدور، فأخبرت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بذلك، فقال: « إن الله علم ضعف أمته فأوحى إلى الرحى أن تدور فدارت ».[٤٧٧]

٣.المهد يتحرك: روي أن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ربما انشغلت بصلاتها وعبادتها، فربما بكى ولدها فرؤي المهد يتحرك وكان ملك يحركه.[٤٧٨]

٤.ما هذه الأنوار في دارنا؟: روي أن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ رهنت كسوة لها عند امرأة زيد اليهودي في المدينة واستقرضت الشعير، فلما دخل زيد داره، قال: ما هذه الأنوار في دارنا؟، قالت: لكسوة فاطمة. فأسلم في الحال وأسلمت امرأته وجيرانه حتى أسلم ثمانون نفساً.[٤٧٩][٤٨٠]

وهناك كرامات أخرى ذكرنا بعضها في المحاضرة المعنونة بـ(فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ جمالٌ وجلال) في هذا الكتاب.

ولما نسأل عوام الناس ليخبرونا عن الكرامات التي وجدوها حين توسلوا واستعانوا بفاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ ستجد أنها بالمئات والآلاف، ولقد دونها بعض العلماء في كتبهم، أذكر لكم مضمون قصتين من كتاب كرامات الزهراء للشيخ الأبطحي، وهما كالآتي:

القصة الأولى: ذات يوم كان المرجع الديني الكبير آية الله العظمى الحاج السيد محمد هادي الميلاني (قدس سره) جالسا فدخلت عليه عائلة من ألمانيا ليقولوا له : لقد جئنا من ألمانيا ونريد أن نعتنق الدين الاسلامي ...

وكانت القصة أن هذه العائلة تعيش في ألمانيا ولديهم طفلة سقطت من درج

عالٍ فتهشمت أضلاع صدرها وأثرت على باطن جسدها وعجز الأطباء عن علاجها، وأخبروهم بأن حالتها ميؤوس منها، والأفضل أن تقضي ما تبقى من أيامها في بيت أهلها ... فرقدت الطفلة في بيت أهلها بين الموت والحياة..وتحولت حياة العائلة إلى جحيم وهم ينظرون لابنتهم العزيزة تتألم رغم أنها تتناول المهدئات ..وتتعترض من غيبوبة لأخرى وتقترب من الموت بالتدريج.

وكانت تعمل عند هذه العائلة الألمانية خادمة إيرانية شيعية، حزنت على مصاب الطفلة فقالت لأبوي الطفلة: أنا لديّ طلب أعرضه عليكم وأنتم مخيرون في قبوله أو رفضه!!!

فقالوا لها: وما هذا الطلب؟، .... قالت الخادمة: نحن الشيعة لدينا سيدة عظيمة اسمها فاطمة هي ابنة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عمرها ١٨ سنة و قد كسروا أضلاعها... ونحن لدينا عقيدة بابنة نبينا فهي تقضي الحوائج ... لقد جربتم الطب وعجز عن شفائها وأنا اطلب منكم أن تجربوا التوسل بفاطمة لشفاء ابنتكم...فقالوا لها علمينا كيف نتوسل بها، فنحن على استعداد أن نفعل أي شيءمن أجل شفاء ابنتنا...

قالت لهم: إفتحوا الشباك وتكلموا في الهواء وقولوا: يا فاطمة يا كسيرة الأضلاع أنقذي ابنتـــــنا ... ولكن بشرط ....قالوا لها: وما هو الشرط؟

قالت: إذا شفيت ابنتكم نذهب كلنا وأنا معكم إلى منطقة مقدّسة تسمى مشهد حتى تزوروا الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ وتعلنوا تشيعكم فيه على يد مرجع الطائفة السيد الميلاني... فهل توافقون؟

قال الأب للمرجع: فوافقنا...ثم فتحنا الشبابيك وأخذت أنا وزوجتي والخادمة نتكلم بحرقة ونصرخ ونبكي ونكرر من قول: يا فاطمة يا كسيرة الأضلاع أنقذي ابنتـــنا... يا فاطمة يا كسيرة الأضلاع أنقذي ابنتـــــنا...

فإذا بعد مدة من توسلنا بفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ رأينا طفلتنا استيقظت من غيبوبتها وتمشي إلينا وتقول(أنا جائعة)... فاستغربنا وقلنا لها: ماذا حصل؟ كيف تعافيتِ؟

قالت: وأنا نائمة زارتني امرأة وجلست بقربي وسلّمت عليّ، وحزنت لحالي وقالت

متأسفة: أنت اضلاعك مكسّرة مثل اضلاعي!!! ثم مسحت على صدري بيدها فإذا الألم زال مني نهائياً وتعافيت بسرعة ... ذهل الأبوان فأخذا الطفلة إلى الطبيب ليفحصها، فلما أجرى الفحوصات عليها قال: إن اضلاعها سليمة مائة بالمئة ...فماذا فعلتم لها؟، ...قال الأب: لقد أخذناها لطبيبة تسمى فاطمة.

ثم قال الأب للمرجع: ونحن على عهدنا أتينا إلى الإمام لكي نعلن تشيعنا.

الراوي يقول: السيد الميلاني لما سمع الكلام نزع عمامته وأخذ بالبكاء.

اللهم العن ظالمي وقاتلي فاطمة بمحمد وآل محمد.

القصة الثانية: تعرض أحد الخطباء الموالين لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلى أزمة وانتهى به الأمر إلى مواجهة الحكم عليه بالسجن مدة ٨ سنين ... وبعد انقضاء عام واحد على اعتقاله أحس بحالةٍ من الضعف الروحي والعجز عن التحمل، فتذكر آنذاك أن العلامة الطباطبائي (قدس سره) كان قد أوصى بذكر صلوات خاصة وهي محط كرامة وعناية إلهية ... فبدأ هذا الخطيب بالتوسل وقراءة هذه الصلوات فلم يجد نفسه إلا وقد أفرج عنه بعد ساعتين فقط، في حين أنه كان قد تبقى في مدة سجنه ٧ سنين تقريباً .

أما الصلوات المشار إليها وطبقاً لما أوصى بها وعلمها العلامة الطباطبائي (صاحب

تفسير الميزان) فهي كالآتي : تقرأ ٥٣٠ مرة وهي : (اللهم صل على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها بعدد ما أحاط به علمك)، والعدد ٥٣٠ يطابق اسم فاطمة وفق جدول حساب الحروف.

فكرامات السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بعد مماتها لا تعد ولا تحصى، وكراماتها في حياتها حصلت في مواقف عديدة، منها الموقف المأساوي الذي لا ينسى الذي يرويه لنا الإمام أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: « لما استُخرج أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من منزله، خرجت السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ خلفه، فما بقيت امرأة هاشمية إلا خرجت معها، حتى انتهت قريباً من القبر، فقالت لهم: خلوا عن ابن عمي فوالذي بعث محمدا أبي بالحق إن لم تخلوا عنه لأنشرن شعري ولأضعن قميص رسول الله على

رأسي، ولأصرخن إلى الله تبارك وتعالى، فما صالح بأكرم على الله من أبي، ولا الناقة بأكرم مني، ولا الفصيل بأكرم على الله من ولدي!

قال سلمان رضي الله عنه: كنت قريبا منها، فرأيت والله أساس حيطان مسجد رسول الله تقلعت من أسفلها، حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ، فدنوت منها فقلت: يا سيدتي ومولاتي إن الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة، فرجعت ورجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها، فدخلت في خياشيمنا ».(٤٨١)

وأقبلت فاطمُ تعدو خلفه ... والعينُ منها تستهلُّ أدمعها
فانتهروها بسياطِ قنفذٍ ... وكسَّروا بالضربِ منها أضلعا
فانعطفت تدعو أباها بحشىً ... تساقطت مع الدموعِ قطعا

(بحر طويل)

تاليها الشجاني اوزاد همّي او هيَّجه الغمّي
وارخص غالي ادموعي واجرهامن الجفن دمّي
يوم الصاحت الزهره خلوا عن ابن عمى
صاح افلان يا قنفذ ولك بالسوط رد ليها
رد ليها اولوعها او روعها وهي اتنادي
لفرع واشتكي للّه ابكل اللي عَلَي سادي
يو خلوا علي الكرار لا اتيتمون ويلادي
تصرخ والعصه ويلاه تتلوه على ايديها

(أبوذية)

انشد عن مصابيها وسلها ... كتلها ابعصرته الظالم وسلها
يشيعي ابچي اعله عملتها وسلها ... او صب ادموع علزهره الزچيه

نعم لقد أخذوا أمير المؤمنين إلى مجلس الرجل والقوم يقولون له يا علي بايع وإلا ضربنا عنقك، فلما سمع الحسنان قول القائل يا على بايع أو نضرب عنقك رفعا أصواتهما بالبكاء فلما سمع أمير المؤمنين ذلك قال لهما لا تبكيا إنهما لن يقدرا على قتل أبيكما.[٤٨٢]

(نصاري)

الحسن وحسين دمعتهم جريه ... يريت ايشوفهم سيد البريه
وابوهم علي حامي الحميه ... راسه امكشّف او بالحبل ينجر

(أبوذية)

اشلون الخصم للزهره تجره ... دفعها او من صدرها الدم تجره
ألف ما تكدر الحيدر تجره ... وخذوه مكتوف حمّاي الحميه

قادوه بالحبل قهرا وهي خلفهمُ ... تدعو وأدمعها كالغيث ينكسبُ
يا قومُ خلّوا ابنَ عمي قبل أنْ تقعَ ... الخضراءُ فوق الثرى والكون ينقلب
فقنَّعوها بقرعِ الأصبحيةِ لا ... عداهمُ سخطُ الجبارِ والغضب
ووشحوا مَتنها بالسوط فانكفأتْ ... لدارها وحشاها ملؤُه عَطَب[٤٨٣]

٢٠ جمادى الآخرة

ولادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهـــــراء (عليها السلام)

السلام عليك يا فاطمة الزهراء

المناسبة

ولادة السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ

القصيدة للشاعر السيد محمد جمال الهاشمي

شَعَّت فلا الشمسُ تحكيها ولا القمرُ ... « زهراءُ » من نورها الأكوانُ تزدهرُ

بنتُ الخلودِ لها الأجيالُ خاشعةٌ ... أمُّ الزمان إليها تنتمي العُصُرُ

روحُ الحياة، فلولا لُطفُ عصرِها ... لم تأتَلِفْ بيننا الأرواحُ والصُّوَرُ

سَمَت عن الأفق.. لا رُوحٌ ولا مَلَكٌ ... وفاقت الأرضَ.. لا جنٌّ ولا بَشَرُ

مجبولةٌ من جلالِ اللّهِ طينتُها ... يَرِفُّ لُطفاً عليها الصَّونُ والخَفَرُ

ما عابَ مَفْخَرَها التأنيثُ إنّ بها ... على الرجالِ نساءُ الأرضِ تَفتخِرُ

خصالُها الغُرُّ جَلّت أن تلوكَ بها ... منّا المَقاولُ أو تَدنو لها الفِكَرُ

مَعنى النبوّةِ سرُّ الوحي، قد نَزَلَتْ ... في بيتِ عصمتِها الآياتُ والسُّوَرُ

حَوَتْ خِلالَ رسولِ اللّهِ أجمَعَها ... لولاَ الرسالةُ ساوى أصلَه الثَّمَرُ

تَدرّجَت في مَراقي الحقِّ عارجةً ... لِمَشرقِ النورِ حيث السِّرُّ مُستَتِرُ

ثمّ انْثَنَت تَملأُ الدنيا معارفُها ... تَطوي القُرونَ عَياءً وهي تنتشرُ

قُل لِلّذي راحَ يُخفي فضلَها حَسَداً ... وجهُ الحقيقةِ عنا كيف يَنْسَترُ؟!

أتَقرِنُ النورَ بالظلماءِ من سَفَهٍ؟! ... ما أنتَ في القولِ إلاّ كاذبٌ أشِرُ

بنتُ النبيّ الذي لولا هدايتُهُ ... ما كان للحقِّ لا عينٌ ولا أثَرُ

هيَ التي وَرِثَت حقّاً مفاخِرَهُ ... والعطرُ فيه الذي في الوردِ مُدَّخَرُ

في عيدِ ميلادِها الأملاكُ حافلةٌ ... والحورُ في الجنّةِ العُليا لها سَمَرُ

تزوّجَت في السما بالمرتضى شَرَفاً ... والشمسُ يَقرنها في الرتبةِ القَمَرُ

على النبوّةِ أضْفَت في مراتبها ... فَضْلَ الولايةِ لا تُبقي ولا تَذَرُ

أمُّ الأئمّةِ مَن طَوعاً لرغبتهم ... يعلو القضاءُ بنا أو يَنزِلُ القَدَرُ

قِفْ يا يَراعيَ عن مدحِ البتولِ فَفي ... مديحِها تَهتِفُ الألواحُ والزُّبُرُ

وارجِعْ لتستخبِرَ التاريخَ عن نبأٍ ... قد فاجَأَتْنا به الأنباءُ والسِّيَرُ

ابوذيات للشاعر جابر الكاظمي

مهجتي اعله الفرح هاليوم صارت و صور عن مولد أم الحسن صارت
ابجمادي الثاني و العشرين صارت ولادة فاطمه الزهره الزجيه

شمس للعصمه و اتحفها سماها سمت و الخالق ابفضله سماها
إسمها فاطمه و ربها سماها و فطمت شيعتها من نار السريه

اتروح الروح من جسمي وردها الفرح هاليوم جاذبها وردها
الليله الدنيه فواحه وردها تفوح ابمولد الزهره الزجيه

فاطم يا فضل يوصل فضلها بحر بالعلم و التقوه فضلها
انكون ابساعة المحشر فضلها نجاة إلنه من النار السريه

كرامة فاطمه الزهره لبتها قصد جبريل يخدمها لبتها
تهاني الليله أقدمها لبتها و أبارك زينب بأمها الزجيه

اليحبنه اعطور للخوه شملنه خدمة فاطمه الزهره شملنه
ابفضلها ان شاء يلتم شملنه و نحيي ابكربله حفل الزجيه

بحر الجود و الحكمه فضلها و كل الوادم اتأمن فضلها
أم الحسن عالعالم فضلها مثل فضل النبي سيد البريه

المحاضرة الثامنة

فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ..جَمالٌ وجَلال

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ :

«لو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة ، بل هي أعظم . فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً» (٤٨٤)

نتقدم بأسمى آيات التهاني والتبريكات إلى مقام ولي الله الأعظم وصاحب العصر والزمان عج وإلى المراجع الكرام والأمة الإسلامية جمعاء بمناسبة ذكرى مولد سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ بنت الرسول الأكرم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وزوج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ وأم الحسنين عَلَيْهَا السَّلَامُ .

فاطمة وما أدراك ما فاطمة .... هي الزهراء، الصدّيقة، الزكية، الراضية، المرضية، الطاهرة، المباركة، الحوراء، الإنسية، المحدَثة، الكوثر، أم أبيها، سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، هي التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها .. تلك المرأة التي يعجز اللسان عن وصفها، ولكن كما قيل: « ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه «، لذا نريد في هذه الدقائق أن نتعرّف على بعض فضائل ومقامات السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ المروية في هذا الحديث الشريف.

ولفهم الحديث لا بدّ من الوقوف على أبرز المفردات وهي (الحُسن)، و(العنصر)، و(الشرف)، و(الكرم) والتي سنتطرق إليها في المباحث الآتية:

مباحث الرواية الشريفة

المبحث الأول: السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ المصداق الأمثل للحُسن

في هذا المبحث سنقف على العبارة الأولى وهي: «لو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة».

إن المعنى اللغوي لكمة (الحُسْنُ) هو الجمال. وهو على قسمين: جمال ظاهر وجمال باطن، إن الأصل في الجمال هو الباطن، ومصاديقه عديدة منها: فصاحة اللسان، والحلم، والوقار، وبقول الحق، وحسن السريرة، والورع، والعفة والطاعة لله، والقناعة، وبالعلم وغيرها، وإليكم بعض النصوص الروائية:

- روي عن الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « الجمال الظاهر حسن الصورة ، الجمال الباطن حسن السريرة ».[٤٨٥]
- روي عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: « الجمال صواب القول بالحق ».[٤٨٦]
- وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «جمال المؤمن ورعه ».[٤٨٧]
- وعنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «جمال العبد الطاعة».[٤٨٨]
- وعنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «جمال العيش القناعة».[٤٨٩]
- وعنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «جمال العالم عمله بعلمه».[٤٩٠]

بعد أن فهمنا ذلك ينبغي أن نعلم أَن (الحُسن والجمال) ليس بدرجة ومرتبة واحدة بل متعددة، والشريعة الإسلامية حثتنا على طلب (الأحسن) فصيغة (أحسن) تحمل معنى التفضيل، بالزيادة في (الحسن) على من يشاركه في أصل الوصف، وهذا ما علّمنا إياه الله تعالى لدرجة صار أحسن العمل هو ميزان التفاضل بين البشر، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٤٩١]، وهذا ما كان يدعو به الأطهار كالإمام زين العابدين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « وَ انْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَى أَحْسَنِ النِّيَّاتِ ، وَ بِعَمَلِي إِلَى أَحْسَنِ الْأَعْمَالِ ».[٤٩٢]

ولذا لما نسلط الضوء على نساء الكون سنجد أنهن يتفاوتن في نسب الجمال بتفاوت درجة كل قيّمة تمثلها، فتارة نرى إمرأة تتصف بالحُسن والجمال الظاهري، ولكن باطنها قبيح، فتحشر يوم القيامة بهيئة تحسن عندها القردة أو الخنازير، لكونها غير عفيفة ومتبرجة وعاصية. بينما هناك امرأة جمالها عادي ولكن باطنها جميل جداً أجمل من الحور العين؛ لكونها عفيفة ومؤمنة ومتقيّة، ولكن قد يكون فيها

نقص في قيمة من قيم الجمال الباطنية. ولكن عندما نأتي لمعنى (الحُسن والجمال) المثالي فأنه لا ينطبق بشكل كامل إلا في شخصية السيدة فاطمة ، لقول الرسول : «لو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة»؛ لكونها أحسن الناس في النيات والأعمال والأقوال والأخلاق والأفكار ..ولكونها الأورع والأتقى والأقنع والأعقل والأكرم..إلخ.

أذن نستنتج من ذلك بأن كل قيّم الحُسن والجمال الموجودة في هذا العالم إذا أردنا أن تجتمع في مكان واحد، وتُنْفَخُ فيها الرّوح حتى تُصبح إنساناً له شخصيّة، فهذه الشخصية هي السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ؛ لكونها بلغت أعلى درجات الحُسن والجمال فكانت هي الأورع والأكثر طاعة لله، والأكثر قناعة، والأكثر علما وفصاحة وحلما ووقاراً وغيرها

فقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لو كان الحسن شخصاً لكان فاطمة» يعني أنّها جمال الله وحسنه، أي صارت كالمرآة التي تعكس جمال الله لكونها تخلقت بأخلاقه سبحانه وتعالى، فقد روي عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: « تخلّقوا بأخلاق الله ».[٤٩٣]

المبحث الثاني: السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ خير أهل الأرض

لقد ذكرنا أن الحُسن متجسد في السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ. ولكن يبدو أن القضية لا تتوقف على ذلك، أي لا يكفي أن نقول (إن الحسن متجسدٌ في فاطمة لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (بل هي أعظم).

سؤال: أعظم من أي ناحية؟

الجواب: من نواحي متعددة منها ناحية (العنصر)، و(الشرف)، و(الكرم)، التي صرّح بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في نفس الحديث محل البحث: «... فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً» [٤٩٤]

إنّ تعبير الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «.. بل هي أعظم . فاطمة ابنتي خير أهل الأرض..» هو تعبير دقيق جداً ولطيف وله نكات ذكرها العلماء:

(**النكتة الأولى**: إنّ النبيّ الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يعبّر عن حسن وجمال زمانٍ معيّن، بل ذكر حسن وجمال كل الأزمنة.

النكتة الثانية: إنّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يشر إلى فضائل وجمالٍ وحُسْنٍ يوجد في النّاس، بل قال كل حُسْنٍ وجمال وفضائل الوجود، يعني ما يوجد في النبيّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ النبيّ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، النبيّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، النبيّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، النبيّ عيسى والأنبياء الإلهيين الآخرين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من حسن وجمال وكمالات بصورة كاملة موجودة في الوجود المقدس للسيدة الطاهرة عَلَيْهَا السَّلَامُ، سواءً كان حسناً وكمالاً وجمالاً في الاعتقادات والأفعال والصفات، أو الكمالات الأخرى في عالم الوجود وما سوى الله.

النكتة الثالثة: إنّ النبيّ الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يكتفِ بهذا الحد، بل يواصل ويقول: «بل هي أعظم»، أي أنّ ابنتي أفضل وأعلى من كلّ هذه الكمالات والحسن والجمال الذي ذكرته. فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، هي حُسن الوجود، ورمز وضع أسماء أبنائها حسن، حسين، محسن، هو أنّها حَسَن الوجود، حسين الوجود ومحسن الوجود.

النكتة الرابعة: في ذلك الوقت قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ :«إبنتي خيرُ أهل الأرض» يعني من بداية الخلقة إلى نهايتها، أفضل مخلوق فوق الأرض من جهة العنصر والشرافة والكرامة هي ابنتي الزّهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ.

النكتة الخامسة: الشيء الذي جاء في بيان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقابل للتأمل والتدقيق إنّ هذه الخصوصيّات للسيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ لم ترد حتى للنبيّ الأكرم (ولذلك يظهر بأنّ السيدة الزّهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ حقيقةً مجهولة القدر والمنزلة، وسوف تبقى غير معروفة المنزلة والمقام).[٤٩٥]

المبحث الثالث: السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ خير أهل الأرض عنصراً

نأتي إلى العبارة التالية، وهي قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «... فإنّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً ..»[٤٩٦] ولنقف على مفردة (العنصر).

العُنْصُرُ لغةً: الأَصلُ والحسبُ والنسب.

سؤال: هل إن عنصرالسيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ يختلف عن عنصر بقية البشر؟

الجواب: إن الله تعالى الله تعالى خلق آدم أبا البشر من ماء وتراب بيد ملائكته، فهو في خلقته العنصريّة من العناصر الأربعة المادّية، وكل بني آدم خلقهم من تراب، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾. (٤٩٧)

فمن المعلوم أن الجنين خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ(٤٩٨)، وهذا مخلوق من الأطعمة التي يتناولها الإنسان والتي أصلها مخلوق من تراب سواء أكانت نباتية أم حيوانية.

ولكن السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ في خلقتها العنصرية إنّما كانت من شجرة طوبى في الجنّة التي غرسها الله بيده، يد القدرة المطلقة، فهي الحوراء الإنسيّة.

وللتوضيح نقول: لقد ذكرنا في المحاضرة المعنونة بـ(مراحل التنشئة الوراثية للطفل) في الجزء الثاني من كتاب(زاد المبلغات) بأن الطعام الذي تتناوله الحامل له علاقة في تحسين عملية النسل، (بل ذهب العلماء وأهل الاختصاص إلى ما هو أبعد من ذلك فقالوا: إنّ تأثير الغذاء على النطفة أشدّ من تأثيره على الجنين، وتأثيره على الجنين أشدّ من تأثيره على الطفل الصغير، وتأثيره على الصغير أشدّ من تأثيره على الكبير البالغ، فإذا عرفنا أنّ خطورته على الكبير شديدة جدّاً عرفنا مدى خطورته على الصغير فضلاً عن الجنين، فضلاً عن النطفة!

إذا عرفتم هذا تعالوا معي الآن إلى رواية ميلاد السيّدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، فقد وردت روايات متعدّدة كلّها تفيد بأنّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد أكل من طعام الجنّة فتحوّل إلى ماءٍ في صلبه فواقع خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ فحملت بفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، فمن هذه الروايات ما ورد عن أمير المؤمنين عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ من أنّ (جبرئيل) و (ميكائيل) و (إسرافيل) جاؤوا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بطبق من الجنّة مغطّى بمنديل سندس أو إستبرق، وقالوا له بأنّ الله تعالى يقول له بأن يفطر تلك الليلة على هذا الطعام، فلمّا خلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالطعام وكشف الطبق، وإذا عذق من رطب وعنقود من عنب، فأكل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ منه شبعاً وشرب من الماء ريّاً، ثمّ كان بينه وبين أهله ما يكون بين الزوج وزوجته، تقول خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ: « فَلَا

وَالَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ وَأَنْبَعَ المَاءَ، مَا تَبَاعَدَ عَنِّي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى حَسَسْتُ بِثِقْلِ فَاطِمَةَ فِي بَطْنِي ».[٤٩٩]

ومن هذه الروايات ما رواه الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الصحابي الجليل جابر بن عبدالله أنّه قيل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « إنّك تلثم فاطمة وتلزمها وتدنيها منك وتفعل بها ما لا تفعله بأحد من بناتك، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ جِبْرَائِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَانِي بِتُفَّاحَةٍ مِنْ تُفَاحِ الجَنَّةِ فَأَكَلْتُهَا فَتَحَوَّلَتْ مَاءً فِي صُلْبِي ثُمَّ وَاقَعْتُ خَدِيْجَةَ فَحَمَلَتْ بِفَاطِمَةَ، فَأَنَا أَشُمُّ مِنْهَا رَائِحَةَ الجَنَّةِ ». [٥٠٠]

بل ذهبت بعض الروايات إلى أبعد من ذلك وقالت: إنّ الطعام لم ينزل من الجنّة ليأكل منه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بل عُرِج برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى السماء ليأكل من طعام الجنّة، لما في الأمر من رفعة وعلو، ومن هذه المرويّات ما رواه ابن عبّاس من أنّ السيّدة عائشة دخلت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو يقبّل فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، فقالت له: « أتحبُّها يا رسول الله؟، قال: «أَمَا وَاللهِ لَوْ عَلِمْتِ حُبِّيْ لَهَا لَازْدَدْتِ لَهَا حُبّاً، إِنَّهُ لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ... ثُمَّ إِنِّي صُرْتُ إِلَى الخَامِسَةِ، وَمِنْهَا إِلَى السَّادِسَةِ» إلى أن يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامِي فَإِذَا بِرُطَبٍ أَلْيَنَ مِنَ الزُّبَدِ، وَأَطْيَبَ مِنَ المِسْكِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، فَأَخَذْتُ رُطَبَةً فَأَكَلْتُهَا فَتَحَوَّلَتْ الرُّطَبَةُ نُطْفَةً فِي صُلْبِي، فَلَمَّا أَنْ هَبَطْتُ إِلَى الأَرْضِ وَاقَعْتُ خَدِيْجَةَ فَحَمَلَتْ بِفَاطِمَةَ، فَفَاطِمَةُ حَوْرَاءُ إِنْسِيَّةٌ، فَإِذَا اشْتَقْتُ إِلَى الجَنَّةِ شَمَمْتُ رَائِحَةَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ » [٥٠١]

ومن هذه المرويّات ما رويناه في أوّل البحث عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: « قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ أَخَذَ بِيَدِي جِبْرَئِيْلُ فَأَدْخَلَنِيَ الجَنَّةَ، فَنَاوَلَنِي مِنْ رُطَبِهَا فَأَكَلْتُهُ فَتَحَوَّلَ ذَلِكَ نُطْفَةً فِي صُلْبِي، فَلَمَّا هَبَطْتُ وَاقَعْتُ خَدِيْجَةَ، فَحَمَلَتْ بِفَاطِمَةَ، فَفَاطِمَةُ حَوْرَاءُ إِنْسِيَّةٌ، فَكُلَّمَا اشْتَقْتُ إِلَى رَائِحَةِ الجَنَّةِ شَمَمْتُ رَائِحَةَ ابْنَتِي فَاطِمَةَ ». [٥٠٢][٥٠٣]

والخلاصة: إنّ مولاتنا جمعت بين الخصائص الملائكية بأبهى صورها، وبين الطبيعة البشرية بأبهى صورها. فكانت حورية من جهة وإنسيّة من جهة أخرى.

رُبّ تساؤل يرد: السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ لم تخلق من الأرض وإنما من ثمار الجنة ولم

تنقل من الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة بينما الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ انتقل من الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة وهو أفضل الخلق على الإطلاق أليس الرسول أولى بذلك ؟

الجواب نردّ عليه بالنقاط الآتية:

١.كون السيدة فاطمة مخلوقة من ثمار الجنة لا يعني أنها لم تنتقل كما انتقل الرسول من الأصلاب الشامخة إلى الأرحام المطهرة فهي وإن كانت مادتها من ثمار الجنة إلا أنها خلقت من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وخديجة ومن ثمَّ تكون قد انتقلت بانتقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

٢. مَنْ قال أن الخلق من ثمار الجنة أفضل من الانتقال مع المحافظة على طهارة الطينة التي خلقت منها؟

٣. على فرض الأفضلية للخلق من ثمار الجنة فلا يلزم أن يكون النبي أفضل من جميع الخلق في كل خصوصية حتى لو لم تلق بشأنه فالخلق من ثمار الجنة كمال لفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ لكن قد لا يحتاج النبي لهذا الكمال لأنه غير لائق به.

وتتضح الصورة عند المقارنة أيضا بين نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وطريقة ولادته حيث قال الله تعالى: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾[٥٠٤] مع ولادة الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وفق الطبيعة البشرية، فلا يقول أحد بتفضيل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من هذه الناحية.[٥٠٥]

المبحث الرابع: السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ خير أهل الأرض شرفاً

نأتي إلى الكلمة التي تلي(العنصر) ألا وهي كلمة (شرف)

فماذا يعني قوله تعالى « فاطمة ابنتي خير أهل الأرض ..شرفاً ..»

الجواب: كلمة (الشَّرف) لغةً تدلُّ على معنى العلوِّ والسموِّ والإرتفاع.[٥٠٦]

وأما الشَّرف اصطلاحاً فهو الشَّريف من النَّاس، وكذلك الشَّرف المتأصل في الآباء

ويقال: الحسب في الأصل هو الشَّرف بالآباء وبالأقارب.[٥٠٧]

يقول صاحب كتاب لسان العرب: الشَّرَفُ والمَجْدُ لا يكونانِ إلا بالآباء ويقال رجل شريفٌ ورجل ماجدٌ له آباءٌ متقدِّمون في الشرَف.

وحينما نأتي إلى الشرف النسبي للسيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ فلا نجد نسب أشرف وأعلى من نسبها عَلَيْهَا السَّلَامُ فلها من جهة الأب أشرف نسب وأقدسه ، إذ هي بنت سيّد الأنبياء والمرسَلين، وأشرف الخلائق أجمعين، المصطفى الصادق الأمين: محمّد بن عبدالله بن عبد المطلّب (شَيبة الحمد) بن هاشم (عمرو العُلى) بن عبد مَناف (المغيرة) بن قصيّ (زيد) بن كلاب بن مُرّة... بن مُضَر بن نِزار بن مَعد بن عدنان.

ومن جهة الأمّ هي بنت الطاهرة التي نزل جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ يحمل إليها السّلام من عند الله تعالى يقرأه على حبيبه ورسوله محمّدٍ ﷺ، وهي بنت إحدى خير النساء الأربع، وإحدى أفضل نساء الجنّة: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وفاطمة بنت محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهي سيّدتهنّ وسيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخِرين.. تلك التي قال فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: واللهِ ما أبدلني الله خيراً منها : آمنت بي إذ كفرَ الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، وواسَتْني في مالها إذ حَرَمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً إذ حَرَمني أولاد النساء.[٥٠٨] وكان ممّا رَزقه الله جلّ وعلا، بل خير ما رزقه فاطمة الزهراء البتول عَلَيْهَا السَّلَامُ وتلك هي خديجة أُمّ المؤمنين، وأخلص زوجات النبيّ الأمين صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.[٥٠٩]

وتارة الشَّرف ينسب إلى المرأة فيقال: (شرف المرأة) والمقصود به عفَّتها وحصانتها.[٥١٠]

فلما نستقرئ سيرتها العطرة نجد أنها بلغت القمة في الحياء والعفة والحشمة، ولقد ذكرنا نماذج من ذلك في المحاضرة المعنونة بـ(دروس عن عفة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ) التي تم طرحها في هذا الكتاب.

وتارة أخرى ينسب الشَّرف إلى النفس فيقال: (شرف النفس) والمقصود به السموّ الأخلاقيّ أو العقليّ. يقال(نفس شريفة) أي عزيزة يأنف صاحبُها من الدنايا.[٥١١]

فلقد بلغت السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ القمّة في السمو الأخلاقي، وكيف لا تكون كذلك ولقد (وصف الله تعالى نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال عزّ من قائل : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [٥١٢]، وفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ نشأت متخلقة بخلق أبيها ذلك الخلق السامي العظيم) .[٥١٣]

فمن أخلاقها أنها كانت لا يجري لسانها بغير الحقّ ولا تنطق إلّا بالصدق ، لا تذكر أحدا بسوء، فلا غيبة ولا نميمة، ولا همز ولا لمز، تحفظ السرّ وتفي بالوعد ، وتصدق النصح وتقبل العذر وتتجاوز عن الإساءة، فكثيرا ما أقالت العثرة وتلقّت الإساءة بالحلم والصفح .

لقد كانت عزوفة عن الشرّ، ميّالة إلى الخير، أمينة، صدوقة في قولها، صادقة في نيّتها ووفائها، وكانت في الذروة العالية من العفاف، طاهرة الذيل عفيفة الطرف، لا يميل بها هواها، إذ هي من آل بيت النبيّ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا .

وكانت السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ زاهدة قنوعة، موقنة بأنّ الحرص يفرّق القلب ويشتّت الأمر، مستمسكة بما قاله لها أبوها: « يا فاطمة ! إصبري على مرارة الدنيا لتفوزي بنعيم الأبد » فكانت راضية باليسير من العيش، صابرة على شظف الحياة ، قانعة بالقليل من الحلال، راضية مرضيّة، لا تطمح إلى ما لغيرها، ولا تستشرف ببصرها إلى ما ليس من حقّها، وما كانت تتنزّل إلى سؤال غير الله تعالى، فهي رمز لغنى النفس، كما قال أبوها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « خير الغنى غنى النفس »[٥١٤]

إنّها السيّدة البتول التي انقطعت إلى الله تعالى عن دنياها وعزفت عن زخارفها وصدفت عن غرورها وعرفت آفاتها، وصبرت على أداء مسؤولياتها وهي تعاني شظف العيش ولسانها رطب بذكر مولاها .

لقد كان همّ الزهراء الآخرة، فلم تحفل بمباهج الدنيا وهي ترى إعراض أبيها عن الدنيا وما فيها من متع ولذائذ وشهوات .

وعرف عنها صبرها على البلاء وشكرها عند الرخاء ورضاها بواقع القضاء، وقد روت عن أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « إنّ الله إذا أحبّ عبدا ابتلاه، فإن صبر اجتباه،

وإن رضي اصطفاه » [٥١٥]. [٥١٦]

ولقد وسعت أخلاقها الحسنة كل الناس حتى شملت خادمتها فضة التي جلبها لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقالت: يارسول الله عليَّ يوم وعليها يوم، ففاضت عينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالبكاء وقال: ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [٥١٧] و ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٥١٨] ». [٥١٩]

وورد عن الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال : « رأيت أمي فاطمة قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى أنصع عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشئ فقلت لم لهذا يا أماه، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ ! فقالت : يا بني الجار ثم الدار ». [٥٢٠]

المبحث الخامس: السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ خير أهل الأرض كرماً

نأتي إلى المفردة الأخيرة ألا وهي كلمة (كرم)، ماذا يعني قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « فاطمة ابنتي خير أهل الأرض ..كرماً ..»؟

الجواب: الكَرَمُ مِن صِفاتِ النُّفُوسِ العَظِيمَةِ ذَوُو الهِمَمِ العالِيَةِ، وهو صِفَةٌ نَفْسِيَّةٌ تَحْمِلُ صاحِبَهَا على بَذْلِ ما يَنْبَغِي مِن الخَيْرِ بِغَيْرِ عِوَضٍ. [٥٢١]

فمن كرمها أنها كانت كثيرة البر بالفقراء ومساعدتهم ووصل بها الحال أنها في ليلة زفافها أعطت ثوبها لفتاة من المهاجرين عندما علمت أن الفتاة لم تجد ثوبا جديدا تلبسه، لذلك خلعت عَلَيْهَا السَّلَامُ ثوبها ومنحته لها. [٥٢٢]

وقصة الإطعام التي وردت في القرآن الحكيم في سورة الدهر أفضل دليل على ذلك، حيث أنفقوا طعامهم الوحيد المؤلف من بضعة أرغفة لا غير، إلى ثلاثة محتاجين في ثلاثة أيام متوالية بقوا فيها طاوين جائعين في سبيل الله، وذلك بعد أن نذروا أن يصوموا لله إذا برئ الحسنان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ من مرض ألمّ بهما، فلما جلسوا عند الإفطار ليتناولوا طعامهم، وإذا بالباب تقرع، وكان ثمة مسكين وراء الباب، فقاموا جميعاً بإعطاء أرغفتهم للمسكين وباتوا جياعاً، وهكذا فعلوا في اليوم الثاني مع اليتيم، وفي اليوم الثالث تكررت الحادثة مع الأسير، فأنزل الله تعالى سورة كاملة

بحقهم وهي سورة (الدهر) ومنها هذه الآية: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [٥٢٣]، وهذه القصة روتها العامة أيضاً. [٥٢٤]

ولمنزلتها عند الله فقد جعل الله تعالى البركة في كرمها كما جعله في قلادتها التي تصدقت بها، فقد روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: صلى بنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ العصر فلما فرغ أقبل رجل من العرب وقال: إني جائع فأطعمني يارسول الله، وعارٍ فألبسني، وفقير فأغنني، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (إني لا أجد لك شيئاً ولكن الدال على الخير كفاعله، إنطلق إلى بيت فاطمة) وكان بيتها ملاصقاً لبيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فأخذه بلال إلى منزل فاطمة فأعاد عليها كلماته تلك ولم يكن عند فاطمة شيء إلا جلد كبش ينام عليه الحسنان فأخذته وأعطته للفقير وقالت له: (بع هذا واقض شأنك) فقال يا بنت محمد شكوت إليك الجوع فما أصنع بجلد الكبش ولما سمعت منه تأثرت، فعمدت إلى عقد في رقبتها كان هدية من فاطمة بنت حمزة بنت عمها فدفعته إلى الفقير وقالت له: (بع هذا لعل الله يعوضك به ما هو خير لك).فأخذ الإعرابي العقد وذهب إلى مسجد النبي وعرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ القضية فسأل من حضر المسجد في شراء العقد فقام عمار بن ياسر ليستأذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن شرائه للعقد فقال النبي: (يا عمار اشتريه فلو اشترك فيه الثقلان ما عذبهم الله) فاشتراه من الإعرابي وأعطاه ما أغناه من المال ثم أخذه إلى بيته وأطعمه ثم عمد عمار إلى القلادة ولفها في بردة يمانية ووضع معه طيب وأرسله إلى النبي مع عبد له اسمه (سهم) وقال له: أنت والعقد لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فقبضه النبي ثم أرسله إلى فاطمة مع العبد وأخبرها بما جرى فأخذت العقد وأعتقت العبد لوجه الله فضحك العبد فقالت له: (ما يضحكك يا غلام؟) قال: أضحكني عظم بركة هذا العقد أشبع جائعا وكسا عريانا وأغنى فقيرا وأعتق عبد ورجع إلى صاحبه. [٥٢٥]

أذن نفهم من خلال هذا البحث أن المرأة التي تحمل كل هذا الحسن والجمال... المرأة التي تُعد خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً هي فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ التي ولدت في مثل هذا اليوم في العشرين من جمادي الآخرة سنة خمس من البعثة والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ له من العمر خمسة وأربعين عاماً، فأقامت بمكة ثمان سنين، وبالمدينة عشر سنين.

السؤال الأخير الذي سنختم به المحاضرة هو: يا ترى كيف كانت ولادة السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ؟

الجواب سنطرحه في الرواية المروية عن المفضل بن عمر قال : قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : كيف كانت ولادة فاطمة؟ قال: نعم، إن خديجة عليها رضوان الله لما تزوج بها رسول الله هجرتها نسوة مكة، فكن لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت من ذلك، فلما حملت بفاطمة صارت تحدثها في بطنها وتصبرها، وكانت خديجة تكتم ذلك عن رسول الله ﷺ فدخل يوما وسمع خديجة تحدث فاطمة ، فقال لها : يا خديجة ، من يحدثك ؟ قالت : الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني .

فقال لها : هذا جبرئيل يبشرني أنها أنثى وأنها النسمة الطاهرة الميمونة ، وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة في الأمة يجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه فلم تزل خديجة على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجهت إلى نساء قريش ونساء بني هاشم يجئن ويلين منها ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها: عصيتينا ولم تقبلي قولنا، وتزوجت محمدا يتيم أبي طالب فقيرا لا مال له ، فلسنا نجئ ولا ناتي من أمرك شيئا فاغتمت خديجة لذلك، فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة طوال كأنهن من نساء بني هاشم .

ففزعت منهن، فقالت لها إحداهن: لا تحزني يا خديجة، فإنا رسل ربك إليك، ونحن أخواتك، أنا سارة وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه صفراء بنت شعيب، بعثنا الله تعالى إليك لنلي من أمرك ما تلي النساء من النساء.

فجلست واحدة عن يمينها، والأخرى عن يسارها، والثالثة من بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت خديجة فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ طاهرة مطهرة.

فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها نور حتى دخل بيوتات مكة، ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها، فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين أشد بياضا من اللبن وأطيب

رائحة من المسك والعنبر، فلفتها بواحدة، وقنعتها بالآخر، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة بشهادة " أن لا إله إلا الله، وأن أبي رسول الله سيد الأنبياء وأن بعلي سيد الأوصياء، وأن ولدي سيد الأسباط ".

ثم سلمت عليهن، وسمت كل واحدة منهن باسمها، وضحكن إليها، وتباشرت الحور العين، وبشر أهل الجنة بعضهم بعضا بولادة فاطمة، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك اليوم، فلذلك سميت " الزهراء "، وقالت : خذيها يا خديجة، طاهرة مطهرة، زكية ميمونة، بورك فيها وفي نسلها ... فتناولتها خديجة فرحة مستبشرة فألقمتها ثديها فشربت ، فدر عليها . وكانت تنمي في كل يوم كما ينمي الصبي في الشهر ، وفي شهر كما ينمي الصبي في سنة صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها .[٥٢٦]

قصيدة بعنوان: عبقَت بطيب الجنة الزهراء

عَبَقَتْ بطيبِ الجَنَّةِ الزهراءُ ... فتعطَّرتْ بشذائها الأَرجاءُ

جاءَتْ الى الدُّنيا حبيبةُ أحمدٍ ... صدِّيقةً تهفُو لها الآلاءُ

فاستَبْشَرَ البيتُ العتيقُ ومكَّةٌ ... وتسامَتِ الوديانُ والبطحاءُ

وتهلَّلَ الهادي الأمينُ بنورها ... ولَنُورُ فاطمةِ البتولِ شفاءُ

بنتٌ مُطهرةٌ تفيضُ كرامةً ... وصفيَّةٌ هي للبُدُورِ سَماءُ

بنتُ النبوَّةِ أشرقَتْ مَولُودةً ... سَطَعَتْ بوَجْهٍ يَعتليهِ بهاءُ

هي بِضعةُ المُختارِ سيدةُ النِّسا ... مَرضيَّةٌ منصورةٌ شَمّاءُ

وزكيةٌ حُبيتْ بكلِّ قداسةٍ ... وكريمَةٌ للمكرُماتِ وعاءُ

ولها مِنَ البَركاتِ ما لا ينتَهي ... طُوبى لها إنَّ البَتُولَ سَناءُ

هي دَوحةُ النَسبِ الشريفِ أُرومةٌ ... عظُمَتْ أباً والكوثرُ الوضّاءُ

فخديجةُ الكبرى أعانَتْ فَذَّةً ... خَيْرَ الورى فعَليُّ فالزهراءُ

وهناكَ مقدامٌ أسَرَّ عُلومَهُ ... شيخٌ جليلٌ للنبيِّ وَقاءُ

حامَى عن البَيتِ الكريمِ مُجاهداً ... لا يَنثني أبداً ولا يَستاءُ

بُشراهُ وهو يرى وليدةَ أحمدٍ ... ونقيّةً مِنْ نسلِها الخُلَفاءُ

صلُّوا على ذُخرِ النبيِّ مَودَّةً ... إنَّ الصلاةَ على البتولِ دُعاءُ

ولَطُهْـــرُ فاطمـــةٍ يُجَلـــجلُ آيـــةً ... قُدســـيةً منهـــا الكـــمالُ يُضـــاءُ
صلَـــواتُ ربِّ العالمـــينَ تُظِلُّهـــا ... فـــي جنَّـــةِ العليـــاءِ حيـــثُ تشـــاءُ[٥٢٧]

أبيات أبوذيّة في مدح الزهراء عليها السلام [٥٢٨]

إجيت اليـــوم أهنيكم وحيكـــم ... عالـــي الشـــان ميتكـــم و حييكـــم
نزلكـــم دوم أحبنـــه و حييكـــم ... جيـــه خـــدام فاطمـــة الزجـــية

غير أم الحســـن بالحشر مـــالـــك ... جفهـــا للجنـــان هنـــاك مالـــك
بنينـــك مـــا تنفعـــك و لا مالـــك ... غيـــر محبـــة الزهـــرة الزجيـــة

بحب أم الحســـن و حسين و العيـــن ... و إلهـــا يرمـــش الـــدلال و العـــين
ســـادت كل نسه الأقطار و العيـــن ... و حبهـــا ذاب للجنـــة الزهيـــة

بمولـــد فاطمـــه البضعة قدمنـــه ... ابدربهـــا أبـــد مـــا زلـــت قدمـــنه
تهانـــي صادقـــة الليلـــة قدمنّـــه ... الخديجة و للنبي و الحامي الحميـــة

اويـــه الزهـــرة فلا ينقطع وصـــلاي ... ثابـــت مبـــدأي ابتربتها وصـــلاي
باجر أســـتلمها من جفها وصـــلاي ... و أجـــوز اعلـــه الصراط ابلا أذيـــة

٢٥ جمادى الآخرة

شهادة الإمام الهادي (عليه السلام)

السلام عليك

يا علي بن محمد الهادي

المناسبة

شهادة الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ

القصيدة: للسيد صالح القزويني

لقدمُني الهادي على ظلمِ جعفرٍ ... بمعتمدٍ[٥٢٩] في ظلمه والجرائمِ

أتاحت له غدرا يدا متوكلٍ ... ومعتمدٍ في الجور غاشٍ وغاشم

وأُشخص رغماً عن مدينة جدّهِ ... إلى الرجسِ إشخاصَ العدوِّ المخاصم

ولاقى كما لاقى من القوم أهلُه ... جفاءً وغدرا وانتهاكَ محارم

وعاش بسامراءَ عشرينَ حجةً ... يُجرَّعُ من أعداهُ سمَّ الأراقم

بنفسيَ مسجونا غريبا مشاهِدا ... ضريحا له شقَّته أيدي الغواشم

بنفسيَ مسموما قضى وهو نازح ... عن الأهل والأوطانِ جمَّ المهاضم

فهل علم الهاديْ إلى الدين والهدى ... بما لقيَ الهادي ابنُه من مظالم

وهل علم المولى عليٌّ قضى ابنُه ... عليٌّ بسمّ بعد هتك المحارم

وهل علمتْ بنتُ النبيِّ محمدٍ ... رمتها الأعادي في ابنِها بالقواصم

سقى أرضَ سامراء منهمرُ الحيا ... وحيّى مغانيها هبوبُ النسائم

معالم قد ضُمّن أعلام حكمة ... بنورهداه يهتدي كلُّ عالم

لئن أظلمت حزنا لكم فلقُربما تُضيء هنا منكم بأكرمِ قائم
به تُدرك الأوتارُ من كلّ واترٍ ويُنتصفُ المظلومُ من كلّ ظالم[٥٣٠]

(نصاري)

غريب الدار أبو العسكري العابد قضى عشرين عام ابلد واحد
گلي اشچان ذنبه اشچان رايد تسمونه غدر يلمالكم دين
غريب ابن الجواد اشتطلبونه شنهو كان ذنبه تِسمّونه
آه اللّه اكبر تخلونه يون الليل ما **طبّگ** الجفنين
شلك ويـاه يا معتز تظلمه دوم دوم بالمجلس تهظمه
ما يجزيك تاليها تسمَّه غريب ابداركم جاوركم اسنين
ثگل حاله وضعف منه ونينه شبح للعسكري الزاكي ابعينه
اللّه اوياك يا بويه **گضينه** يبويه اتعب بعد عيني على الدين

(أبوذية)

الهاي امن المدينه الدهر داره او يسمونه او تظل للحزن داره
اشكثر بيها حرم وايتام داره او غدت ظلمه **الگبل** چانت ضويه[٥٣١]

المحاضرة التاسعة

إستثمار الوقت

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٥٣٢)

هذه السورة الكريمة تلّخص جميع المعارف القرآنية وتجمع شتات مقاصد القرآن في أوجز بيان (٥٣٣)،ونريد في هذه المحاضرة أن نقف على تفسيرها والذي سنوضحه في المباحث الآتية:

المبحث الأول: تفسير الآية ﴿وَالْعَصْرِ﴾

من المعلوم أن الله تعالى لا يُقْسم إلا بالأمور العظيمة، ولذا نسأل:

ما المراد بـ (وَالْعَصْرِ)؟

ذكر المفسرون عدة احتمالات، نذكر منها ما رواه السيد الطباطبائي، وهي كالآتي:

١.أن يكون المراد بالعصر عصر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو عصر طلوع الإسلام على المجتمع البشري و ظهور الحق على الباطل.

٢.المراد به وقت العصر و هو الطرف الأخير من النهار لما فيه من الدلالة على التدبير الربوبي بإدبار النهار و إقبال الليل و ذهاب سلطان الشمس.

٣. المراد به صلاة العصر، حيث ذهب بعض المفسرين بأنها هي الصلاة الوسطى التي هي أفضل الفرائض اليومية، ولكن ادُّعي إجماع الطائفة الشيعية بأن الصلاة

الوسطى هي صلاة الظهر، قال السيد الخوئي (قد):الظاهر أنّ الصلاة الوسطى التي تتأكد المحافظة عليها هي الظهر.[٥٣٤]

روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » وهي صلاة الظهر وهي أول صلاة صلاها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهي وسط صلاتين بالنهار صلاة الغداة وصلاة العصر [٥٣٥]،بمعنى سميت بالصلاة الوسطى لأنها واقعة في وسط النهار.

٤.و قيل الليل و النهار و يطلق عليهما العصر، بمعنى أن القسم غير مختص بمدة

الوسطى هي صلاة الظهر، قال السيد الخوئي (قد):الظاهر أنّ الصلاة الوسطى التي تتأكد المحافظة عليها هي الظهر.[٥٣٤]

روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » وهي صلاة الظهر وهي أول صلاة صلاها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهي وسط صلاتين بالنهار صلاة الغداة وصلاة العصر [٥٣٥]،بمعنى سميت بالصلاة الوسطى لأنها واقعة في وسط النهار.

٤.و قيل الليل و النهار و يطلق عليهما العصر، بمعنى أن القسم غير مختص بمدة

العصر بل باليوم بليله ونهاره.

٥.و قيل الدهر لما فيه من عجائب الحوادث الدالة على القدرة الربوبية و غير

ذلك.

٦. لقد ورد في بعض الروايات أنه عصر ظهور المهدي عج لما فيه من تمام ظهور الحق على الباطل. حيث روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « (العصر): عصر خروج القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ. (إن الانسان لفي خسر): يعني أعداءنا. (إلا الذين آمنوا): يعني بآياتنا. (وعملوا الصالحات): يعني بمواساة الإخوان. (وتواصوا بالحق): يعني بالإمامة. (وتواصوا بالصبر): يعني في الفترة »[٥٣٦]

وملخص هذه الإحتمالات أنه قسمٌ بالزمان.

واللطيف أننا لما نراجع النصوص القرآنية نجد أن الله تعالى قد أقسم بكل الأوقات، منها قسمه بوقت الفجر: قال الله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[٥٣٧]، ومنها قسمه تعالى بوقت الضحى: قال الله تعالى: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾[٥٣٨]، ومنها قسمه تعالى في السورة -محل البحث-بوقت العصر: قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾[٥٣٩]، ومنها قسمه تعالى بوقتي الليل والنهار، قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾[٥٤٠]، ومنها قسمه بوقت الصبح، قال تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾[٥٤١]، ومنها قسمه تعالى بيوم القيامة: قال تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[٥٤٢]

ربّ تساؤل يردّ: لماذا التأكيد على الزمان؟

الجواب: لأن الزمان له أهمية عظيمة.. يقول علماء الحضارة إن كل حضارة تعتمد على مثلث، الركن الأول منه هو (الإنسان) فهو صانع الحضارة، والركن الثاني هو (الأرض)، فبدون أرض لا يمكن إقامة حضارة، فالحضارة لا تبنى في الهواء. الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أقام الحضارة الإسلامية على أرض المدينة، ولم يتمكن في بداية الدعوة من إقامتها على أرض مكة لأن الأرض لم تكن مؤهلة. وأما الركن الثالث فهو (الزمان) الذي أقسم به تعالى (وَالْعَصْرِ) لبيان عظم أهميته، فالإنسان لو استثمره استثماراً صحيحاً سيكون من الفائزين لا من الخاسرين.

المبحث الثاني: تفسير الآية: ﴿ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

الآية التي تلي القَسَم تحمل الموضوع الذي جاء القسم من أجله، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ المراد بالإنسان جنسه[٥٤٣]، أي أن كل إنسان هو في خسر.

يقول السيد ناصر مكارم الشيرازي: إن الإنسان لفي خسر.. الإنسان يخسر ثروته الوجودية شاء أم أبى... تمر الساعات والأيام والأشهر والأعوام من عمر الإنسان بسرعة، تضعف قواه المادية والمعنوية، تتناقص قدرته باستمرار.

نعم، إنه كشخص عنده ثروة عظيمة، وهذه الثروة يؤخذ منها كل يوم شيء باستمرار رغم إرادته، هذه طبيعة الحياة الدنيوية... طبيعة الخسران المستمر!

القلب له قدرة معينة على الخفقان، وحين تنفد هذه القدرة يتوقف القلب تلقائيا دون علة من عيب أو مرض. هذا إذا لم يكن توقف النبض نتيجة مرض.[٥٤٤]

فلكل إنسان رأس مالٍ يتمثل في عدد محدد من دقات القلب، وصدق الشاعر حينما قال: دقات قلب المرء قائلة له****إنّ الحياة دقائق و ثـــواني

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها****فالذكر للإنسان عمر ثاني[٥٤٥]

نعم إن لكل إنسان عمراً قدّره الله تعالى له يختلف عن الآخر، قال تعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[٥٤٦]، وهو رأس ماله الذي يتمثّل في عدد أنفاسه، روي عن أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: « نفس المرء خطاه إلى أجله » .[٥٤٧]

هذه الأنفاس التي تعدّها الملائكة منذ لحظة ولادته إلى نهاية عمره، فتحصي عليه السنين ثم الأشهر ثم الأيام ثم الساعات ثم الأنفاس، قال تعالى:﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾[٥٤٨]

إذن عمر الإنسان في كل لحظة في انتقاص دائم منذ أن ولدته أمه، كالشمعة التي مهما كانت كبيرة فهي تذوب حتى تنطفئ.

يقول السيد محمد رضا الشيرازي (رحمه الله) : نقل أحد العلماء قضية ظريفة يقول: ما كنت أفهم معنى الآية الكريمة ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فكيف يكون الإنسان في خسر؟ حتى صادف أحد أيام الصيف والطقس شديد الحرارة وكنت أسير الى جانب بائع ثلج وكان يخاطب الناس بنداء لطيف وهو ما ينطبق علينا ، كان يقول: (إرحموا مَن يذوبُ رأسُ مالِه)، فهو يدعو الناس لأن يشتروا بضاعته قبل أن تتحول تحت حرارة الشمس الى ماء سائل وتنتهي، يقول ذلك العالم : آنئذ فهمت معنى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾.

إن الخسارة لا تقتصر على خسارة الإنسان لعمره فقط، يقول السيد الطباطبائي (ره): والتنكير في « خُسْرٍ » للتعظيم ويحتمل التنويع أي في نوع من الخسر غير الخسارات المالية والجاهية قال تعالى :﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ﴾ .(٥٤٩)(٥٥٠)

إن الإنسان كلما تقدم في العمر يخسر جزءاً من صحته وقدراته وقابلياته، ولما يموت يخسر كل ما جمعه من أموال وقصور وعقارات واموال ومناصب، بل يخسر حتى ناسه من زوجته وأولاده وأهله وغيرهم..فيرجع لربه فردا وحيدا كما جاء إلى الدنيا وحيدا، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾.(٥٥١)

السؤال المهم: ألا يوجد طريق لتفادي هذا الخسران العظيم القهري الإجباري ؟

الجواب: نعم، هناك طريق واحد لا غير، وهو استثمار الزمن بشكل صحيح، والذي سنوضحه في المبحث الآتي:

المبحث الثالث: تفسير الآية: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

إن في كل زمان يوجد ملايين من الناس، ولكن كم واحد منهم استفاد من الزمن وخدم فيه نفسه والبشرية؟

قد تقولون نعم، هناك المئات من الفائزين خلدهم التاريخ كعلماء الذرة والفيزياء والطب والفضاء والتربية والنفس وغيرهم... ولكن السؤال المهم هو:

هل كل هؤلاء من الفائزين حقاً أم إن أغلبهم من الخاسرين؟، ما هو الميزان الذي يحدد الفائز من الخاسر؟

الجواب: ميزان الفوز والخسارة قد ذكره تعالى في الآية الأخيرة من سورة العصر: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[٥٥٢]

بعبارة أخرى: ما يستطيع أن يَحُول دون هذا الخسران الكبير، وأن يبدله إلى منفعة كبيرة وربح عظيم هو أنه مقابل فقدان رأس المال، يحصل على رأس مال أغلى وأثمن، يستطيع أن يسد مسد رأس المال المفقود، بل أن يكون أفضل وأكثر منه عشرات، بل مئات، بل آلاف المرات.[٥٥٣]

وهذا يتحقق بتطبيق المنهج الرباعي الذي ذكرته الآية الكريمة(بالإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر).

لذا كل الشخصيات المشهورة والمعروفة في العالم الذين استثمروا الزمن وبذلوا الجهد فصاروا علماء وقادة ومفكرين ونالوا جوائز وأوسمة ودخلت بعض أسمائهم في موسوعة غينيس للأرقام القياسية... كل هؤلاء المتميزون -بنظر الناس- إذا فازوا في الدنيا بنيل الشهرة والأجر المادي، فهم في الآخرة خاسرون إلا إذا كان الواحد منهم مؤمناً بالله وأعماله صالحة ومتواصياً بالحق والصبر.

حتى أن بعض الأخبار تذكر أن حاتم الطائي المشهور بكرمه في زمن الجاهلية لأنه مات على الكفر فهو يدخل النار لكنه لايعذب فيها لكرمه باعتبار الكرم من صفات الله، فقد روي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال لعدي بن حاتم: « رفع عن أبيك العذاب الشديد بسخاوة نفسه ».[٥٥٤]

والسبب أن دار الآخرة هي دار البقاء، وشرط النجاة من النار والفوز بالجنّة هو الإيمان والعمل الصالح، فهما جواز السفر الذي به تفتح أبواب رضوان الله تعالى.

والمراد بالإيمان: الإيمان بالله ومن الإيمان بالله الإيمان بجميع رسله والإيمان باليوم الآخر، ومن يكفر بأي منها فلا يستثنى من الخسارة والخلود في النار، قال تعالى:﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٥٥٥]

والمراد من العمل الصالح هو العمل الذي فيه مرضاة الله، وهذا لا يتحقق إلا إذا كانت أعمالنا كلها موافقة لتعاليم الشريعة الإسلامية.

ربّ تساؤل يرد: هل يستثنى من الخسران من خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا؟

الجواب يردّ عليه صاحب كتاب الميزان، حيث عقّب على تفسير الآية ما نصه: ظاهر قوله :﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ التلبس بجميع الأعمال الصالحة فلا يشمل الاستثناء الفسّاق بترك بعض الصالحات من المؤمنين ولازمه أن يكون الخسر أعم من الخسر في جميع جهات حياته كما في الكافر المعاند للحق المخلد في العذاب، والخسر في بعض جهات حياته كالمؤمن الفاسق الذي لا يخلد في النار وينقطع عنه العذاب بشفاعة ونحوها.(٥٥٦)

أقول: وكيف لا يترتب على العمل السيء خسارة ونحن نعلم أن لكل معصية عقاباً شديداً يتجسد في الظلام وتسليط الحيات والعقارب والزبانية والنيران وغيرها من أنواع العقاب.... إن أهون الناس عذاباً في الآخرة يستلزم منّا الورع عن كل محارم الله، ويعدّ خسارة كبيرة، فكيف بالعذاب الأكبر منه؟!!، فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إن أهون الناس عذاباً يوم القيامة لرجل في ضحضاح من نار، عليه نعلان من نار وشراكان من نار يغلي منها دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن في النار أحدا أشد عذابا منه وما في النار أحد أهون عذابا منه ». (٥٥٧)

بالإضافة إلى أن العمل السيء كالتبرج والسفور والاستخفاف بالصلاة والغيبة وسماع الأغاني وغيرها يحرق ما نقوم به من أعمال صالحة، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « من قال: « سبحان الله « غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال: « الحمد لله « غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال: « لا إله إلا الله « غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال: الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة فقال رجل من قريش: يا رسول الله إن شجرنا في الجنة لكثير قال: نعم ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيرانا فتحرقوها وذلك أن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾. (٥٥٨)

ولو نتأمل في الآية: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ سنجد أنها كغيرها من

الآيات قرنت الإيمان بعمل الصالحات؛ لأن كلا من الإيمان والعمل الصالح متوقف قبوله على الآخر، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « لا يقبل إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان ». (٥٥٩)

ولذا نستغرب من النساء المتبرجات عندما يقلن: (إن الإيمان في القلب ولا علاقة له بالأعمال!!)، فهذه حجة واهية يترتب على من يرددها اللعّن، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: « ملعون ملعون من قال: الإيمان قول بلا عمل ». (٥٦٠)

إذن.. الله تعالى يُقسم في الآية-محل البحث- بأن الجميع في خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أي آمنوا بالله وبرسوله وبأئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، والذين أطاعوهم طاعة مطلقة ... فهؤلاء هم الفائزون المفلحون حقا، وهذا لا ينطبق إلا على أتباع محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وهم الشيعة، روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مبتدئاً: « ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ هم أنت وشيعتك، وميعادكم الحوض إذا حشر الناس جئت أنت وشيعتك شباعا مرويين غرا محجلين ». (٥٦١) اللهم اجعلنا منهم بمحمد وآله.

ولقد ذكر لنا التاريخ نماذج مشرّفة لعظماء الشيعة، وسوف لن نتكلم عن المعصومين لأنهم بالأساس هم عظماء العالم بل سنتكلم عن من اقتدى بالعظماء من غير المعصومين فصاروا عظماء خلّدهم التاريخ لأنهم أولاً: تورعوا عن محارم الله مطلقاً، ولأنهم لم يضيعوا أوقاتهم في الراحة واللهو المباح بل استثمروا كل لحظات حياتهم في كل ما يقربهم من الله تعالى، ولضيق الوقت سنختار موقفا لبعض العلماء ونذكر منهم:

۞ الشيخ الأنصاري (قدس سره)، المرجع الكبير وزعيم الحوزة الدينية، الذي كان فقيراً جداً، وكان يسكن هو وعائلته في منزل صغير جدا، لا يليق بأبسط طالب علم.. في أحد الأيام جاء تاجرٌ من التجار الكبار إلى النجف الأشرف، وكان يسمع عن الشيخ الأنصاري الكثير، فلما وصل إلى النجف الأشرف تشرف بزيارة المرجع والزعيم وشيخ الطائفة الأنصاري، فلما نظر إلى البيت الذي يسكن فيه الشيخ الأنصاري دهش كثيراً، وتألم كثيراً وقال: مثلك يسكن في هذا البيت الصغير الذي لا يسعك أنت وعيالك، فذهب أيام ثم رجع إلى الشيخ وأعطاه مبلغاً من المال وقال له

يا شيخنا اشترِ بهذا المال بيتاً لك ولعيالك، أخذ الشيخ الأنصاري (قدس سره) المال من التاجر وشكر سعيه للخير، وذهب التاجر وهو مطمئن البال، ومرتاح الضمير، ولما رجع التاجر إلى الشيخ الأنصاري لكي يرى البيت الذي اشتراه الشيخ الأنصاري، فوجئ التاجر ببقاء الشيخ في البيت نفسه، فسأله أين البيت الذي اشتريته يا شيخنا؟ فقال الشيخ (رحمه الله): تعال معي لكي أُريك البيت فلما ذهب التاجر مع الشيخ الأنصاري رأى أن الشيخ قد اشترى أرضاً وبنى عليها مسجداً لكي يعبد فيه الله جل جلاله وقال الشيخ الأنصاري: هذا البيت الذي يبقى ولا يزول، وتبقى أعماله ولا تزول، أما البيوت التي نسكن فيها فهي زائلة لا محالة، وهذا المسجد موجود إلى الآن في النجف الأشرف باسم: (جامع الأنصاري) حقاً ما كان لله ينمو. أي أن الشيخ اشترى بيتاً من بيوت الله ...هذا المسجد اشتراه قبل أكثر من ١٦٠ سنة وما زال الى هذا اليوم موجودا. (٥٦٢)

الشيخ الانصاري هو إنسان مِثْلُنا وليس من الملائكة، بمعنى أن عنده قوة شهوية تشتهي حب المال وحب الرفاهية وحب التملّك وحب السكن في دار واسعة جميلة..الخ ولكن هذا الرجل العظيم كان ينظر إلى الأبعد، مقتدياً بأمير المؤمنين الذي وصِف بأنه:(كَانَ وَ اللَّهِ بَعِيدَ الْمُدَى) (٥٦٣)، فهو لم يفكر أن يستبدل -بهذه الأموال- داره بدار أخرى أوسع ، بل اشترى بها مسجداً أقيمت فيه مئات الآلاف من صلاة الجماعة، وألقيت فيه الآف الدورس والمحاضرات وأحييت فيه مجالس أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ... فكم من ضالٍ اهتدى، وكم من مؤمن ثبت إيمانه بفضل ذلك المسجد؟!، يا ترى ثواب ذلك العمل لمن سيذهب؟

النموذج الآخر هو الشيخ الطوسي المعروف بشيخ الطائفة، وهو أحد العلماء الكبار، أوصى أن يدفن في داره، التي كانت بالقرب من باب الطوسي من صحن أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وأن يجعل مسجداً من بعده، وقد دفن فيه فعلاً، وما زال قبر الشيخ الطوسي قائما في وسطه يتبرك الناس به منذ ما يقارب الأف عام... هذا الإنسان رغم منزلته العظيمة فهو لم يكتفِ بأن يعمر آخرته في حال حياته فقط بل حتى بعد مماته..

وهكذا الحال مع عشرات ومئات من العلماء والمجتهدين والمحدثين والمؤلفين والشعراء والخطباء والقادة والشهداء وغيرهم..

والأمر لا يقتصر على الرجال بل أيضاً برزت بعض النساء في مجالات متعددة وعلى رأسهن السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ وبنات الوحي والرسالة كعقيلة بني هاشم وأم كلثوم وغيرها، وذكر لنا التاريخ نسوة استثمرن أوقاتهن فتفوقن بتخصصات متعددة، منهن نسوة محدّثات، ونسوة لهنّ إجازة رواية، ونسوة حافظات للقرآن الكريم، و نسوة مجتهدات، ونسوة فقيهات، ونسوة مؤلّفات، ونسوة شاعرات، ونسوة خطيبات، و نسوة شهيدات، ولمعرفة أسمائهن ننصح بمراجعة كتاب (أعلام النساء المؤمنات) [٥٦٤]

فتلكم النسوة تركت كل واحدة منهن بصمة مؤثرة على مرّ التاريخ، وهذا هو هدف كل امرأة رسالية... قالت الشهيدة آمنة الصدر (بنت الهدى): (لا أريد ان أكبر ويترك الزمن عليّ آثاره بل أنا التي أريد أن يترك عليه اثر) وفعلاً تركت أثراً واضحا بعلمها ودروسها ومحاضراتها وتأليفاتها وتحدّيها لظلم الطاغية المقبور... لذا صارت من النساء الخالدات.

فهؤلاء العظماء من الرجال والنساء برزوا من بين ملايين الناس لأنهم استثمروا الزمان في نفع الناس بنشر الخير والصلاح والإصلاح والهداية فصاروا خير الناس، فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - لما قيل له: « أحب أن أكون خير الناس -: خير الناس من ينفع الناس، فكن نافعا لهم». [٥٦٥]

ويستطيع كل فرد أن ينفع الناس بما تيسر له، فالطبيب ينفع المرضى الفقراء بالعلاج المجاني، وصاحب الجاه ينفع الناس بتيسير أمورهم، والغني ينفع الناس بمساعدتهم المالية، والعالم والمبلّغ ينفع الناس بهدايتهم، بل حتى الفقير يتمكن من نفع الناس وهدايتهم بالإيثار كما حصل مع شخص اسمه «خير الدين كججي أفندي»، الذي كان يعيش في إسطنبول في منطقة «فاتح» وكان يتمنى أن يبني مسجداً في تلك المنطقة ولكن الناس لم تتعاون معا من أجل جمع المال، لذا قرر أن يبنيه بنفسه رغم فقره، فكان عندما يمشي في السوق، وتتوق نفسه لشراء فاكهة، أو لحم، أو حلوى، يقول في نفسه:«صانكي يدم»، أي بمعنى «كأنني أكلت» ثم يحفظ ثمن ذلك الطعام في صندوق له.

وبعد مرور عدة سنوات من توفير معظم دخله ويكتفي بما يقيم أوده فقط، إزدادت النقود في صندوقه شيئا فشيئا، حتى استطاع بهذا المبلغ والذي وفره في بناء مسجد صغير في محلته، ولما كان أهل المحلة يعرفون قصته، وكيف استطاع أن يبني هذا المسجد أطلقوا على الجامع اسم (جامع صانكي يدم) أي مسجد «كأني أكلت» أو Sanki Yedim Camii (باللغة التركية).[٥٦٦]

المبحث الرابع: تفسير الآية: ﴿ وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

المطلب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ ﴾

إن التواصي بالحق هو أن يوصي بعضهم بعضا بالحق أي باتباعه والدوام عليه[٥٦٧]، مثال ذلك: أن نوصي أولادنا وأهلنا ومجتمعنا باتباع العقائد الحقّة، وتطبيق الأحكام الحقّة، والأخلاق والآداب الحقّة...

ومعلوم أن الحق لا نجده متجسداً إلا في كلام الله تعالى -القرآن الكريم- الذي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ [٥٦٨]، ومتجسداً في أقوال وأفعال وتقريرات وحركات محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «...وخلّف فينا راية الحق، من تقدّمها، مرق، ومن تخلّف عنها زهق، ومن لزمها لحق ».[٥٦٩]

ولذا فإن التواصي بالحق هو التواصي بالطاعة المطلقة لله وللرسول ولآله الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، (إن عبارة تواصوا بالحق تحمل على أي حال معنى واسعا يشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويشمل أيضا تعليم الجاهل وإرشاده، وتنبيه الغافل، والدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح.

واضح أن المتواصين بالحق يجب أن يكونوا بدورهم من العاملين به، والمدافعين عنه).[٥٧٠]

إن للتواصي بالحق صور يمكن ذكرها في المقام:

١- الإرشاد إلى طريق الحق بتعريف الحق وكشف اللبس عنه؛ لأن كثيراً ما يلتبس الحق بغيره ويشتبه على المؤمنين خصوصاً في الفتن التي تنزل بساحة المؤمنين؛ لأن

الفتنة تشبّه على الإنسان ولا يكاد يراه واضحاً.

٢- التواصي باتباع الحق؛ حيث أنَّ الكثير من الناس يعرف الحق إلا أنه يخشى أن يتبع الحقّ لأن طريق الحقّ مليء بالصعوبات والمعاناة، فيكون التواصي من أجل اتباع الحقّ وعدم خذلان الحقّ ركوناً إلى الراحة وحبّ الدعة.

٣-التواصي على الصبر في طريق الحقّ؛ فقد يعرف الإنسان الحقّ، وقد يتبعه إلا أنه يتعب في الطريق فيتراجع وهنا يبرز دور التواصي بالثبات على الحقّ وعدم التراجع عن الحقّ. الحقّ قد يكون موقفاً اجتماعياً، وقد يكون موقفاً سياسياً، وقد يكون موقفاً اقتصادياً، وقد يكون موقفاً عقائدياً أو شرعياً الخ.[٥٧١] وهذا ما أكدته الآية التي سنذكرها في المطلب الآتي.

المطلب الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

معنى قوله تعالى: ﴿وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، أي يوصي بعضهم بعضا بالإستقامة والصبر، فبدون الإستقامة والصبر لا يمكن المواصلة في إحقاق الحق والعمل الصالح والثبات على الإيمان.

إنّ « الصبر » يحمل مفهوما واسعا يشمل الصبر على الطاعة، والصبر على دوافع المعصية، والصبر إزاء المصائب والحوادث المرة، وفقدان الإمكانات والثروة والثمرات.

مثال على التواصي بالحقّ والصبر: إنّ الأم التي تريد أن تكون من الفائزات ولا تكون من الخاسرات هي الأم المؤمنة الصالحة التي تُوصي أفراد عائلتها بالحق بالطاعة المطلقة لكل أحكام الشريعة وفق نهج محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كأن توصي ابنتها بالحق المتمثل بالالتزام بكل أحكام العفة والحشمة والتستر وترك التبرج والسفور، وأن توصيها بالصبر على ذلك ولا تتأثر بانحراف النساء عن طريق الحق، وتحاول اقناعها بالحوار الهادئ المقترن بالأدلة العقلية والنقلية، وترد على الشبهات المختصة بالحجاب، وأن تحثها على صحبة المؤمنات المتقيات لأنهن يتواصين بالحق والصبر، وترك صحبة الصديقات الفاسقات لأنهن يتواصين بالباطل وبالجزع.

ومع الأسف نجدّ بعض الأمهات لا يوصين بناتهن باتباع الحق والصبر، بل تحثها على اتباع الباطل، كأن تشجعها على التبرج والسفور، أو تسكت حينما تراها منحرفة، والنتيجة إن كليهما خاسرتان وتشملهما الآية: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ لكن لا يشملهما الاستثناء لأن عملهما غير صالح ولم يتواصيا بالحق والصبر؛ فأما البنت فلكونها تجاهرت بالفسق فستتحمل أثمها وأثم كل من أغوته من الرجال، وأثم كل من قلّدتها من النساء، فالآثار المترتبة على المعصية كلها سيكتبها الله وستحاسب عليها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [٥٧٢]، وأما الأم فلكونها رضيت بفعل اِبنتها ولم تأمرها بالمعروف ولم تنهاها عن المنكر، فالنتيجة أنها ستتحمل نسخة من إثم انحرافها وما ترتب عليه من فساد، فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « من أحب قوما حشر معهم، ومن أحب عمل القوم أشرك في عملهم ». [٥٧٣] والأغرب من ذلك لمّا شخص ينصح الأم بأن ابنتها متبرجة ووجب أن تُحسن تربيتها على العفة، تنهال الأم على الناصح بالذم والتوبيخ بدلاً من أن تشكره. إن هذه الأم قد تبرر ردة فعلها لكونها تُحب ابنتها، فتأخذها العزة بالأثم، ولكن هذه الأم لو كانت عاقلة ومحبتها حقيقية لحرصت أن تحميها نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، وغفلت أن كل شخص ما دام عمله على باطل وموافقا للهوى والشهوات والشيطان، فهذا يعني أنه عدو ولو كان زوجاً أو ولداً-ذكراً أو انثى-، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ [٥٧٤]، فلذا وجب الحذر منهم حينما يحاولون خداعكم لترضوا عن عملهم السيئ، فإذا رضيتم عن أعمالهم فهذا يعني أنكم شركاء معهم في أعمالهم السيئة، وستحاولون الفرار منهم يوم القيامة بلا فائدة، قال تعالى:﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ [٥٧٥]

وبهذا الصدد يذكر الفقهاء ومنهم سماحة السيد السيستاني (دام ظله) في كتابه المسائل المنتخبة، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن تكليفنا يستوجب إظهار الكراهة قولاً أو فعلاً من ترك الواجب أو فعل الحرام، وهو واجب عيني لا يسقط بفعل البعض، روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «أَمَرَنَا رَسُوْلُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - أَنْ نَلْقَى أَهْلَ المَعَاصِيْ بِوُجُوْهٍ مُكْفَهِرَّةٍ». [٥٧٦]

نفهم مما تقدم من المباحث المطروحة(أن الأصول الأربعة التي ذكرتها هذه السورة

المباركة- الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر- تشكل المنهج الجامع لحياة الإنسان وسعادته. والمسلمون اليوم إذا طبقوا هذه الأصول الأربعة في حياتهم الفردية والاجتماعية لتغلبوا على كل ما يعانون منه من مشاكل وتدهور وتخلف، ولبدلوا ضعفهم وهزيمتهم انتصارا، ولاقتلعوا شر الأشرار من على ظهر الأرض). [٥٢٧]

المبحث الخامس: كيف نستثمر كل أوقاتنا لله تعالى؟

السؤال الأخير والمهم هو: كيف نستثمر كل أوقاتنا لله تعالى لنكون من الفائزين لا من الخاسرين؟

لقد فهمنا من البحث أن المستثنين من الخسارة هم من استثمروا الزمان بالإيمان وعمل الصالحات والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فلذا وجب علينا إدارة الوقت بشكل صحيح.

ورغم أن طريقة إدارة الوقت تختلف من فرد الى آخر ومن حالة إلى أخرى، ولكن هناك بعض الأسس التي ينبغي اتباعها ومراعاتها لضمان تحقيق النتائج المطلوبة من

إدارة الوقت، وإليكم بعضها:

١. **تحديد الأهداف:** بأن نعلّم أنفسنا وأولادنا منذ الصغر أن هدفنا في الحياة ومن أعمالنا هو نيل رضا الله تعالى لا رضا الهوى والشهوات والشيطان.

٢. **تقسيم الوقت وتنظيمه:** روي في البحار ج ٧٨ عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم»[٥٢٨] بمعنى أن نطرح من ليلنا وقت النوم المعتدل، وأما بقية أوقات الليل والنهار نقسمه إلى أربع فترات، ولا يشترط أن تكون متساوية في الوقت، المهم أن نعطي لكل ذي حق حقه.

وهذه الفترات الأربعة هي(الوقت الإيماني، والوقت المهني أو المدرسي، والوقت

الاجتماعي، والوقت الخاص) ، فالأول (الإيماني) وهو وقت الاهتمام بالعقيدة وأداء الصلاة والعبادات والمناجاة مع الله. والثاني(المهني) لأمر المعاش وتحصيل المكسب الحلال، والثالث (الاجتماعي) لمعاشرة الأهل والأقرباء والإخوان، والرابع (الخاص) كوقت النوم والرياضة والطعام والحمام. وقد نضيف إليه تقسيم آخر وهو (الدراسي) وهو الوقت الذي يقضيه في الدراسة وطلب العلم.

وننصح باستخدام المفكّرة (أو أي دفتر ملاحظات) بشكل دائم، وتدّوين المهام المطلوبة وحتى اليسيرة منها وخاصة المرتبطة بمواعيد العمل والناس.

٣.ترتيب الأولويات: بتقديم الأهم على المهم، فمشكلة البعض لما تعاتبه على تقصيره يقول: (ليس لدّي وقت)، والسبب هو عدم ترتيبه للأولويات وتقديمهم ما يتعلق باللهو واللعب على الواجبات كالنساء اللاتي ينشغلن بالهواتف النقّالة ومواقع التواصل الاجتماعي ساعات عديدة، أو يخصصن ساعات للتسوق وزيارة الصديقات ويكون ذلك على حساب أداء الواجبات والحقوق من حسن التبعل وتربية الأولاد.

٤.إشغال أوقات الفراغ بأمور نافعة تقربنا من الله تعالى: فينبغي أن لا نكتفي بالانشغال بمباحات الدنيا كالانشغال الدائم بمتابعة الأفلام والمسلسلات ومواقع التواصل-على فرض خلوّها من الحرام-، فيمكننا حينما نستلقي على السرير أو حينما نمشي أو نركب سيارة أن نسبح لله بدلاً من الصمت أو التكلم في أمور لا فائدة منها، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لما أسري بي إلى السماء، دخلت الجنة فرأيت فيها قيعان [٥٢٩]، ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وربما أمسكوا، فقلت لهم: ما بالكم قد أمسكتم-أي توقفّتم- ؟ فقالوا: حتى تجيئنا النفقة، فقلت: وما نفقتكم؟ قالوا: قول المؤمن: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإذا قال: بنينا، وإذا سكت أمسكنا ».[٥٣٠]

إن الإنسان لو حسب الأوقات في حياته التي كان فيها فارغا سيجدها أياما عديدة قد ضاعت منه دون أن يستثمرها في الخير، وسوف يندم ويتحسر عليها يوم القيامة أشد الندم والحسرة، ففي الخبر النبوي: «أنه يفتح للعبد يوم القيامة على كل يوم من أيام عمره أربع وعشرون خزانة(صندوق) - عدد ساعات الليل والنهار - فخزانة يجدها مملوءة نورا وسرورا فينالـه عند مشاهدتها من الفرح والسرور ما لو وزع على

إدارة الوقت، وإليكم بعضها:

١.تحديد الأهداف: بأن نعلّم أنفسنا وأولادنا منذ الصغر أن هدفنا في الحياة ومن أعمالنا هو نيل رضا الله تعالى لا رضا الهوى والشهوات والشيطان.

٢. تقسيم الوقت وتنظيمه: روي في البحار عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: « إجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم »[٥٧٨] بمعنى أن نطرح من ليلنا وقت النوم المعتدل، وأما بقية أوقات الليل والنهار نقسمه إلى أربع فترات، ولا يشترط أن تكون متساوية في الوقت، المهم أن نعطي لكل ذي حق حقه.

وهذه الفترات الأربعة هي(الوقت الإيماني، والوقت المهني أو المدرسي، والوقت الاجتماعي، والوقت الخاص) ، فالأول (الإيماني) وهو وقت الاهتمام بالعقيدة وأداء الصلاة والعبادات والمناجاة مع الله. والثاني(المهني) لأمر المعاش وتحصيل المكسب الحلال، والثالث (الاجتماعي) لمعاشرة الأهل والأقرباء والإخوان، والرابع (الخاص) كوقت النوم والرياضة والطعام والحمام. وقد نضيف إليه تقسيم آخر وهو (الدراسي) وهو الوقت الذي يقضيه في الدراسة وطلب العلم.

وننصح باستخدام المفكّرة (أو أي دفتر ملاحظات) بشكل دائم، وتدّوين المهام المطلوبة وحتى اليسيرة منها وخاصة المرتبطة بمواعيد العمل والناس.

٣.ترتيب الأولويات: بتقديم الأهم على المهم، فمشكلة البعض لما تعاتبه على تقصيره يقول: (ليس لدّي وقت)، والسبب هو عدم ترتيبه للأولويات وتقديمهم ما يتعلق باللهو واللعب على الواجبات كالنساء اللاتي ينشغلن بالهواتف النقّالة ومواقع التواصل الاجتماعي ساعات عديدة، أو يخصصن ساعات للتسوق وزيارة الصديقات ويكون ذلك على حساب أداء الواجبات والحقوق من حسن التبعل وتربية الأولاد.

٤.إشغال أوقات الفراغ بأمور نافعة تقربنا من الله تعالى: فينبغي أن لا نكتفي بالانشغال بمباحات الدنيا كالانشغال الدائم بمتابعة الأفلام والمسلسلات ومواقع التواصل-على فرض خلوّها من الحرام-، فيمكننا حينما نستلقي على السرير

أو حينما نمشي أو نركب سيارة أن نسبح لله بدلاً من الصمت أو التكلم في أمور لا فائدة منها، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لما أسري بي إلى السماء، دخلت الجنة فرأيت فيها قيعان [٥٧٩]، ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وربما أمسكوا، فقلت لهم: ما بالكم قد أمسكتم-أي توقفّتم- ؟ فقالوا: حتى تجيئنا النفقة، فقلت: وما نفقتكم؟ قالوا: قول المؤمن: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإذا قال: بنينا، وإذا سكت أمسكنا ».[٥٨٠]

إن الإنسان لو حسب الأوقات في حياته التي كان فيها فارغا سيجدها أياما عديدة قد ضاعت منه دون أن يستثمرها في الخير، وسوف يندم ويتحسر عليها يوم القيامة أشد الندم والحسرة، ففي الخبر النبوي: «أنه يفتح للعبد يوم القيامة على كل يوم من أيام عمره أربع وعشرون خزانة(صندوق) - عدد ساعات الليل والنهار - فخزانة يجدها مملوءة نورا وسرورا فينالله عند مشاهدتها من الفرح والسرور ما لو وزع على أهل النار لأدهشهم عن الإحساس بألم النار، وهي الساعة التي أطاع فيها ربه، ثم يفتح له خزانة أخرى فيراها مظلمة منتنة مفزعة فينالله عند مشاهدتها من الفزع والجزع ما لو قسم على أهل الجنة لنغص عليهم نعيمها، وهي الساعة التي عصى فيها ربه، ثم يفتح له خزانة أخرى فيراها فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوؤه وهي الساعة التي نام فيها أو اشتغل فيها بشيء من مباحات الدنيا، فينالله من الغبن والأسف على فواتها حيث كان متمكنا من أن يملاها حسنات ما لا يوصف، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ ».[٥٨١]

بل الأفضل أن يستثمر الإنسان حتى اللحظات التي يأكل ويشرب فيها وينام بأن تكون قربة لله تعالى لينال منها الحسنات، بأن ينوي أن ينام ويأكل ويشرب ليتقوى على طاعة الله تعالى.

٥. إستثمار قانون الإضافة البسيطة في الحياة: في أولمبياد ١٩٧٦ كان هناك ثمانية متسابقين لنهائي سباق المائة متر، صاحب الميدالية الذهبية فيهم كان أسرع فقط بعشر من الثانية عن آخر المتسابقين الثمانية، فرق بسيط في السرعة ولكن فروق هائلة في النتائج، وفي إحدى سباقات الخيل في الولايات المتحدة الامريكية، الحصان الفائز بالمركز الأول حصل على مليون دولار، أما الحصان في المركز الثاني الذي خسر فقط بفارق مسافة الأنف حصل على خمسة وسبعين ألف دولار ، فرق

بسيط في المسافة ولكن كبير في النتائج، إليك القانون:

إذا استيقظت مبكرا ساعة واحدة فقط قبل الدوام وقرأت في مجال تخصصك ستكون قد حصلت على سبع ساعات في الأسبوع، بعد مدة قصيرة ستقف شامخا مقارنة بزملائك في العمل ويشار إليك بالبنان لأنك الخبير بينهم، إضافة بسيطة ولكن فرق كبير في النتائج.

إذا ذهبت إلى المسجد قبل الأذان بعشر دقائق فإنك سوف تقرأ ١٠ صفحات من القرآن الكريم، وعلى افتراض أنك تأتي مبكرا بعشرين دقيقة، فسوف تقرأ عشرين صفحة في اليوم الواحد أي جزءًا كاملاً أي مائة وأربعين صفحة في الأسبوع وتقريبا ختمة كاملة في الشهر، إضافة بسيطة ولكن فرق كبير في النتائج.

أحد الآباء يقرأ مع ابنه قصة أو كتابا باللغة الإنكليزية عندما كان في المرحلة الابتدائية خمسة عشر دقيقة أثناء تحضير وجبة العشاء، يقول إن ابنه الآن في المرحلة المتوسطة قادر على قراءة أي كتاب باللغة الإنكليزية دون أي جهد، نعم إضافة بسيطة من الوقت ولكن فروقات كبيرة في النتائج.

الخلاصة: مارس قانون الإضافة البسيطة في كل مجالات حياتك.

أنظر إلى عملك، إلى علاقاتك، إلى صحتك، إلى أبناءك، وفكر ما الذي يمكنني إضافته لأصنع الفارق، ستجد أن هناك الكثير من الإضافات البسيطة.

قانون الإضافة البسيطة هو خيار رائعٌ ومفيدٌ جدا لمن يجد في وقته زحاما شديدا بسبب الوظيفة أو نحو ذلك....فكيف سيستفيد من هذا القانون من كان فارغا أكثر اليوم والليلة؟

٦. جعل النيّة قربة لله في كل أعمالنا الصالحة: كل مؤمن يتمنى أن تكون كل أعماله في الليل والنهار مشغولة بذكر الله وخدمته ليكون من الفائزين، ولذا نقرأ في دعاء كميل بن زياد (رض): « يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ وَ قُدْسِكَ وَ أَعْظَمِ صِفَاتِكَ وَ أَسْمَائِكَ **أَنْ تَجْعَلَ أَوْقَاتِي فِي اَللَّيْلِ وَ اَلنَّهَارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً وَ بِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً** » التي معناها الطلب من الله بأن تكون أوقاتي خلال الـ٢٤ ساعة بذكر الله معمورة وبخدمته موصولة ...

ربّ تساؤل يرد: كيف تكون كل أوقاتي في الليل والنهار بذكر الله وخدمته؟

الجواب ترويه لنا الشهيدة بنت الهدى رضوان الله عليها في كتابها (كلمة ودعوة) بأن واحدة من الأخوات المسلمات سألتها مستغربة عن معنى هذه العبارة في دعاء كميل بن زياد (رض)، حيث قالت السائلة: هل أن هذه العبارة منسوبة وغير صحيحة ؟ أو أن البشر جميعا قد خرجوا عن هذه القاعدة ؟ فليس فينا من يتمكن أن يقتصر في حياته على ذكر الله تعالى والتسبيح والتهليل . فنحن اذ نعيش لا بد لنا أن نباشر شتى الاعمال في الحياة ولا يمكننا بأي حال من الاحوال التنصل وأن نترك كل شيء ونلتزم بالتهليل والتكبير فحسب!!

فقالت لها الشهيدة بنت الهدى ما مضمونه : على مهلك يا أخية فليس هذا الدعاء بمنسوب أو غير صحيح، بل هو صحيح ومعروف ولكن المعنى ليس كما تظنين فقط، إذ لسنا بمكلفين بالتسبيح والتهليل والتكبير « كقول : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر في كل أوقاتنا وليس ذكر الله وخدمته هو ما ذكرتيه ونحوه كما تفهمين منه ...فهو أي كل من التسبيح أو التهليل والتكبير وإن كان من الذكر المأثور ومن الباقيات الصالحات لكن ليس هو الذكر كلّه، ولا تتوقعون بأن الذكر متوقف على إدارة حبات المسبحة أو تقليب وتصفح كتب الأدعية.. لا ليس هذا وحده ...فكم يوجد من يذكر الله بلسانه وينساه بقلبه وأفعاله !! بل الذاكر لله هو العابد لله، الطائع لله سواءً بالعبادات أو المعاملات، فالدين هو المعاملة، فلو جعلت كل عباداتي ومعاملاتي لله تعالى معناها صارت أوقاتي بالليل والنهار بذكره معمورة وبخدمته موصولة....فالمرأة المؤمنة الصالحة لما تستيقظ وتراعي أولادها وزوجها تفعل ذلك لأن الله قال جهاد المرأة حسن التبعل، ولما ترتب الدار وتعد الطعام، تفعل ذلك لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال خيركم خيركم لأهله، ولما تصلي وتصوم وتدعو وتسبح وتخمّس وتتصدق تفعل ذلك لأن الله يحب ذلك، ولما تساعد والديها تفعل ذلك لأن الله أمرنا ببر الوالدين، لما تصل أرحامها وتحسن الجوار وتساعد المحتاجين، ولما تصبر وتعفو وتتخلق بالخلق الحسن تفعل ذلك لأن الله ورسوله والمعصومين كلهم أمرونا بذلك، ولما تراعي الحشمة والعفة ولا تتحدث مع الرجال الأجانب تفعل ذلك لأن الشريعة أمرتنا بذلك بل حتى لما تأكل وتنام تفعل ذلك لتتقوى على طاعة الله...إذن الأمر يحتاج منا إلى نية، بأن استحضر الله في كل أعمالي، فهنا ستكون أعمالي في الليل والنهار بذكره معمورة وبخدمته موصولة.

بعد أن انتهينا من تفسير سورة العصر، لنقف على رواية تذكر لنا المصداق الأكبر للمفلحين الفائزين المستثنين من الخسارة، والذي يرويه لنا الشيخ القمي في تفسيره، بإسناده عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلخ، فقال: « استثنى أهل صفوته من خلقه ».(٥٨٢)

ومن أبرز أهل صفوته من خلقه هم محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ومنهم صاحب الذكرى الإمام علي الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي بلغ القمة في الإيمان والأعمال الصالحة، وتواصى بالحق وتواصى بالصبر حتى مع أعدائه.

حيث يروى أن الحاقدين على الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ كانوا يشحنون المتوكل بالحقد على الإمام فقالوا له يوما: إن في منزل علي بن محمد سلاحا وأموالا وكتباً من شيعته يستحثونه فيه على الثورة وهو يعد العدة لذلك.

فوجه إليه جماعة من الأتراك وغيرهم من قساة القلب فهاجموا دار الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في جوف الليل فوجدوه في بيته وحده مغلقا عليه وعليه مدرعة من شعر ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى وعلى رأسه ملحفة من الصوف وهو يترنم بآيات القرآن في الوعد والوعيد فأخذوه إلى المتوكل على الحالة التي وجدوه عليها فمثل بين يديه والمتوكل على مائدة الخمر وفي يده كأس فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه وقال من أتى به: يا أمير المؤمنين لم يكن في منزله شيء مما قيل فيه ولا حالة يتعلل عليه بها فناوله الكأس الذي في يده فقال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: والله ما خامر لحمي ودمي، فقال له: أنشدني شعرا استحسنه فاعتذر الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال: إني لقليل الرواية للشعر، فألح عليه ولم يقبل له عذرا فأنشده:

باتوا على قُلَلِ الأحبالِ تَحرسُهم ... غُلبُ الرجالِ فما أغنتهم القُلَلُ
واستُنزلوا بعد عزٍ من معاقلهم ... فأُودعوا حفرا يا بئسَ ما نزلوا
ناداهمُ صارخٌ من بعد ما قُبروا ... أين الأسرَّةُ والتيجانُ والحُلَلُ
أين الوجوهُ التي كانت منعَّمةً ... من دونها تُضربُ الأستارُ والكِلَلُ
فأفصح القبرُ عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوهُ عليها الدودُ يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وقد شَربوا ... فأصبحوا بعد طولِ الأكلِ قد أُكلوا

وطالما عمَّروا دورا لتحصـــــــــــنَهم ففارقوا الدورَ والأهـــــــــلينَ وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموالَ وادخـــــــــروا فخلَّفوها على الأعـــــــــداء وارتحلوا
أضحت منازلُهم قَفْرا معـــــــــطَّلةً وساكنوها إلى الأجـــــداث قد وصلوا

فأشفق من حضر على أبي الحسن الهادي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبكى المتوكل بكاء شديدا حتى بَلَّت دموعه لحيته وبكى من حضر ثم أمر برفع الشراب وقال: أعليك يا أبا الحسن دين؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار فأمر بدفعها إليه ورده إلى منزله من ساعته مكرما.

وهكذا كان المتوكل يستدعيه بين الحين والآخر بقصد الإساءة إليه وربما ليقتله ولكن الله سبحانه كان يصرف كيده عنه.

وكان المتوكل يقول: والله لأقتلن هذا المرائي... الذي يدعي الكذب ويطعن في دولتي... والله لأحرقنه بعد قتله.

وبعد وفاة المتوكل الذي جرَّع الإمام الغصص طيلة أربعة عشر عاما عاش الإمام بقية عمره مع حكام عرفوا بالظلم فقد أجبروه على البقاء في سامراء فعاش سبعة أعوام مع المنتصر والمستعين والمعتز في سامراء.

بقي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ملازما بيته كاظما غيظه صابرا على ما مسه من الأذى من حكام زمانه حتى قضى نحبه ولقي ربه شهيدا مسموماً، رحم الله من نادى وا إماماه، وا سيداه، وا مسموماه، وكانت وفاته في خلافة المعتز وذلك يوم الاثنين لثلاث خلت من رجب سنة ٢٥٤ هـ متأثرا بسم دسه إليه المعتز وسمعت جارية له تقول - أثناء تشييعه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - : ماذا لقينا من يوم الاثنين قديما وحديثا.

وفي إثبات الوصية قال: وقد اجتمع في دار أبي الحسن الهادي جل بني هاشم من الطالبين والعباسيين واجتمع خلق كثير من الشيعة ثم فتح من صدر الرواق باب وخرج خادم أسود ثم خرج من بعده أبو محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حاسرا مكشوف الرأس مشقوق الثياب وكأني به ينادي: وا أبتاه، وا علياه، وا مسموماه، فأجابته الشيعة: وا إماماه، وا عظم مصيبتاه.

(نصاري)

سكاه السم يويلي او مـرد كبده اولا راقب الباري او هـــــاب جده
ظل ابنه الحسن يبكي اعله فكده اشيفيد النوح لو يجري الدمع دم

(أبوذية)

على الهادي مياتم حزن تنـــــصب الدموع ادموم عالمسموم تنصب
المرد چبدك چبدته ريت تنصب ولا اشوفك تلوج اعله الوطيه

(أبوذية)

يناعي اشبيك كلي اشصار شدهاك دكلي يا مصاب الذي شدهاك
علي الهادي لون مجروح شدهاك جرح اولا تصيح ابهل رزيه

ثم أخرجت الجنازة وخرج الإمام العسكري يمشي خلفها والناس من خلفه وكان الإمام صلى عليه قبل أن يخرج إلى الناس وصلى عليه لما خرج المعتمد ثم دفن عَلَيْهِ السَّلَامُ في دار من دوره بسر من رأى.[٥٨٣]

(تجليبة)

شبله يغسله او تتصارخ اعيـــاله او شاله او نزله او فوكه الترب هاله
بس احسين محد غسله او شاله ثلث تيام ظل مطروح بالـــــــوادي

(تخميس)

طبت يا مدجلاً جسور المِهارِ عج على طيبةٍ ربوع الفخار
ناد فيها بلوعة وانكســـــــار قوضي يا خيام عليـــــا نزار

فلقد قُوِّض العماد الرفيعُ[٥٨٤]

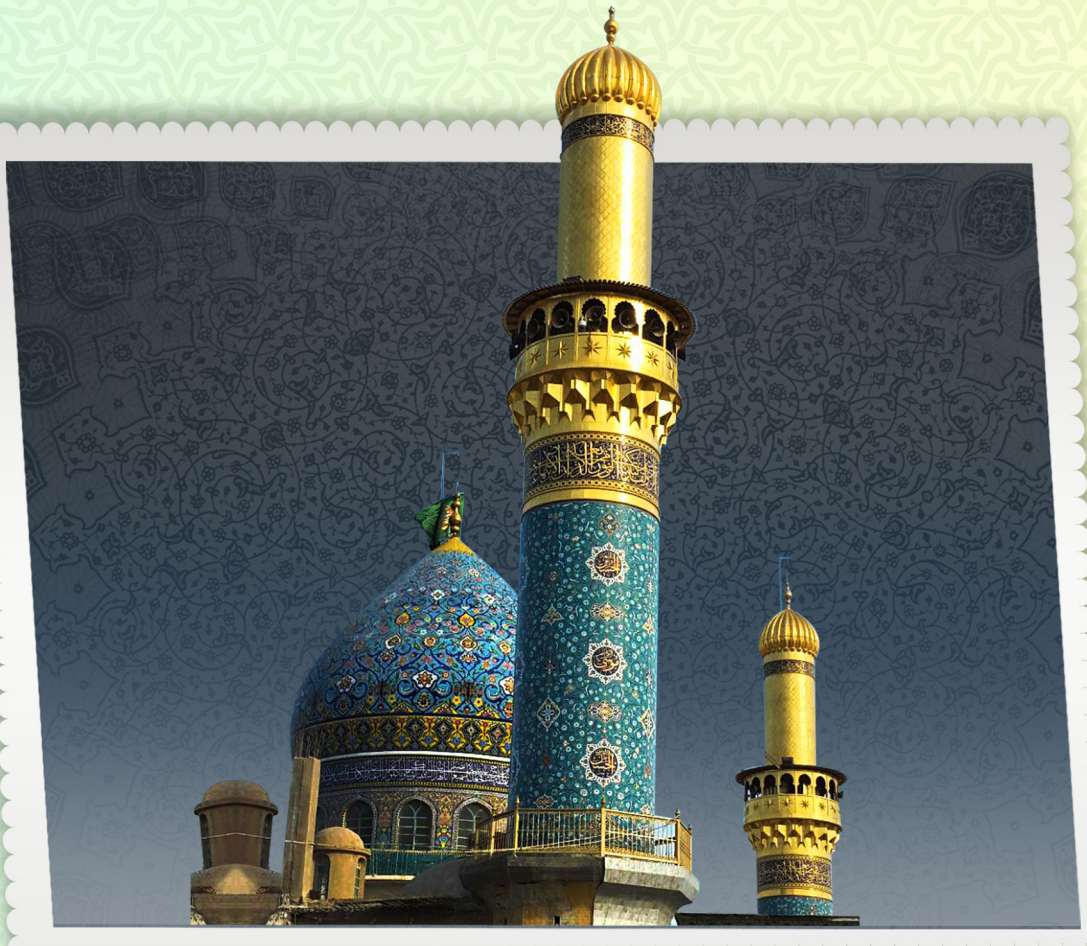

٢٩ جمادى الآخرة

وفاة محمد بن علي الهادي (عليه السلام) المعروف بالسيد محمد سبع الدجيل (عليه السلام)

السلام عليك يا قاضي الحاجات

المناسبة

شهادة السيد محمد بن الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ

الملقب بـ(سَبْع الدِجِيل)

القصيدة للسيد ميرزا مهدي الشيرازي

بقعةٌ لا يُحامُ حولَ حِماها ... بِسوى طوفِها ولثمِ ثراها
ربوةٌ ذاتُ روضٍ معينٍ ... بوركتْ في بقاعِها ورُباها
وعراصٌ لشبلِ أحمدَ فيها ... مستناخٌ يُهابُ فيه فَتاها
هي مثوىً لماجدٍ هاشميٍّ ... ذي فعالٍ فاقَ السماءَ عُلاها
مألفُ الجودِ من سراةِ عليٍّ ... معدنُ الخيرِ من ذؤابةِ طاها
هي مثوى مُحمّد بن عليٍّ ... بِعُلا قدرِهِ علتْ غَبراها
سيدٌ من بني الكرامِ كريمٌ ... وله عنصرُ به الله باها
حاسرٌ عن ذراعهِ للأماني ... ما نخته الآمالُ إلاّ قضاها
يمّمته الوفّادُ من كلِّ وجهٍ ... وانثنتْ عنه بعد نيلِ مُناها

وللتوسل به لقضاء الحوائج نذكر هذه الأبيات[٥٨٥]:

أباجعفرٍ جئنا بمُزجى بضاعةٍ ... لِنَكتال ما نحتاجُ إذ مَسَّنا الضُّرُّ
فأنت عزيزُ الهاشميّينَ رِفعةً ... وأرضٌ بك ازدانَتْ جوانبُها مِصرُ
فأوفِ لنا الكيلَينِ كيلاً مُعجَّلاً ... وكيلاً لدى الميزانِ موعدُه الحشرُ

المحاضرة العاشرة

التوحيد العبادي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِيّاكَ نَعْبُدُ ... ﴾ (٥٨٦)

لقد ذكرنا في المحاضرة السابعة الجزء الثاني لهذه الآية وهو قوله تعالى ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، وذكرنا نكتة لغوية وهي: تقدم المفعول به على الفاعل والذي يفيد الحصر ، فالآية لم تقل:(مالك يوم الدين نعبدك ونستعينك. اهدنا...) وانما قدّمت الضمير المتصل (ك) -وهو مفعول به- على الفعل والفاعل ﴿نَعْبُدُ﴾ فصار ضميراً منفصلاً بكلمة ﴿إِيّاك﴾ ففادت الحصر، أي أننا نعبدك دون سواك، ونتيجة هذا الحصر، سيكون عندنا التوحيد في العبادة، أو ما يسمى بالتوحيد العبادي.

والمراد منه حصر العبادة بالله تعالى فقط، فلا يجوز لنا أن نعبد غير الله تعالى؛ لأنه سبحانه هو الخالق الوحيد لهذا الكون وما فيه وهو مدبّر أموره، فلا يجوز أن نعبد غيره(٥٨٧)، (وهذا هو الأصل المتفق عليه بين جميع طوائف المسلمين، فلا يكون المسلم مسلماً إلاّ بعد الاعتراف بهذا الأصل، وشعار المسلمين الذي يردّدونه كل يوم هو قوله سبحانه:﴿إِيّاكَ نَعْبُدُ﴾ فعبادة غيره إشراك لغيره مع الله في العبادة، وموجبة لخروج المسلم عن ربقة الإسلام).(٥٨٨)

مباحث الآية الكريمة

المبحث الأول: ما المراد من العبادة؟

ذكرنا أنّ كلّ عبادة لغير الله هي شرك عظيم ومعصية كبيرة. لكن المهم هو البحث في طبيعة العبادة وحدودها، لذا لا بدّ من الوقوف على المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي الشرعي والتفريق فيما بينهما.

فالمعنى اللغوي يطلق على المعنى الذي استعملته العرب للكلمة، والمعنى الاصطلاحي يقصد به المعنى الذي اصطلح أهل فن معين على إعطائه لتلك الكلمة، فالصلاة

-مثلا- في المعنى اللغوي (الدعاء)[٥٨٩]، قال تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾[٥٩٠]، وأما الصلاة في المعنى الاصطلاحي الشرعي فهي العبادة المعروفة، بأنها مجموعة أقوال وأفعال أوّلها: تكبيرة الإحرام وآخرها التسليم مع النية ولها شرائط مخصوصة.[٥٩١]، قال تعالى:﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾[٥٩٢]

ومعلوم أن الذي يأخذ المعنى اللغوي ويرفض الاصطلاحي، ويدّعي أن الصلاة التي فرضها الله تعالى علينا في اليوم خمس مرات هي مجرد دعاء وليست العبادة المتعارفة من سجود وركوع، سيترتب عليه الكفر فيما لو أنكر وجوبها بلا شبهة لكونه أنكر ضرورة من ضرورات الإسلام.

وأيضاً حينما نأتي لمعنى (العبادة)، فلها معنى لغوي ومعنى اصطلاحي شرعي، ومن يعتقد أن المعنى الاصطلاحي هو نفسه المعنى اللغوي سيترتب عليه تكفير المسلمين وجعلهم في سلك المشركين في العبادة، كما قالت به فرقة الوهابية.

فلو وقفنا على المعنى اللغوي للعبادة سنجد أن لأئمة اللغة العربية في المعاجم تعاريف متقاربة للفظة العبادة، فهم يفسّرون العبادة بأنّها «الخضوع والتذلّل والطاعة».[٥٩٣] [٥٩٤]

ولكن العبادة بالمعنى الاصطلاحي هي **الخضوع النابع عن الاعتقاد بألوهية المعبود، وربوبيته.**[٥٩٥]

بمعنى أن العبادة مركبة من أمرين:

الأمر الأول: الخضوع: أي أنْ يظهر العبد خضوعه وتذلله لله واحترامه للمعبود، فمثلاً يسجد له، فالسجود مظهر من مظاهر الخضوع والتذلل للمعبود.

ولكن هذا المعنى وحده لا يُسمى عبادة، وإنما لا بُدّ من الأمر الثاني.

الأمر الثاني: الاعتقاد بربوبية المخضوع له. بمعنى أنّ العبد عندما يسجد لله تعالى، فإنه يعتقد في قلبه ونفسه أن الله تعالى هو خالقه، وربّه، ومدبّر أموره، لا إله له غيره.

فإذا اجتمع هذان الأمران، تحققت العبادة. وهذا المعنى لا يجوز إلا لله تعالى، ومن يخضع لشيء آخر غير الله وهو يعتقد بأنه ربٌّ له، فهو مشرك وكافر.

أما مجرد الخضوع والتذلل من دون اعتقاد الربوبية والألوهية، فهذه لا تسمى عبادة، وإنما هي مجرد احترامٍ، وتقديرٍ، وإجلالٍ، وهذه المعاني ليست محرّمة على

الإنسان، بل إنّ الدين هو من أمر باحترام وتقدير عدّة أصنافٍ من المخلوقات.[٥٩٦]

رُبّ تساؤل يرد: هل توجد نصوص قرآنية تثبت أن الطاعة والخضوع في بعض الأحيان لا يراد منها العبادة شرعاً، بل يراد منها التعظيم والتبجيل والتكريم؟

الجواب: نعم، ونذكر منها الآيات الآتية:

١ ـ سجود الملائكة لآدم الذي هو من أعلى مظاهر الخضوع حيث قال سبحانه: ﴿ وإذْ قُلنا للملائِكةِ اسْجُدُوا لآدَمْ ﴾[٥٩٧]، فلو كان السجود- وهو غاية الخضوع والتذلّل- يُعد عبادة، فهذا يعني أن الله أمر ملائكته أن يعبدوا غيره-آدم- أي هو من أمرهم بأن يشركوا به، وهذا محال. بل أن الله لمّا أمر الملائكة أن تسجد لآدم فهو من باب التكريم والتعظيم والتبجيل والتقدير لنبي الله آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٢ ـ إنّ القرآن يصرّح بأنّ أبوي يوسف وإخوته سجدوا له حيث قال: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلى العَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقالَ يا أَبَتِ هذا تَأويلُ رُؤَيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبّي حَقّاً ﴾[٥٩٨]، فالآية تصرّح بأن نبي الله يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سجد لولده النبي يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ونحن نعلم أن كليهما نبيان معصومان، فلو كان السجود يُعد عبادة للمسجود إليه، لكان نبي الله يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأولاده مشركين لأنهم بسجودهم عَبَدوا مخلوقا وهو يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولأصبح نبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عاصياً لأنه وافق على أن يعبده أباه وإخوته. وهذا الأمر محال أن ينسب للأنبياء.

٣ ـ إنّ القرآن الكريم يأمر بأن نتخذ من مقام إبراهيم مصلّى عندما يقول: ﴿ وَاتّخِذُوا مِنْ مَقامِ إبراهيم مُصَلّى ﴾[٥٩٩] ولاريب في أنّ الصلاة إنّما هي لله، ولكن إقامتها خلف مقام إبراهيم الذي يرى فيه أثر قدميه هو نوع من التكريم لذلك النبي العظيم ولا يتصف هذا العمل بصفة العبادة مطلقاً، وإلا استلزم منه دخول حتى الوهابية في الشرك.

٤ ـ (يأمر الله تعالى بالخضوع أمام الوالدين وخفض الجناح لهم، الذي هو كناية عن الخضوع الشديد يقول: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾[٦٠٠] ومع ذلك لا يكون هذا الخفض: عبادة. وإلا لاستلزم منه أن يكون مشركاً كل من برّ والديه.

٥ . إنّ جميع المسلمين يطوفون . في مناسك الحج . بالبيت الذي لا يكون إلاّ حجراً وطيناً، ويسعون بين الصفا والمروة وقد أمر القرآن الكريم بذلك حيث قال: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بالبيتِ العَتيق ﴾[٦٠١]، وقال أيضاً تعالى: ﴿ إنَّ الصَّفا والمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ البيتَ أوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أنْ يَطَّوَّفَ بِهِما ﴾[٦٠٢] فهل ترى يكون الطواف بالتراب والحجر والجبل عبادة لهذه الأشياء؟

ولو كان مطلق الخضوع عبادة لزم أن تكون جميع هذه الأعمال ضرباً من الشرك المجاز المسموح به، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.[٦٠٣]

نفهم مما طرحناه أن الخضوع والتذلل والطاعة لموجود ما، له أكثر من معنى، فتارة يُعد عبادة -بالمعنى الأخص-، واخرى يُعدّ تعظيماً وتكريماً لذلك الموجود.

المبحث الثاني: من كفّر مؤمناً فقد كفر

لقد برزت في الآونة الأخيرة ظاهرة التكفير في مجتمعاتنا الإسلامية، وبالأخص من قبل فرقة الوهابية، إنَّ مشكلة هؤلاء المكفِّرين، أنهم لا يملكون ثقافة الإيمان والكفر، فهم يكفّرون المسلمين على أتفه الأسباب، فالسؤال المطروح هو:

ما الذي يجعل الإنسان مسلماً أو كافراً؟

الجواب: الذي يجعل الإنسان مسلماً ثلاثة أشياء بإجماع المسلمين: التوحيد، والنبوة، والمعاد. هذه هي الأشياء الأساسية التي إذا آمن بها الإنسان كان مسلماً.

ولكن الذي يجعل الإنسان كافراً هو إنكاره واحدة من هذه الأمور من غير شبهة، يعني إذا أنكر الشخص وجود الله سبحانه وتعالى، أو أنكر توحيده، فهذا كافر، ولذلك نقول إن الملحدين كافرون، لأنهم ينكرون وجود الله سبحانه وتعالى، وإن المشركين كفرة، لأنهم ينكرون توحيد الله تعالى والنبوّة.

وتوجد هناك حالةٌ من الحالات يقول فيها الفقهاء . سواء السنة أو الشيعة . إنه من أنكر ضرورياً من ضروريات الدين، يعني أنكر - من غير شبهة -شيئاً ثبت في الدين بالبداهة، بأن هذا الشيء من الدين، كأن يقول شخص: الصلاة غير واجبة، وهذا ينتهي إلى تكذيب الله تعالى ورسوله صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فالله يقول: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاة ﴾، والنبي صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول أيضاً بوجوب الصلاة، أو أن يقول هذا

الإنسان مثلاً، الصوم غير واجب، والحج غير واجب، والخمر ليست محرَّمة، مع أن هذه الأحكام معلومة لجميع المسلمين، فهذا إنكار للمبدأ.[٦٠٤]

إن الشريعة الإسلامية حرّمت تكفير المسلم، إذا لم ينكر ما ذكرناه، فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « أَيُّما امْرِئٍ قالَ لأَخِيهِ: يا كافِرُ، فقَدْ باءَ بها أحَدُهُما ». [٦٠٥]واستدل الفقهاء من ذلك على أن من كفّر مسلما فقد كَفَر.

إن الشريعة أمرتنا أن نحكم بإسلام الشخص بمجرد تلفظه الشهادتين وعليه يُحْقن دمه وماله وعرضه، ففي مصادر أهل العامة من المسلمين يروى عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّتِهِ : « أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ أَعْظَمَ حُرْمَةً ؟ « قَالَ : قُلْنَا : يَوْمُنَا هَذَا ، قَالَ : « أَفَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً ؟ « قَالَ : قُلْنَا : بَلَدُنَا هَذَا ، قَالَ : « فَأَيُّ شَهْرٍ أَعْظَمُ حُرْمَةً ؟ « قَالَ : قُلْنَا : شَهْرُنَا هَذَا ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ». [٦٠٦]

لقد ذكرنا أن العبادة بالمعنى الاصطلاحي هي الخضوع النابع عن الاعتقاد بألوهية المعبود، وربوبيته... بمعنى أنّ العبد عندما يخضع ويتذلل لموجود ما، بشرط أن يعتقد في قلبه ونفسه أنه هو إلهه وخالقه، وربّه، ومدبّر أموره، فهذا يعني أنه عَبَدَه. فإذا كان هذا الموجود -الذي يعبده- هو الله تعالى فهو قد عبَد الله، وإذا كان غير الله يكون مشركاً.

إذن حتى نميّز بين المسلم والمشرك فلا يكفي الاقتصار على العمل الحاكي عن الخضوع، بل إن الأمر له علاقة بالإيمان والاعتقاد القلبي بأنه إلهه وخالقه، وربّه، ومدبّر أموره. ولذا لزم الحذر من الاتهام العشوائي للمسلم بأنه مشرك أو كافر وإلا فان أثمه عظيم، روي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:« بعث أسامة بن زيد في خيل إلى بعض قرى اليهود في ناحية فدك ليدعوهم إلى الإسلام، وكان رجل من اليهود يقال له: مرداس ابن نهيك الفدكي في بعض القرى، فلما أحس بخيل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جمع أهله وماله وصار في ناحية الجبل فأقبل يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فمر به أسامة بن زيد فطعنه وقتله، فلما رجع إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أخبره بذلك فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

: قتلت رجلا شهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ « فقال: يا رسول الله إنما قالها تعوذا من القتل، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « فلا شققت الغطاء عن قلبه، لا ما قال بلسانه قبلت، ولا ما كان في نفسه علمت « ... وأنزل الله في ذلك: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[٦٠٧] ».[٦٠٨]

ولكن الفرقة الوهابية الضالة الشاذة عن الفرق الإسلامية يفرّقون بين المؤمن والمشرك لا على ما يحمل في قلبه من عقيدة بل بمجرد القيام ببعض الأمور الظاهرية التي عَدّوها من المكفّرات التي تخرجه من الإسلام، حتى لو صرّح المسلم بأنه لا يعبد إلا الله. والمُكفّرات حسب اعتقاد هذه الفرقة المنحرفة عديدة منها: التوسل والإستغاثة بأولياء الله بعد موتهم في قضاء الحوائج، كشفاء المرضى أو في سعة الرزق وغيرها، ومنها تعظيم المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كزيارتهم وإحياء أمرهم وإطعام الطعام على حبهم والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم وغيرها من الشعائر، ومنها تقبيل الحجر الأسود، ومنها السجود على التربة الحسينية، ومنها تكفير من اسمه يتضمن وصف العبودية لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كعبد الحسين وعبد الزهرة، وغيرها، لذا أباحوا قتل الشيعة وسفك دمائهم، كما فعلوا ذلك حينما هجموا على العراق وفعلوا ما فعلوا في أحداث ٢٠٠٦م وما بعدها... قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

فبحسب عقيدة ابن تيمية، أنه كل من حضر قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أو أحد من الصلحاء وطلب منهم حاجته فهو مشرك، ويلزم منه التوبة، وإن لم يتُب فيقتل.[٦٠٩]

ولذا نوجه خطابنا لهذه الشرذمة المُكفّرة ونقول لهم: **كيف حكمتم على المسلم الناطق بالشهادتين بالشرك و أنتم لم تعرفوا ما في قلبه من عقيدة؟!!!**

كيف يحق لكم أن تحكموا بشرك من يقول يومياً في صلاته (لا إلَهَ إلاَّ الله) ٢١ مرة في التسبيحات، و٨ مرات عند التشهد، عدا ذكره عند كل أذان أربع مرات، وعند كل إقامة ثلاث مرات ..أي على الأقل يومياً يوحّد المؤمن الشيعي ربه أكثر من ثلاثين مرة يقول فيها (لا إلَهَ إلاَّ اللهُ)؟!!

وعلى فرض أننا رأينا كافراً فأنّ مجرد الكفر ليس كافياً لقتله، إلا إذا قاتل المسلمين وصار المسلم بصدد الدفاع عن نفسه وماله وعرضه، قال الله تعالى: ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا

إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾.[٦١٠]

وسوف نرد على بعض اتهامات الوهابية على الشيعة في المبحث الآتي:

المبحث الثالث: شبهات الوهابية عن التوحيد والشرك

المطلب الأول: شبهة أن تعظيم الرسول وآله شرك!!

الشبهة الأولى: إن تعظيم أولياء الله ومنهم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يُعدّ شركاً!!

ونردّ عليه بالنقاط الآتية:

أولاً: إن تعظيم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا يعني عبادتهم، فلقد قلنا قبل قليل في تعريف العبادة إذا كان الخاضع لا يعتقد بإلوهية المخضوع إليه وإنما يخضع له ويتذلل من باب التعظيم والتكريم والتبجيل، فهذا لا يُعد شركاً أبدا وذكرنا بعض الأدلة القرآنية.

ونفس الأمر ينطبق مع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فإن تعظيمنا وتقديسنا لمحمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عن طريق محبتهم ومودتهم ونشر علومهم والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم وزيارة مراقدهم ما هو إلا طاعة لله لأنه يعد تعظيماً لشعائر الله، قال تعالى:﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.[٦١١]

ونحن الشيعة الإمامية لا نعتقد بإلوهية إلا الله، ولا مدبر في الكون غير الله تعالى، ونعتقد أن الصالحين وعلى رأسهم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، فهم لا يملكون شيئاً إلاّ ما ملّكهم الله، ولايقدرون على عمل إلاّ بما أقدرهم اللّهُ عليه، فهم لا يضرون ولا ينفعون إلا بإذن الله، قال تعالى مخاطباً رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾[٦١٢] (إنّ مثل هذا التعظيم يوافق أصل التوحيد بمراتبه المختلفة دون أي شك. وأمّا إذا وقع التعظيم والتكريم للولي معتقداً بأنّه ـ حيّاً كان أو ميتاً ـ مالك لواقعية الإلوهية أو درجة منها، أو أنّه واجد لمعنى الربوبية أو مرتبة منها، فانّه ـ ولاشك ـ شرك وخروج عن جادة التوحيد).[٦١٣]

ونحن نقرّ يومياً بأن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم عباد لله، ففي الأذان والإقامة نقول بأن محمداً رسول الله، وعلياً ولي الله، وفي الشهادة نقول: وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله، ولمّا نتوسل بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نقول: (يا وَجِيهاً عِنْدَ اللهِ اِشْفَعْ لَنا عِنْدَ اللهِ) [٦١٤]، ولما نقرأ أدعية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نجدهم يعلّموننا بأنهم عبيد لله، فمن أدعية الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: « اللهم أني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك... » [٦١٥]

ثانيــاً: إن الشريعة الإسلامية أمرتنا أن نعبد الله من حيث هو يريد لا من حيث نحن نريد، والله تعالى أرادنا أن نُعظّم عباده الصالحين، لذا فطاعتنا لله بتعظيمهم يعدّ توحيداً حقيقياً وليس شركاً، بل إن الذي يتعمّد عدم طاعة الله في تعظيم من يشاء الله لزم أن يشك في توحيده لله تعالى لكونه في الحقيقة أشرك مع الله بطاعته للهوى والشهوات وشياطين الجن والأنس، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[٦١٦] نقل عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير الآية حيث يقول « شرك طاعة وليس شرك عبادة، والمعاصي التي يرتكبون وهي شرك طاعة أطاعوا فيها الشيطان فأشركوا بالله في الطاعة لغيره ». [٦١٧] وشرك الطاعة معصية يحاسب عليها الإنسان ويترتب على بعضها بطلان أعماله ولكنه لا يخرجه من الإسلام، ولكن الشرك في العبادة يخرجه من الإسلام.

ولذا أقول بأن هؤلاء الوهابية هم أولى من يوجه لهم العتاب واللوّم في عدم طاعتهم لله بتعظيم أولياء الله الذي يعدّ علامة على وجود خلل في توحيده، ولكن حقيقة ينطبق عليهم المثل «رمَتْني بدائها وانسلَّت».

وأما الآيات التي أمرتنا بتعظيم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فهي عديدة نذكر منها الآتي:

١. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [٦١٨] ومعلوم أن من أعظم حرمات الله هم محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. [٦١٩]

٢. قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [٦٢٠] أنّ المراد من «القربى» في الآية هم أهل بيت النبي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، يعني الإمام علي والسيدة فاطمة والأئمة من ذريتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وتعظيمهم هو من مصاديق مودتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

٣.قوله تعالى:﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ [٦٢١]، فالآية تأمرنا بتعظيم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالتعزير والنصرة، حيث أن معنى (التعزير: النصرة مع التعظيم).[٦٢٢]

٤.قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [٦٢٣]

إن الله تعالى يأمر المؤمنين بتعظيم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -حيّاً وميّتاً- بعدم رفع الصوت (لأن فيه أحد الشيئين إما نوع استخفاف به فهو الكفر و إما سوء الأدب فهو خلاف التعظيم المأمور به)[٦٢٤]، وسيترتب عليه إحباط الأعمال.

روى القاضي عياض في الشفاء بإسناده عن أبن حميد قال: (ناظر أبو جعفر- المنصور- .. مالكاً-مالك بن أنس- في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فأن الله تعالى أدب قوماً فقال ﴿لاَ تَرفَعُوا أَصوَاتَكُم فَوقَ صَوتِ النَّبِيِّ ﴾ [٦٢٥]، ومدح قوماً فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصوَاتَهُم عِندَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾[٦٢٦]وذم قوماً فقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الحُجُرَاتِ ﴾[٦٢٧]، وأن حرمته ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر ، وقال: يا أبا عبد الله أأستقبل وأدعو، أم أستقبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ؟! فقال:ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ الى الله تعالى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله تعالى: ﴿وَلَو أَنَّهُم إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُم جَاءُوكَ فَاستَغفَرُوا اللَّهَ وَاستَغفَرَ لَهُم الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [٦٢٨]فانظر هذا الكلام من مالك وما اشتمل عليه من الزيارة والتوسل بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحسن الأدب معه). [٦٢٩]

المطلب الثاني: شبهة أن الذبح لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ شرك!!

من أسباب اتهام الشيعة بالشرك من قبل فرقة الوهابية هو اتهامهم بأن الشيعة يذبحون الذبيحة لغير وجه الله!!

ونردّ على ذلك بأن الوهابية قوم يرمون الشيعة من أتباع ومحبي أهل البيت

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بالذبح لغير الله كذباً وتزويراً للحقائق وتضليلاً للناس مع أن الشيعة أعزهم الله لا يذبحون ذبيحة الا لله تعالى ولا يذكرون إلا اسم الله تعالى كما أمرنا الله تعالى تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَم يُذكَرِ اسمُ اللَّهِ عَلَيهِ وَإِنَّهُ لَفِسقٌ﴾ [٦٣٠]، ويعلمون أن أي ذبيحة تذبح لغير وجه الله فهي محرّمة، بل تشددهم معروف مشهور في شروط الذبح حيث يوجبون أن يكون الذابح مسلماً وأن يذكر اسم الله عند الذبح بخلاف الوهابية وغيرهم الذين يجيزون أكل ما ذبح لغير الله تعالى حيث أجازوا أكل عموم طعام أهل الكتاب ومنها ذبائحهم التي يحكم الشيعة بأنها ميتة ولم يذكر اسم الله عليها أو ذكر اسم غير الله عليها فلا يجيزون أكلها أو الإنتفاع من أي جزء أو شيء منها.[٦٣١]

إن الشيعة بعد أن يذبحوا الذبيحة قربة لله تعالى يهدون ثوابها إلى الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وسائر المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وهذا العمل جائز شرعا بل مستحب، فهو اقتداء بفعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقد روى عن عائشة أنها قالت: « ما غِرْتُ على أَحَدٍ من أَزْوَاجِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما غِرْتُ على خديجةَ وما بي أنْ أَكُونَ أَدْرَكْتُها وما ذلكَ إلَّا لِكَثْرَةِ ذكرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لها وإنْ كان لَيذبحُ الشَّاةَ فَيَتَتَبَّعُ بِها صدايقَ خديجةَ فَيُهْدِيها لهُنَّ ». [٦٣٢]

المطلب الثالث: شبهة أن تقبيل الحجر الأسود شرك

إستدل فقهاء الإسلام بالروايات الواردة في تقبيل واستلام الحجر الأسود والتبرك به على جواز التبرك بالأشياء المقدسة إلا أنَّ الوهابية عدّوا هذا التبرك من الشرك. [٦٣٣]

ونردّ عليهم بأنّ المسلمين كلّهم يستلمون الحجر الأسود. في الحج. واستلام الحجر الأسود من مستحبات الحج، وهذا العمل يشبه من حيث الصورة (لا من حيث الواقعية) أعمال المشركين تجاه أصنامهم في حين أنّ هذا العمل يعدّ في صورة شركاً، وفي أُخرى لايعد شركاً بل يكون معدوداً من أعمال الموحدين المؤمنين. فأن الملاك في العمل هو النيات والضمائر لا الصور والظواهر وإلاّ فهذه الأعمال بصورها الظاهرية لاتفترق عن أعمال الوثنيين. [٦٣٤]

ولذا يؤسفنا كثيرا حينما نجد الوهابية في مناسك الحج يحاولون في بعض الأحيان منع المسلمين من لمس وتقبيل الحجر الأسود ويعدونه من الشرك، في حين أن نيّة المسلمين حينما يلمسونه ويقبلونه لا باعتقاد ألوهيته وربوبيته بل هو من باب التكريم والتبجيل، ومن باب التأسي بفعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، روي عن أبي سعيد الخدري قال: « حج عمر بن الخطاب في إمرته. فلما افتتح الطواف حاذى الحجر الأسود فاستلمه وقبله، وقال أقبلك وإني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولكن كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بك حفيا.. ولو لا أني رأيته يقبلك ما قبلتك، قال: كان في قوم الحجيج علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: بلى والله إنه ليضر وينفع، قال: وبم ذلك يا أبا الحسن.؟ قال: بكتاب الله تعالى.

قال أشهد أنك لذو علم بكتاب الله... فأين ذلك الكتاب؟ قال: قول الله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ [٦٣٥]وأخبرك أن الله لما خلق آدم مسح ظهره، فستخرج ذرية من صلبه سيما في هيئة الذر فألزمهم العقل وقرّ ربهم أنه الرب وإنهم العبد فأقروا له بالربوبية وشهدوا على أنفسهم بالعبودية والله عز وجل يعلم أنهم في ذلك منازل مختلفة.

فكتب أسماء عبيده في رق وكان لهذا الحجر يومئذ عينان ولسانان وشفتان فقال له: إفتح فاك قال: ففتح فاه فألقمه ذلك الرق ثم قال له :»أشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة» ، فلما هبط آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ هبط والحجر معه فجعله في موضع من هذا الركن ....وهو من حجر الجنة كان لما نزل في مثل لون الدر وبياضه وصفاء الياقوت وضيائه فسودته أيادي الكفار ومن كان يمسه من أهل الشرك بتعايرهم، قال: فقال عمر: لا عشت في أمة لست فيها أبا الحسن ».[٦٣٦]

ومن أجل هذا الأمر نجد أن من المستحبات أن الحاج عند طوافه لما يقترب من الحجر الأسود أن يستلمه ويقبله، أو يؤشر إليه قائلاً: « اللهم أمانتي أديتها ، وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة».[٦٣٧]

المطلب الرابع: شبهة أن السجود على التربة الحسينية شرك

ونفس الأمر يتكرر مع هؤلاء-الوهابية- بتكفير من يسجد على التربة الحسينية ويقبلها، بحجة أن الشيعة تعبد الأصنام، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ [٦٣٨]، فهناك فرق كبير بين من يسجد **للتربة**، وبين من يسجد **على التربة**، فنحن لما نسجد على التربة لا نسجد لنفس التربة لاعتقادنا بألوهيتها-والعياذ بالله-، بل نسجد على التربة مثلما غير الشيعة والوهابية يسجدون على السجادة. ولكن الفرق بيننا وبينهم أننا نسجد على ما أمرنا الله ورسوله السجود عليه وهي الأرض وما نبت منها من غير المأكول والملبوس، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ». [٦٣٩]

بينما المعترضون يسجدون على ما لا يصح السجود عليه لسجودهم على السجادة والموكيت ولم يرد دليل على مشروعيتها بل ورد العكس، فقد روي عن عياض بن عبد الله القرشي: « رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رجلًا يسجد على كور عمامته فأومأ بيده: «إرفع عمامتك» و أومأ إلى جبهته ». [٦٤٠]

وأما لماذا يفضل الشيعة تربة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟

الجواب: لأن من عقائد الشيعة أن التربة الحسينية تُعد من أقدس تراب الأرض التي سال عليها دم سيد شباب أهل الجنة- الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ -والتي تؤكد روايات عديدة بأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قام بشمها وتقبيلها لما سلمه جبرائيل قبضة منها، فقد روي عن أنس قال: إستأذن ملك المطر أن يأتي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فأذن له، فقال لأم سلمة: إحفظي علينا الباب: لا يدخل علينا أحد، فجاء الحسين بن علي، فوثب حتى دخل، فجعل يصعد على منكب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، فقال له الملك: أتحبه؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : نعم، قال: فإن أمتك تقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، قال: فضرب بيده فأراه ترابا أحمر، فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصرته في طرف ثوبها، قال: فكنا نسمع يقتل بكربلاء. [٦٤١]

وأما سجودنا عليها فهو اقتداءٌ منّا بالإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو أول من سجد عليها، فقد روي عن معاوية بن عمار قال: كان لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ خريطة ديباج [٦٤٢] صفراء فيها تربة أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكان إذا حضرته الصلاة صبه

على سجادته وسجد عليه، ثم قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « إن السجود على تربة أبي عبد الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يخرق الحجب السبع ».[٦٤٣]

المطلب الخامس: شبهة أن ما عُبّد من الأسماء لغير الله شرك

يقول الوهابية: الإنسان عبدٌ لله فقط، فلماذا تنسبون العبودية لغير الله، كأن تسمّون أنفسكم بعبد الحسين، عبد المهدي، عبد الرسول وغيرها من الأسماء؟ فأن هذا يعني أنكم تشركون بالله!!!

ونردّ عليه بالنقاط الآتية:

أولاً: ورد استعمال المشترك اللفظي في القرآن الكريم بشكل واضح وفي ألفاظ قد يتوهم منها الشرك، فكلمة الرب تعني الله ولكن حينما ورد ذكرها حكاية عن نبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾[٦٤٤] فلا يراد منها (الله)، فقد أجمع المفسرون أن مراد يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالرب هنا هو رب نعمة هذا الشخص الذي سيطلق سراحه وهو الملك، فهل نتصور أن تطلق صفة الشرك على نبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأنه استعمل لفظة (الرب) على المَلِك في هذا المورد؟![٦٤٥]

ولما نأتِ إلى العبادة والعبودية ، فهناك فرق بينهما فالعبادة لا تصح لغير الله سبحانه ، ومن عبد غيره فقد ضل وأشرك . .أما العبودية فلها معانٍ مختلفة :

١ . **العبوديّة في مقابل الألوهيّة:** وهي بهذا الاستعمال بمعنى المملوكيّة وهي تشمل جميع عباد الله ، حيث إنّ منشأ مملوكيّة الإنسان هو كون الله تعالى خالقاً ، والإنسان مخلوقاً ، فيكون وصف العبوديّة التي هي رمز المملوكيّة ، لا يضاف إلاّ إلى الله تعالى فقط ، فيُقال « عبد الله» لأنّه : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾[٦٤٦]

وينقل القرآن عن المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قوله: ﴿ ... إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[٦٤٧]

٢ . **العبوديّة الوضعيّة :** وهي ناشئة من الانتصار والغلبة في ميدان القتال والحرب، حيث إنّ الإسلام يقبل هذا النوع من العبوديّة وفقاً لشروط خاصّة مبيّنة في الفقه ، حيث يتمّ اختيار الأشخاص الذين وقعوا أسرى في أيدي المسلمين، فيرجع أمرهم إلى الحاكم الشرعي الذي يستطيع اختيار أحد الطرق الثلاث في شأنهم :

إمّا إطلاق سراحهم بدون أخذ أيّ غرامة ، أو إطلاق سراحهم مع أخذ غرامة منهم ، أو إبقاؤهم أسرى . وفي الصورة الأخيرة يعدّ الشخص الأسير عبداً للمسلمين ، والدليل على ذلك أنّه يوجد في الكتب الفقهيّة باب يسمّى « باب العبيد والإماء » .

ولنأخذ مثالاً على ذلك من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٦٤٨)

ففي هذه الآية يصف الله تعالى أسرى الحرب بالعبيد والإماء في قوله : ﴿ ... عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ... ﴾ فجاء العبد هنا مضافاً إلى غير الله تعالى .

٣ . **العبوديّة بمعنى الطاعة والعمل بالأوامر :** وقد جاء هذا المعنى في الكتب اللّغويّة. كتاب لسان العرب والقاموس المحيط ، مادّة (عبد) .

روي : إن حبراً من الأحبار قال لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ: أفنبيٌّ أنت ؟!، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إنما أنا عبد من عبيد محمد » (٦٤٩)

لذلك فإنّ معنى أمثال « عبد الرسول » و « عبد الحسين » هي ناظرة إلى المعنى الثالث ، حيث إنّ عبد الرسول وعبد الحسين بمعنى مطيع الرسول ومطيع الحسين ، ولا شكّ أنّ هذه الطاعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولأُولي الأمر من بعده هي طاعةٌ واجبة ، وكلّ مسلم مطيع لله والرسول وأُولي الأمر ، قال تعالى : ﴿ ... أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ... ﴾ (٦٥٠)

فانطلاقاً من هذه الآية الكريمة فإنّ القرآن يعد النبيّ « مُطاعاً» والمسلمين « مطيعين» . فإذا اتّخذ شخص نفس هذا المعنى في تسمية ولده، فلن يكون ذلك سبباً لذمّه ، بل سيكون مدعاةً لمدحه والثناء عليه .

ونحنُ نفتخر أنّنا مطيعون لرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والأئمة من بعده

ونعمل بأوامرهم . ومن المؤكّد أنّه لا منافاة بين كون الشخص عبداً لله وعبداً للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ؛ إذ المعنى أنّه عبد لله ومطيعٌ للرسول . ولأنّنا نعلم أنّ العبوديّة لله هي عبوديّة تكوينيّة ناشئة من خالقيّته تعالى ، أمّا العبوديّة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فهي عبوديّة تشريعيّة ناشئة من الأمر الإلهي القاضي بطاعة الرسول ونعته بالمُطاع ، فبين المعنيين فرقٌ كبير و بون شاسع. (٦٥١)

ثانيـاً: لقد ورد استعمال لفظة (عبد) عند العرب بمعنى الخادم كما في شعر حاتم الطائي أو المقنّع الكندي الذي يقول فيه :

وإنّي لعبد الضيف ما دام نازلاً ***** ولا شيمة لي غيرها تشبه العبدا

ولذا فكلمة (عبد) استعملت بمعنى المملوك أو المطيع أو الخادم، في العديد من النصوص الروائية، نذكر منها الآتي:

۞ روي من كلمات لقمان لابنه : « يا بني كن عبداً للأخيار ». (٦٥٢)

۞قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : « من علمني حرفاً ، فقد صيرني عبداً ».(٦٥٣)

۞ روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « من تعلمت منه حرفاً ، صرت له عبداً ».(٦٥٤)

۞روي أن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: « الناس عبيد لنا في الطاعة، موال لنا في الدين ». (٦٥٥)

ثالثـاً: أن قولكم بأن كل من ينسب في اسمه العبودية لغير الله فهو مشرك، سوف يستلزم منه وقوع بعض الصحابة في الشرك لأن بعضهم يحمل هكذا اسماء، ونذكر من ذلك على سبيل المثال بعض من ذكرهم صاحب الإصابة، ولا يستطيع الوهابية من إثبات أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد غيّر أسماءهم . .نذكر منها خمسة عشر اسماً وهي : عبد رضا (أبو مكنف)، وعبد شمس بن الحرث بن كثير بن جشم، وعبد شمس بن عفيف بن زهير، وعبد عمرو بن عبد جبل الكلبي، وعبد عمرو بن نضلة الخزاعي، وعبد عمرو بن يزيد بن عامر الجريشي، وعبد عوف بن الحرث بن عوف الأهمسي، وعبد قيس بن لاي بن عاصم، وعبد المطلب بن ربيعة بن الحرث،

وعبد يزيد بن هاشم بن المطلب، وعبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي، وعبد الجد بن عبد العزيز الأزدي، وعبد الحجر بن سراقة، وعبد خير بن يزيد، وعبد القيس اليمامي الحنفي.[٦٥٦]

المطلب السابع: شبهة أن زيارة القبور والتوسل بهم شرك!!

وهي من أبرز الشبهات التي يرددها الوهابية وهي أن زيارة القبول والتوسل بأولياء الله الصالحين شرك، حيث يرى إبن تيمية أن التوسل بدعاء النبي والصلحاء بعد الموت هو شرك بالله.[٦٥٧]

ونردّ على الشبهة بالنقاط الآتية:

أولاً: ما يتعلق بمشروعية زيارة القبور، فإن علماء الإسلام أفتوا بجواز و مشروعية زيارة القبور. خاصة قبور الصالحين. إستناداً إلى عدد من الآيات القرآنية و الأحاديث الشريفة ، بل أنهم أفتوا باستحبابها و أفضليتها ...

أما الدليل من القرآن الكريم فنكتفي ما نزل بحق أهل الكهف:﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾[٦٥٨]، قال الرازي في تفسير الآية: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾، نعبد الله فيه ونستبقي آثار أصحاب الكهف بسبب ذلك المسجد.[٦٥٩]

و أما الدليل من الأحاديث فالأحاديث كثيرة منها:

۞عن عائشة : « إنَّ رسول الله رَخَّصَ في زِيارَةِ الْقُبُورِ ».[٦٦٠]

۞ عن عائشة أيضاً : « أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: « فأَمَرَني رَبِّي أنْ آتي الْبَقيعَ فَأسْتَغْفِرْ لَهُمْ «، قلت : كيْفَ أقُولُ يا رَسُولَ الله؟، قالَ : قُولي: « السَّلامُ عَلى أهْلِ الدِّيارِ مِنَ الْمُؤمِنينَ وَ الْمُسْلِمينَ، يَرْحَمُ الله الْمُسْتَقْدِمينَ مِنّا وَ الْمُسْتأخِرينَ، وَ إنّا إنْ شاء الله بِكُمْ لاحِقُونَ ».[٦٦١]

۞وَ رَوى مسلم في صحيحه: « زارَ النَّبِيُّ قَبْرَ أُمِّه ، فَبَكى وَ أَبْكى مَنْ حَوْلَهُ ... وَ قالَ : « اسْتَأذَنْتُ رَبِّي في أنْ أزُورَ قَبْرَها ، فأَذِنَ لي، فَزُوروا الْقُبُورَ فَإنَّها تُذَكِّرُكُمْ الْمَوْت ».[٦٦٢]

۞روي كانَ رَسُولُ الله يُعَلِّمُهُم. إذا خَرَجُوا إلى الْمَقابِرِ. فَكان قائِلُهُمْ يَقُولُ : السَّلامُ

عَلى أهْلِ الدِّيارِ. أو. السَّلامُ عَلَيْكُمْ أهْلَ الدَّيارِ مِنَ المؤمنينَ وَ الْمُسْلِمينَ، وَ إنّا إنْ شاء اللّه للاحِقُونَ، أسْألُ اللّه لَنا وَ لَكُمُ الْعافيَة. (٦٦٣)

ثانيـاً: وأما ما يتعلّق بالتوسل بالصالحين فان المؤمن الموحّد هو المطيع لأوامر الله بشكل مطلق، ومن أوامره أنه أراد منّا اتخاذ الوسيلة إليه والتوجه إليه بهم وتقديمهم بين يدي دعائهم وأعمالهم، قال تعالى:﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾(٦٦٤) فالأنبياء والأوصياء وعلى رأسهم محمد وآله هم أفضل وسيلة مشروعة، قال تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (٦٦٥)

(وبذلك يكون الحد الفاصل بين الشرك والتوحيد في نوع الواسطة لا في أصلها، فالواسطة التي أذن بها الله الواحد الأحد سبحانه لا تنافي التوحيد بل تؤكده.. والواسطة التي لم يأذن بها شرك يخرج صاحبه عن التوحيد.

والله تعالى يستحيل أن يأذن باتخاذ وسيلة إليه ممن يزعم أن له شراكة معه! ولذا لا يدّعي المتوسلون بالرسل والأوصياء أن لهم شراكة مع الله تعالى ولو بقدر ذرة! بل هم عباد مكرمون، شاء الله تعالى أن يجعلهم وسائط لعطائه)(٦٦٦)

ولفهم المطلب أكثر ننصح بمراجعة المحاضرة المعنونة بـ(التوسل بالرسول وآله) في الجزء الثالث من كتاب(زاد المبلغات).

ومن أولياء الله الصالحين الذين يستحب زيارتهم هو صاحب الذكرى أبو جعفر محمد بن علي الهادي، المعروف (بسبع الدُجَيل) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ورُوي إن سبب إطلاق هذا اللقب عليه: إن قبره الشريف كان مكاناً خالياً من الناس وقراهم وهو يبعد عن بلد بـ(خمسة كيلومترات)، وعن ضفاف نهر دجلة بـ(أربعة كيلو مترات)، ومن المعلوم إن مثل هذه المناطق الخالية تكون مرتعاً لِلّصوص وقطاع الطرق فكان الزائرون لمرقده الشريف يشاهدون سبعاً ـ أسداً - ضارياً يجوب الأرض حول القبر وهو لا يدع أحداً من اللصوص يصل إلى زوّاره بسوء حتى قال الشاعر في ذلك:

ينامُ قريراً عندكَ الوفدُ إنـــه *** يُهابُ فلا يدنو إلى ضيفِكَ اللـــصُّ

لعمركَ قد خافوكَ حياً وميتاً *** وهلْ قبلَ هذا خِيفَ في رمسهِ شخصُ

يقول الشيخ عباس القمي في كتابه (منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل) يصف هذا المزار الشريف: (مزار مشهور هناك مطاف للفريقين وتُجبى إليه النذور والهدايا وله ما لا يُحصى كثرة من الكرامات وخوارق العادات).[٦٦٧]

(نُقِلت عنه كرامات كثيرة. ينقل العلاّمة السيّد ميرزا هادي الخراساني عن السيد حسن آل خوجه عن أحد خُدّام حرم العسكريين بسامراء: كنت جالساً في صحن عتبة أبي جعفر السيد محمّد المقدّسة، فإذا بعربيّ قد أقبل ويده مربوطة إلى عنقه. فدنَوت منه وسألته عن أمره، فقال لي دخلت بيت أختي السنة الماضية، فوجدت فيه شاة مربوطة فعمدت أن أذبح الشاة لآكل منها، فنهتني أختي من ذلك وقالت: إنها نذرت الشاة لصاحب المقام. لكنني لم اعتنِ بقولها وذبحت الشاة. ثم ظهرت علامات الشلل في يدي حتى علمت أنّ ذلك إنما كان لأمر الشاة. وأنا الآن نادم على فعلي قاصد صاحب هذا المقام. ثم دخل الحرم مع رفاقه وبدأ يبكي ويصرخ، فما مضت ساعة حتى رأيته يحرك يده. فوقع ساجداً ونذر نذرا بتقديم قربان للمقام في كلّ سنة).[٦٦٨]

وأما سبب وفاته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيروى أنه لما خرج الإمام علي الهادي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من المدينة المنورة إلى سامراء ترك أبنه محمدًا في المدينة المنورة وهو طفل، وفي سنة ٢٥٢ هـ قصد محمد الحجّ ثمّ التحق من مكة المكرمة بأبيه ومكث عنده في سامراء مدّة، ثمّ مرض مرضاً شديداً واشتدَّت به العلّة في رجوعه إلى المدينة في مدينة بلد على مقربة من سامراء وتُوفي في ٢٨ أو ٢٩ من جمادى الآخرة سنة ٢٥٢ هـ وعمره يناهز الرابعة والعشرين[٦٦٩]. ولا يعلم سبب مرضه، وقيل قد سُقي سُماً من العباسيين الذين حاصروا أباه وهم يظنّون كغيرهم أنّ ابنه محمدًا هو الإمام من بعده أو أنّ ما مُني به كان مرضاً مفاجئاً، وذكر بعضهم الإحتمال الأول.[٦٧٠]

لقد حزن الإمام العسكري عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على شهادة أخيه السيد محمد لدرجة انه شقّ جيبه فأشكل عليه ابن عون فردّ عليه أبو محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : (يا أحمق وما يدريك ما هذا؟ قد شق موسى بن عمران على هارون).[٦٧١]

وكأن لسان حاله يقول لهم: كيف تشّكلون عليّ الجزع، فهذا أخي وعضيدي ..وأخذ يبكي على فراق أخيه وصارت ضجة في سامراء ونصبوا المآتم لفقده عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

غمض عيونه ومات بديارٍ غريبة ... الحسن يبچي بصرخته وعالي نحيبه
أهوى عليه يصيح ودموعه سچيبه ... شلون الحبيب يروح ويفارق حبيبه
شالوا نعش سبع الدجيل وصار الصياح ... والعسكري ينادي عضيدي والأخو راح
وأما علي الهادي يصك الراح بالراح ... ينادي قضى الله ولازم نسلم له أمره

قال السيّد أحمد الهندي في رثاء السيد محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

فلمّا قضى وارتجّتِ الأرضُ بالأسى ... عليه، وبات الرُّزْءُ يُمسي ويُصبحُ
بكاه أخوه العسكريُّ كآبةً ... بدمعٍ له غُرُّ الملائك تمسحُ
فقيدٌ كساه حادثُ الموتِ رَونقاً ... كشمس السَّنا عند الأصائل تَجنحُ
وشِيل إلى المثوى يُشيّعه الهدى ... بحيث له الأملاك باكونَ نُوَّحُ

الهوامش

(١) الأحزاب/٣٩.
(٢) التبليغ الديني مفهومه مضمونه أساليبه-مركز المعارف للتأليف- ص١١-١٢.
(٣) الكافي- الشيخ الكليني - ج١- ص٢٣.
(٤) مجلة الإصلاح الحسيني/ warithanbia.com/ أعداد المجلة/ العدد الثالث والعشرون/ مقالات العدد/ دور التبليغ في بناء المجتمع الفاضل-بقلم م.دعاء فاضل الربيعي.
(٥) شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد - ج ٧ - الصفحة ١٨٣.
(٦) الكافي - الشيخ الكليني -ج ٥- ص ٥١٠.
(٧) نظام الأسرة في الإسلام-باقر شريف القرشي-ص١٨-بتصرف.
(٨) موقع الدكتور جاسم المطوع/ drjasem.com/ مقالات/ فهم الرجل والمرأة/ بهذه الطريقة فقط ينجح زواجك من الموظفة-بتصرف.
(٩) إسلام أون لاين/ islamonline.net / فكر / مقالات ربة البيت هي أعظم امرأة عاملة-بقلم فوزي شداد.
(١٠) سنن سعيد بن منصور - رقم الحديث : ٤٧٥.
(١١) النساء/ ٣٢.
(١٢) الطلاق / ٦.
(١٣) أوضاع المرأة المسلمة ودورها الاجتماعي من منظور إسلامي - الشيخ حسن الجواهري –ص٥٣-٥٥.
(١٤) أسد الغابة - ابن الأثير - ج ٥ - الصفحة ٤٦١.
(١٥) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٧ - ص٢٣٦.
(١٦) مسند أحمد بن حنبل- ج٣- ص ٣٢١.
(١٧) موقع منير الخباز/ almoneer.org/ الحوارات والندوات/المرأة بين عملين: خيارات الذات و الضرورة.
(١٨) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/sistani.org/الاستفتاءات » طاعة الوالدين- سؤال رقم(٣).
(١٩) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٣ - ص ٣٩٠.
(٢٠)دعائم الإسلام-القاضي النعمان- ج٢- ص٢١٤.
(٢١) وسائل الشيعة-الحر العاملي- ج ٢٠ -ص١٧٢.
(٢٢) الكافي - الشيخ الكليني -ج ٥- ص ٥١٠.
(٢٣) صحيح البخاري - المناقب - مناقب الحسن والحسين - رقم الحديث : (٣٤٧٠).
(٢٤) موقع المجيب/ almojib.com / مؤسسة المصطفى للإرشاد/شرح هذا الحديث-بتصرّف.
(٢٥) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٥ - ص ٨٨.
(٢٦) الأحزاب/٥٣.
(٢٧)مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية / islam٤u.com / شبهات و ردود/ ما هو رأي الشريعة الإسلامية في عمل المرأة ؟- السيد جعفر مرتضى العاملي-بتصرف.
(٢٨) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٦ - ص ١٢٢.
(٢٩) البقرة/٢٢٨.
(٣٠) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - ص ١٢١٢.
(٣١) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج ١٥-ص ٢٣ ، باب٤، أبواب الجهاد، ح٢.

(٣٢) حوزة الهدى للدراسات الإسلامية/ alhodacenter.com/ المقالات/شؤون المرأة/ معنى(حُسن التبعل)-الشيخ محمد صنقور.
(٣٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - ص ١١٨٤.
(٣٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - ص١٣٤.
(٣٥)جواهر الأدب- أحمد الهاشمي -ج٢-ص٢٤٩.
(٣٦) مكارم الأخلاق - الشيخ الطبرسي - ص ٢٢٢.
(٣٧) مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج ١٥ - ص ١٦٤.
(٣٨) مسند أحمد – أحمد بن حنبل-ج١- ص١٥٣.
(٣٩) وسائل الشيعة-الحر العاملي- ج٢٠-ص١٧٢.
(٤٠) المنافقون/٨
(٤١) موقع منير الخباز/ almoneer.org/ الحوارات والندوات/المرأة بين عملين: خيارات الذات و الضرورة-بتصرف.
(٤٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص٤٩٢.
(٤٣) الحجرات/١٣.
(٤٤) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٠ - ص١٧١.
(٤٥) زاد المبلغات-مياسة شبع-ج٢- المحاضرة الثالثة(هل الحجاب يتعارض مع العدل؟).
(٤٦) مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية / islam٤u.com / شبهات و ردود/ ما هو راي الشريعة الاسلامية في عمل المرأة ؟- السيد جعفر مرتضى العاملي-بتصرف.
(٤٧) موقع النجاح/ annajah.net/ المال والأعمال/ التدريب على الأعمال/ ضغط العمل وآثاره-بتصرف.
(٤٨) إسلام أون لاين/ islamonline.net / فكر / مقالات ربة البيت هي أعظم امرأة عاملة- بقلم فوزي شداد-بتصرف.
(٤٩) من كلام الشيخ فاضل الصفار المطروح في إحدى محاضراته—بتصرف.
(٥٠) الرّوم /٢١.
(٥١) موقع بلاغ/balagh.com / تحت المجهر/ المرأة أمام خيارين: البيت أم الوظيفة؟- ثناء عبدالعظيم.
(٥٢) موقع الدكتور جاسم المطوع/ drjasem.com/ مقالات/ فهم الرجل والمرأة/ بهذه الطريقة فقط ينجح زواجك من الموظفة-بتصرف.
(٥٣) موقع مَغرس/ maghress.com / الأخبار الاجتماعية/ المرأة بين مسؤولية البيت و عبء العمل-دغوغي عمر-بتصرف.
(٥٤) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢١٩٠.
(٥٥) الذاريات/٥٦.
(٥٦) الجمعة/٢.
(٥٧) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - الصفحة ٢٧٤٦.
(٥٨) الخصائص الزينبية- السيد الجزائري - ص ٦٨ . وكتاب رياحين الشريعة- المحلاّتي- ج ٣ -ص ٥٧ .
(٥٩) الأحزاب/٣٩.
(٦٠) زينب الكبرى-ص١٦-١٧.
(٦١) ديوان الحويزي ج٢، ص٦٧.
(٦٢) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام-الشيخ الهنداوي-ض٦٧-٦٨.
(٦٣) غرر الحكم: ٦١٢٢، ١٥١١.
(٦٤) الكافي- الشيخ الكليني- ج ٢- ص ٧٩.

(٦٥) ميزان الحكمة-الريشهري- ج٣ -ص٢٠٠٩.
(٦٦) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٠٠٨.
(٦٧) صحيفة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، جمع الشيخ جواد القيومي، ص ١٨.
(٦٨) مواعظ قرانية -مركز نون للتاليف والترجمة -ص١٠-١٤-بتصرف.
(٦٩) الأحزاب/٣٣.
(٧٠) راجع محاضرة (فاطمة سيدة نساء العالمين)، ومحاضرة (فاطمة ع الجلال والجمال) في هذا الكتاب.
(٧١) الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ٥٧٥.
(٧٢) فرائد السمطين-إبراهيم الجويني-ج ٢-ص ٦٨.
(٧٣) آل عمران/٣١.
(٧٤) مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث/ aletra.org / الفقه/ إستفتاءات وأجوبة/ الأدلة الشرعية على وجوب الحجاب-بتصرف.
(٧٥) مركز الرصد العقائدي/ alrasd.net / الأسئلة والأجوبة/ تراث اسلامي/ سبب لبس النقاب او البوشية للنساء هو اقتداء بالسيدة الزهراء (ع) و لكن هل هناك دلائل على أن السيدة الزهراء او أن نساء أهل البيت (ع) كانوا يرتدون النقاب او الخمار ؟و هل صوت المرأة عورة ؟
(٧٦) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ١ - ص ١٣٢.
(٧٧) الأحزاب/٥٣.
(٧٨) مضمون الحديث مستنتج من الرواية المذكورة في كشف الغمة: ٩٢/٢- المناقب لابن شهر آشوب: ١١٩/٣-حلية الأولياء لأبي نعيم: ٤٠/٢-٤١.
(٧٩) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - ص ٨٤.
(٨٠) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org/ الاستفتاءات / الاختلاط بين الجنسين-بتصرف.
(٨١) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/ فاطمة الزهراء (عليها السلام)/الجمع بين قولها(عليها السلام): (خير للمرأة أن لا ترى رجلاً) وخطبتها في المسجد-بتصرف.
(٨٢) موقع مكتب السيد السيستاني/ sistani.org / الإستفتاءات/ المرأة - صوت المرأة-سؤال رقم(١).
(٨٣) الأحزاب/٣٢.
(٨٤) دلائل الامامة - محمد بن جرير الطبري (الشيعي) - ص ١٠٦.
(٨٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - ص ٥٤.
(٨٦) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٣ - ص ٣٩٠.
(٨٧) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ١٩٢.
(٨٨) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/ فاطمة الزهراء (عليها السلام)/الجمع بين قولها(عليها السلام): (خير للمرأة أن لا ترى رجلاً) وخطبتها في المسجد-بتصرف.
(٨٩) الأحزاب/ ٥٣.
(٩٠) الأحزاب/٣٣.
(٩١) مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج ١٤ - ص٢٨٩.
(٩٢) النور/٣٠.
(٩٣) المباني في شرح العروة الوثقى-السيد الخوئي- ج٢-النكاح-مسألة ٣٨-ص٧٩.
(٩٤) النور/٣٠.

(٩٥) منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ٣ - ص١٢.
(٩٦) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٢ - ص ٢٤٤.
(٩٧) الأحزاب/٥٣.
(٩٨) وسائل الشيعة (آل البيت) -الحر العاملي- ج ٢٠ ص ٢٢٠-٢٢٢.
(٩٩) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org / الاستفتاءات/ العطور-سؤال رقم(١).
(١٠٠) يوسف/٩٤.
(١٠١) الأمالي- الشيخ الصدوق-ص ٢٧٢ - ٢٧٣.
(١٠٢) زينب الكبرى-الشيخ جعفر النقدي —ج١-ص ٢٢.
(١٠٣) المجيب/ almojib.com/ مؤسسة المصطفى للإرشاد/أسئلة/ قال سليم قلت ياسلمان) (هل هذا من الأحاديث)-بتصرف.
(١٠٤) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/ علم المعصوم/ علم الإمام بالطعام المسموم-بتصرّف.
(١٠٥) النساء/٩٧.
(١٠٦) البقرة/١٢٠.
(١٠٧) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٣ - ص٢٢١.
(١٠٨) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - ص ٦٥.
(١٠٩) الحديد/١٢.
(١١٠) السيدة سكينة ابنة الإمام الشهيد أبي عبدالله الحسين S-السيد عبد الرزاق المقرّم- ج١-ص ١٥٢.
(١١١) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٤٣ -ص ١٦.
(١١٢) شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي - ج ١٠ - ص ٢٤٤.
(١١٣) وفاة الصديقة الزهراء، عبد الرزاق المقرم. وفاة فاطمة عليها السلام للبلادي.
(١١٤) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام-الشيخ الهنداوي-ص٦٨-٧١-بتصرف.
(١١٥) رياض المدح والرثاء - ص٢٨٠.
(١١٦) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام-الشيخ الهنداوي-ص٤٥-٤٦.
(١١٧) الأنفال/٢٥.
(١١٨) تفسير المنار-محمد رشيد -ج ٩- ص ٦٣٨.
(١١٩) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٥ - ص٣٩٧-٣٩٨.
(١٢٠) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٧ - ص ٩٣.
(١٢١) مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية/ islam٤u.com / الرئيسية » شبهات و ردود » إذا كانت فاطمة قد ظلمت من قبل الخلفاء فلماذا لم يدافع عنها علي بن ابي طالب؟-بقلم الشيخ جعفر سبحاني.
(١٢٢) مركز الأبحاث العقائدية/aqaed.com/الأسئلة العقائدية/فاطمة الزهراء (عليها السلام)/ هل كان علي (عليه السلام) في البيت عند هجوم القوم؟
(١٢٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٨ - ص ٢٠٤.
(١٢٤) مختصر مفيد . . (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة) - السيد جعفر مرتضى العاملي - « المجموعة التاسعة » - السؤال (٤٩٧) .
(١٢٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٨ - ص ٢٠٥.
(١٢٦) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٨ - ص ٢٠٤.
(١٢٧) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٨ - ص ٣٥٦.
(١٢٨) جواهر التاريخ - الشيخ علي الكوراني العاملي - ج ١ - ص١٢١.

(١٢٩) العقائد الإسلامية/ research.rafed.net/ عقائد الشيعة/ فاطمة الزهراء P/ عشرة مواقف لفاطمة الزهراء عليها السلام يكفي الواحد منها لمن كان له قلب !- للشيخ علي الكوراني العاملي.
(١٣٠) لمعرفة مصادر هذه الظلامات راجع المحاضرة المعنونة بـ(فاطمة والتمهيد للظهور) في الجزء الخامس لكتاب(زاد المبلغات).
(١٣١) مختصر مفيد . . (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة) - السيد جعفر مرتضى العاملي - « المجموعة التاسعة » - السؤال (٤٩٧) –بتصرف.
(١٣٢) كتاب سليم بن قيس - تحقيق محمد باقر الأنصاري - ص ١٥٠ - ١٥١ .
(١٣٣) خلفيات كتاب مأساة الزهراء (عليها السلام) - السيد جعفر العاملي - (ج٢ ص ٥٣-٥٦)-بتصرف.
(١٣٤) مختصر مفيد .. (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، السيد جعفر مرتضى العاملي، «المجموعة التاسعة»، السؤال (٤٩٣).
(١٣٥) الأنفال/٤٢.
(١٣٦) مركز الأبحاث العقائدية/aqaed.com/الأسئلة العقائدية/فاطمة الزهراء (عليها السلام)/ هل كان علي (عليه السلام) في البيت عند هجوم القوم؟-بتصرف.
(١٣٧) محمد/٧.
(١٣٨) الأنفال/٦٠.
(١٣٩) عيون أخبار الرضا (ع) - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ٨٧.
(١٤٠) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١ - ص ٢٠٢.
(١٤١) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٢٨ -ص ٣٤١.
(١٤٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ١ - ص٣١.
(١٤٣) نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ١ - ص ٦٧.
(١٤٤) الإمامة والسياسة –ابن قتيبة-ص ١٣٠ ، والنهج- ج ٣ -ص ٥.
(١٤٥) الهجوم على بيت فاطمة (ع) - عبد الزهراء مهدي- ص ٤٦٤-بتصرف.
(١٤٦) خصائص الأئمة (عليهم السلام): ٧٣، عنه الطرف ص ٢٦ ـ ٢٧، عنه بحار الأنوار: ٢٢ / ٤٨٣. وراجع الصراط المستقيم: ٢ / ٩٢.
(١٤٧) شرح الذهبي في البلاغة – التستري- ج ٤ -ص ٥١٩.
(١٤٨) الغدير-الأميني-ج ٧ -ص ١٧٣ ،وكنوز الدقائق- المناوي -ص ١٨٨.
(١٤٩) الخصال - الشيخ الصدوق - ص٤٦٢.
(١٥٠) نقلا من كتاب مناظرات المستبصرين-عبد الله حسن- ص٥٠٨.
(١٥١) مركز الأبحاث العقائدية/aqaed.com/الأسئلة العقائدية/فاطمة الزهراء (عليها السلام)/لماذا لم يستخدم الإمام الحسين (عليه السلام) المعجزات.
(١٥٢) الهجوم على بيت فاطمة (ع) - عبد الزهراء مهدي-ص٤٨٦.
(١٥٣) م. ن -ص٤٦٧.
(١٥٤) جامع السعادات - النراقي - ج ١ ص ٢٥٨.
(١٥٥) الخصال - الشيخ الصدوق - ص ١٠٥.
(١٥٦) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٨ - ص ٢٩.
(١٥٧) م.ن.
(١٥٨) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٧٢٢.
(١٥٩) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٧٢١.
(١٦٠) الكهف/٧١.
(١٦١) الكهف/٧٩.

(١٦٢) الحج/١١.
(١٦٣) طه/٩٤.
(١٦٤) تفسير الأمثل - مكارم الشيرزي - مجلد ١٠ -ص ٦١-٦٢.
(١٦٥) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٢٨ -ص ٢٥٤ -٢٥٥.
(١٦٦) ليالي بيشاور-محمد الموسوي الشيرازي-ص٩٩٩.
(١٦٧) مسند فاطمة الزهراء (عليها السلام): ٢١ -٢٢. وراجع الصراط المستقيم: ٣ / ١١٩ عن الخوارزمي.
١٦٨ () الحجرات/٩.
(١٦٨) البقرة/١٩٣.
(١٧٠) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٢ - ص ٤٧.
(١٧١) تاريخ الطبري : ٢ / ٤٤٩.
(١٧٢) الأجوبة الهادية إلى سواء السبيل -عبدالله الحسيني -ج ١-ص٣٩-بتصرف.
(١٧٣) وفاة الصديقة- عبد الرزاق المقرم-ص٦١-بتصرف.
(١٧٤) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام-الشيخ الهنداوي-ص٤٧-٤٩.
(١٧٥) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام-الشيخ الهنداوي-ص٩٥-٩٦.
(١٧٦) البحار : ٥٣ | ١٧٩ و ١٨٠ ، غيبة الطومي : ١٧٢ ، الاحتجاج : ٢ | ٢٧٧ ، الزام المناصب : ١ | ٤٣٩.
(١٧٧)السيدة فاطمة الزهراء ع قدوة وأسوة – مركز المعارف للتأليف والتحقيق-ص٢٠.
(١٧٨) مواعظ قرانية، سلسلة الدروس الثقافية، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية-ص١٠٧-بتصرف.
(١٧٩) الأنعام/٩٠.
(١٨٠) السيدة فاطمة الزهراء ع قدوة وأسوة – مركز المعارف للتأليف والتحقيق-ص١٨.
(١٨١) البحار : ٥٣ | ١٧٩ و ١٨٠ ، غيبة الطومي : ١٧٢ ، الاحتجاج : ٢ | ٢٧٧ ، إلزام المناصب : ١ | ٤٣٩.
(١٨٢) الأسرار الفاطمية - الشيخ محمد فاضل المسعودي - ص١٠٠.
(١٨٣) الجن/١٦.
(١٨٤) تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي - ج ٥ - ص ٤٣٨.
(١٨٥) طه/ ١٢٣-١٢٤.
(١٨٦) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٥ - ص ١٥٥.
(١٨٧) كتاب زاد المبلغات-مياسة شبع-ج٤-المحاضرة الثالثة(فاطمة وليلة القدر) المبحث الثاني-الرأي الثاني. الذي ملخصه :لولا وجود فاطمة ع لما وجد المعصومين ومنهم الإمام المهدي عليه السلام .
(١٨٨) الأنفال/٢٩.
(١٨٩) الأحزاب/٣٣.
(١٩٠) السيد المرتضى، الشافي في الإمامة، ١٤١٠هـ، ج ٤، ص ٩٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١٤٠٣هـ، ج ٢٩، ص ٣٣٥.
(١٩١) مسلم النيشابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ج ٤، ص ١٨٨٣، ح ٦١؛ الترمذي، سنن الترمذي، ١٣٩٥هـ، ج ٥، ص ٣٥١، ح ٣٢٠٥ و ص ٣٥٢، ح ٣٢٠٦ و ص ٦٦٣، ح ٣٧٨٧؛ ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ١٤٢١هـ، ج ٢٨، ص ١٩٥، ج ٤٤، ص ١١٨-١٢١. وذكر السيد هاشم البحراني في غاية المرام ٤١ رواية عن أهل السنة في هذا الصدد: البحراني، غاية المرام، ١٤٢٢هـ، ج ٣، ص ١٧٣-١٩٢.
(١٩٢) البحراني، غاية المرام، ١٤٢٢هـ، ج ٣، ص ١٩٣؛ الطباطبائي، الميزان، ١٣٩٠هـ، ج ١٦،

ص ٣١١.
(١٩٣) الكوفي، تفسير فرات الكوفي، ١٤١٠هـ، ص ٣٣٨ و ٣٣٩؛ الطباطبائي، الميزان، ١٣٩٠هـ، ج ١٦، ص ٣١٨ و ٣١٩؛ الطبراني، المعجم الكبير، ١٤١٥هـ، ج ٢٢، ص ٤٠٢.
(١٩٤) التفسير الكبير-الفخر الرازي-ج ٨- ص ٢٤٧.
(١٩٥) الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي - ج١٦- ص ٣١٢.
(١٩٦) الأمالي -الشيخ الصدوق- ص ١٦٥.
(١٩٧) الثغور الباسمة- السيوطي - ص ٦٧.
(١٩٨) الشافي في الإمامة-السيد المرتضى -ج ٤، ص٩٥. و شرح نهج البلاغة- ابن أبي الحديدي- ج١٦، ص٢٧٣.
(١٩٩) فتح الباري في شرح صحيح البخاري:٨٤/٧، وأيضاً صحيح البخاري:٤/ ٢١٠.
(٢٠٠) بحث في معرفة الإمام وعصمته-جعفر سبحاني- ص٢٧.
(٢٠١) المستدرك ، الإصابة ، كنز العمال عن أبي يعلى والطبراني و أبي نعيم
(٢٠٢) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق
(٢٠٣) سيدة النساء فاطمة الزهراء ص٨٩
(٢٠٤) الحجّة الغرّاء على شهادة الزهراء عليها السلام - الشيخ جعفر سبحاني- ج١-ص ١٧.
(٢٠٥) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/ فاطمة الزهراء (عليها السلام)/ مظالم الزهراء (عليها السلام) من المسلمات العقائدية-بتصرّف.
(٢٠٦) المصادر عديدة وننصح بمراجعة كتاب الغدير للعلامة الأميني، ومأساة الزهراء «عليها السلام» شبهات وردود.
(٢٠٧) فرائد السمطين : ٣٤/٢ . والأمالي للصدّوق : ٩٩ . و إرشاد القلوب للديملي : ٢٩٥ . وإثبات الهداة : ٢٨٠/١ . وبشارة المصطفى : ١٩٧ .
(٢٠٨) الأمالي للصدوق : ص ١٠١/٩٩ و ١١٨ . وإثبات الهداة : ج ١ ص ٢٨٠ /٢٨١ . وإرشاد القلوب للديملي : ص ٢٩٥ . وبشارة المصطفى : ١٩٧ - ٢٠٠ . والفضائل لابن شاذان : ١١/٨ . وغاية المرام : ٤٨ .
(٢٠٩) أمالي الشيخ الصدوق ص١٩٧. والاختصاص للشيخ المفيد ص ١٨٥. والهداية الكبرى-ص٤٠٧. وبحار الأنوار ج٩٥/ص٣٥٤.
(٢١٠) الإمامة والسياسة ١/ ٣٠ . والمختصر في أخبار البشر ١٥٦/١. وجرير الطبري في تاريخه ١٩٨/٣. و الشهرستاني في الملل والنحل : ١ / ٥٦ .
(٢١١) صحيح البخاري : ٥ / ١٧٧ كتاب فضائل أصحاب النبي . باب غزوة خيبر .وصحيح مسلم : ٣ / ١٣٨١ كتاب الجهاد والسير باب (١٦) باب قول النبي : لا نورث ح٥٤ .والصواعق المحرقة : ٣١ .والدر المنثور : ٤ / ١٧٧ .
(٢١٢) وهناك مصادر مذكورة في كتاب بيت الأحزان - الشيخ عباس القمي - الصفحة ١٦٥. وغيرها من الكتب المختصة بظلامات فاطمة عليها السلام.
ننصح بمراجعة كتاب: جواهر التاريخ للشيخ علي الكوراني العاملي، الجزء الأول صفحة ١٢٨، وما بعدها لمعرفة الأحاديث الموضوعة.
(٢١٣) صحيح البخاري : باب غزوة خيبر ، صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير
(٢١٤) الأحزاب/ ٥٧
(٢١٥) البقرة/ ١٢٤
(٢١٦) البقرة/ ١٢٤
(٢١٧) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/ فاطمة الزهراء (عليها السلام)/ قضيتها (عليها السلام) من أساسيات المذهب.
(٢١٨) نوائب الدهور : ٣ | ١٩٤ ، الهداية الكبرى : ٤١٧.

(٢١٩) الجن/١٦.
(٢٢٠) لقد شرحنا ذلك في المحاضرة المعنونة بـ(فاطمة وليلة القدر) في الرأي الثاني من المبحث الثاني من كتاب (زاد المبلغات) الجزء الرابع للباحثة مياسة شبع.
(٢٢١) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/ فاطمة الزهراء (عليها السلام)/ بكاءها (عليها السلام) على أبيها (صلى الله عليه وآله)-بتصرف.
(٢٢٢) إلا في حالات استثنائية.
(٢٢٣) أخلاق أهل البيت- محمد مهدي الصدر - ص ١٠١.
(٢٢٤) جامع السعادات-النراقي- ج ٢- ص ٤٣٨.
(٢٢٥) الكافي/ج٢،باب الصبر،ص٨٧.
(٢٢٦) تفسير العياشي : ٢ | ٦٦ ح ٧٦
(٢٢٧) جواهر التاريخ - الشيخ علي الكوراني العاملي - ج ١ - ص١٢٧.
(٢٢٨) الغيبة للنعماني، ٢٢١.
(٢٢٩) الغيبة-النعماني- ص٢١٥ ب١٢ ح١٣.
(٢٣٠) تفسير العياشي : ٢ | ٦٦ ح ٧٦
(٢٣١) الاختصاص-الشيخ المفيد-ص١٨٣.
(٢٣٢) الغيبة للنعماني-ص ٢٠٠ / ١٦.
(٢٣٣) فصلت/٣٣.
(٢٣٤) إن تفسير قوله تعالى(إنني من المسلمين) أما بمعنى الذي عنده الاعتقاد الراسخ بالإسلام، أو بمعنى الذي يفتخر ويتباهى بالدين الإلهي، وينادي بصوت مرتفع إنني من المسلمين.(الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٥ - الصفحة ٤٠٨).
(٢٣٥) التوبة/٧١.
(٢٣٦) المجلسي ، بحار الأنوار ،مصدر سابق، ج٢، ص ٣.
(٢٣٧) الحجّة الغرّاء على شهادة الزهراء عليها السلام -جعفر سبحاني-ص ٧٧.
(٢٣٨) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٦ - ص ٣٣٧.
(٢٣٩)شرح رسالة الحقوق - الإمام زين العابدين (ع) - ص ٦٣٢.
(٢٤٠) ورقة مقدمة الى مؤتمر «السيدة الزهراء رسالة وقدوة» الذي يعقده مكتب شؤون المرأة المركزي في حركة أمل، يوم السبت في ٢٠١٢/٥/٢٦ بعنوان: خطبة الزهراء: قراءة ودلالات سياسية-بتصرف.
(٢٤١) البحار ج٢ ص٢ ح١
(٢٤٢) نفس المصدر السابق.
(٢٤٣) كشف الغمة إلى معرفة الأئمة ٢ / ٩٤.
(٢٤٤) المناقب-ابن شهراشوب- ج ٣ -ص ٣٤١.
(٢٤٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ – ص٨٦.
(٢٤٦) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - الصفحة ١٣٤
(٢٤٧) بحار الأنوار، ج٨، ص١١٢.
(٢٤٨) الأنعام/١٦٢.
(٢٤٩) كمال الدين -الشيخ الصدوق-ص ٣٣٨ / ١١.
(٢٥٠) تفاصيل الرواية في بحار الأنوار –العلامة المجلسي-ج ٤٣ -ص١٧٧.
(٢٥١) مقتبس من كتاب : جواهر التاريخ-ج١-ص ١١٢ -١٦٠.
(٢٥٢) وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام للمقرم. الكوكب الدري للحائري.
(٢٥٣) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام-الشيخ الهنداوي-ص٩٦-٩٨.
(٢٥٤) السَرى: السيّد الشريف السَخي ، الأبسل: الموطن نفسه على الموت .

(٢٥٥) الأسرار الفاطمية - الشيخ محمد فاضل المسعودي - ص ٢٠٧ .
(٢٥٦) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام-الشيخ الهنداوي-ص٥٥.
(٢٥٧) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام-الشيخ الهنداوي-ص٦٠.
(٢٥٨) صحيح الترمذي : ٢ / ٣٠٧.
(٢٥٩) للاطلاع على المصادر التي تبلغ العشرات راجع كتاب الأسرار الفاطمية- - ص٢٠٩.
(٢٦٠) الأسرار الفاطمية-فاضل المسعودي-ص ٢٠٩-٢١٠.
(٢٦١) ق/٢٢.
(٢٦٢) التكاثر/٥-٦.
(٢٦٣) الأنبياء/٢٦-٢٧.
(٢٦٤) الفيومي، المصباح المنير، ج ٢، ص ٢٩٤.
(٢٦٥)آل عمران/ ٣٩.
(٢٦٦) مواهب الرحمن في تفسير القرآن -السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري –ج٥-ص ٢٥٢-بتصرف.
(٢٦٧) بحار الأنوار -العلامة المجلسي - ج ٤٠ - ص ٥٩.
(٢٦٨) مرآة العقول-العلامة المجلسي-ج٣-ص٢٠.
(٢٦٩) المستدرك: ج ٣ ، ص ١٥٦ ، واعترف الذهبي بصحته ، وروى شبهه أحمد في مسنده : ج ٦ ، ص ٢٨٢ ، والبخاري في صحيحه : ج ٤ ، ص ٢٤٨ ، وابن سعد في الطبقات الكبرى : ج ٢ ، ص ٢ ٣٧٣ ط دار إحياء التراث العربي . وللمزيد راجع عوالم سيدة النساء : ص ٩٢ ، ح ١ و ٢ ، ص ٩٣ ، ح ٣ ، ص ٩٥ ، ح ١ ، ص ٩٦ ، ح ١ ، ص ١٠٠ ، ح ١ .
(٢٧٠) بحار الأنوار- المجلسي- ج ٤٣- ص ٤٩.
(٢٧١) روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله). ميزان الحكمة -محمد الريشهري - ج ٣ - الصفحة ٢٧٤٦.
(٢٧٢) مثال ذلك: لو امتحنت مليون امرأة، ولم ينجح منهن إلا اثنين، فكانت درجة الأولى ١٠٠٪، بينما درجة الثانية ٦٠٪، فهل من العقل والعدل أن تُجعل الأولوية لقيادة كل النساء هي الثانية دون الأولى؟
(٢٧٣) آل عمران/٤٢.
(٢٧٤) سنن الترمذي، ومسند أحمد.
(٢٧٥) النحل/٤٣.
(٢٧٦) بحار الأنوار -العلامة المجلسي - ج ١٤ - ص ١٩٣.
(٢٧٧) بحار الأنوار-المجلسي-ج ١٤-ص ٢٠٢.
(٢٧٨) المائدة/٥
(٢٧٩) مريم/٢٨.
(٢٨٠) الأحزاب/٣٣.
(٢٨١) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com / الأسئلة العقائدية/فاطمة الزهراء ع / أفضليتها على مريم بنت عمران-بتصرف.
(٢٨٢) أمالي الصدوق: ٣٩٣ | ح ١٨ ، عنه البحار : ٤٣ | ٢٤ ح ٢٠ | تأويل الآيات : ١ | ١١١ ح ١٧ نور الثقلين : ١ | ٢٨١ ح ١٣٥ . اثبات الهداة: ١ | ٥٣٨ ح ١٦٦ . بشارة المصطفى: ٢١٨ روضة الواعظين ١٨٠ ، غاية المرام ٥٢ ح ٣٢ .
(٢٨٣) الأنعام/٨٦.
(٢٨٤) القلم/٤٨.
(٢٨٥) البقرة/٤٧.

(٢٨٦) آل عمران/١١٠.
(٢٨٧) البقرة/٦١.
(٢٨٨) النساء/١٥٥.
(٢٨٩) البقرة/٢٧٥.
(٢٩٠) وسائل الشيعة (الإسلامية) - الحر العاملي - ج ١٢ - الصفحة ٤٣٦. يذكر سماحة السيد السيستاني (دام ظله) في منهاج الصالحين-الجزء الثاني-كتاب التجارة -الفصل التاسع في الربا-مسألة٢٣٢ ما نصه: لا ربا بين الوالد وولده، ولا بين الرجل وزوجته، فيجوز لكلٍّ منهما أخذ الزيادة من الآخر.
(٢٩١) الأسرار الفاطمية-فاضل المسعودي-ص٢١٧-بتصرف.
(٢٩٢) الحجر/٩
(٢٩٣) آل عمران/١٤٤.
(٢٩٤) موقع الشيعة/ar.al-shia.org/ اسئلة وأجوبة/ الرد على الأسئلة العقائدية/لماذا لم يُذكر أهل البيت (عليهم السلام) في القرآن صراحةً، بتصرّف.
(٢٩٥) الكافي -الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٢٨٦.
(٢٩٦) مركز الابحاث العقائدية/ aqaed.com/الأسئلة العقائدية/الإمامة الخاصّة (إمامة الأئمّة الاثني عشر (عليهم السلام) /لماذا لم يذكر الأئمّة (عليهم السلام) بأسمائهم في القرآن، بتصرّف.
(٢٩٧) منتدى الكفيل/ forums.alkafeel.net/ المنتدى/ الساحة الاسلامية/ قسم العقائد/ لماذا لم تُذكر أسماء أهل البيت في القرآن. ؟!-للسيد كمال الحيدري-بتصرّف.
(٢٩٨) المائدة/٥٥
(٢٩٩) آل عمران/ ٦١.
(٣٠٠) الإسراء/ ٢٦.
(٣٠١) آل عمران/٣٧.
(٣٠٢) ذخائر العقبى: ٤٥، كفاية الطالب: ٣٦٧، ووسيلة المآل: ٨٩، ينابيع المودة: ١٩٩، كشف الغمة: ١ / ٤٦٩، أمالي الطوسي: ٢ / ٢٢٨ البحار: ٤٣ / ٥٩ ح ٥١.
(٣٠٣) الأسرار الفاطمية -الشيخ محمد فاضل المسعودي - ص ٢١٧-٢١٨.
(٣٠٤) لقد ذكرنا بعضاً من كرامات الزهراء ع في المحاضرة السابعة، في المبحث الخامس في هذا الكتاب، فراجعوه.
(٣٠٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - ص ١٠٧.
(٣٠٦) الأسرار الفاطمية-فاضل المسعودي-ص٢٢١-٢٢٢-بتصرّف.
(٣٠٧) هذا عند أهل الاصطلاح، وقد يستعمل كلّ منهما في مقام الآخر تسامحاً ومجازاً.
(٣٠٨) البقرة/١٢٤
(٣٠٩) مركز الأبحاث العقائدية/aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/ الإمامة العامّة(المفهوم)/ الإمامة أعلى رتبة من النبوة.
(٣١٠) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٧ - ص ٢٧٣.
(٣١١) بحار الأنوار -العلامة المجلسي - ج ٤٤ - ص ٢.
(٣١٢) عوالي اللئالي ٤: ٧٧، البحار ٢: ٢٢.
(٣١٣) بحار الأنوار-المجلسي-ج ١٤- ص ٢٠٢.
(٣١٤) آل عمران/٦١.
(٣١٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - ص ١٧٢.
(٣١٦) راجع: مسلم النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيريّ، الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، ١٩٠٣، لا.ت،

لا.ط، ج٤، ص٩٤.
(٣١٧) شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي - ج ١٠ - ص ١٨٥.
(٣١٨) فرائد السمطين-الجويني-ج ٢-ص ٦٨.
(٣١٩) دلائل الإمامة –الطبري الشيعي-ص٢٨.
(٣٢٠) مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي النمازي الشاهرودي - ج ٨-ص٢٤٦.
(٣٢١) الأسرار الفاطمية - الشيخ محمد فاضل المسعودي - ص ٢١٩.
(٣٢٢) راجع الرأي الأول للمحاضرة المعنونة بـ(فاطمة أم أبيها) في الجزء الرابع من كتاب زاد المبلغات، للباحثة مياسة شبع.
(٣٢٣) مريم/١٧-٢١.
(٣٢٤) راجع : البرهان ج٣ ص٧ و٩ .
(٣٢٥) الأحقاف/١٥.
(٣٢٦) الأحقاف/١٥.
(٣٢٧) كامل الزيارات-ابن قولويه القمي-ص١٢٢.
(٣٢٨) تأريخ دمشق: ٥١ / ٥٢ ، عيون الاخبار لابن قتيبة : ٣ / ٥٧.
(٣٢٩) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج ١٤-ص ٥٠٥.
(٣٣٠) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - الصفحة ٣٠٢.
(٣٣١) شبكة الإمام علي ع/ tableegh.imamali.net / العقائد / دروس في العقيدة/ لماذا التركيز على ظلامة فاطمة الزهراء عليها السلام.
(٣٣٢) صحيح البخاري : ٤ / ٤٢.
(٣٣٣) صحيح البخاري : ٨ / ٣٠.
(٣٣٤) صحيح البخاري : ٥ / ٨٢.
(٣٣٥) المائدة/٣٩.
(٣٣٦) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٢٠ - ص ٥٦.
(٣٣٧) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - ص ١٩٨-١٩٩.
(٣٣٨) بيت الأحزان للشيخ عباس القمي.
(٣٣٩) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام-الشيخ الهنداوي-ض٦١-٦٢.
(٣٤٠) هو مروان بن الحكم، قيل كان يبكي إذا سمعها تندب الحسين وبنيها في البقيع.
(٣٤١) الذخائر ص٥٦/٥٧.
(٣٤٢) مجمع مصائب أهل البيت-الشيخ محمد الهنداوي-ص٢٩٤-٢٩٥.
(٣٤٣) دعائم الإسلام- القاضي النعمان- ج٢- ص ٢١٧.
(٣٤٤) تحف العقول-ابن شعبه الحراني- ص ٣٢٢.
(٣٤٥) موقع النجاح/ annajah.net/ الأسرة والمجتمع/ العلاقات الزوجية/ الغيرة الزائدة عند الرجال: أسبابها، وأعراضها، وطرق التعامل معها-بتصرف.
(٣٤٦) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج ١٨، ص ٣٣٢.
(٣٤٧) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٠ - ص ١٥٧.
(٣٤٨) من لا يحضره الفقيه-الشيخ الصدوق- ج١ -ص٥٩.
(٣٤٩) موقع الشيخ حسين الخشن/ al-khechin.com/ مقالات/ اجتماعية/ما روي عن الإمام علي(ع) في ذم المرأة (٣)الشيخ حسين الخشن-بتصرف.
(٣٥٠) وسائل الشيعة-الحر العاملي- ج١٥- ص١٦.
(٣٥١) غرر الحكم : ٦٣٨٣ ، ٦٣٨٤.
(٣٥٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - اص٢٣٤٣.

(٣٥٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص٢٣٤٣.
(٣٥٤) يوسف/٥٣.
(٣٥٥) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ -ص ٦٧٢.
(٣٥٦) من لا يحضره الفقيه-الصدوق- ج٣- ص ٤٤٤.
(٣٥٧) بحار الأنوار-المجلسي- ج ١٠٣- ص ٢٤٩.
(٣٥٨) السعادة الزوجية في ثلاث كلمات، الشيخ أكرم بركات-ص٦٣-٦٤ بتصرف.
(٣٥٩) ميزان الحكمة- الريشهري - ج٣- ص ٢٣٤٣.
(٣٦٠) موقع الشيخ حسين الخشن/ al-khechin.com/ مقالات/ إجتماعية/ ما روي عن الإمام علي(ع) في ذم المرأة (٣)الشيخ حسين الخشن.
(٣٦١) مجلة بقية الله/ baqiatollah.net/ السنة السادسة عشر/ العدد ١٩٢ / الأسرة والمجتمع/الغيرة: الممدوح والمذموم-بقلم الشيخ محمد توفيق المقداد.
(٣٦٢) الأحاد والمثاني - الضحاك - ج ٤ - ص ١٥٨.
(٣٦٣) الحجرات/ ١٢.
(٣٦٤) موقع الشيخ حسن الصفار/ saffar.org / خطب الجمعة النصيّة/ الغَيْرة حصانة أخلاقية-بتصرف.
(٣٦٥) المصدر: موقع السيد السيستاني/ sistani.org/الاستفتاءات/ الإنترنت/سؤال رقم(٢).
(٣٦٦) رواه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ج: ٢ ص: ٢٢٦ وقال : إسناده صحيح.
(٣٦٧) موقع السيد السيستاني/ sistani.org/ الأرشيف/ إستفتاء حول المرأة الفصلية وقتل المرأة الزانية.
(٣٦٨) التوبة/ ٧١.
(٣٦٩) غرر الحكم : ٦٣٨٣ ، ٦٣٨٤.
(٣٧٠) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٣٤٢.
(٣٧١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٣٤٣.
(٣٧٢) النساء/٣.
(٣٧٣) النساء/٣.
(٣٧٤) الكافي- الكليني-ج٥-ص٥٠٦.
(٣٧٥) السعادة الزوجية في ثلاث كلمات، الشيخ أكرم بركات-ص٦٦بتصرف.
(٣٧٦) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ -ص٢٣٤٤.
(٣٧٧) الكافي- الكليني -ج٥،- ص ٥٠٦.
(٣٧٨) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٥ - ص ٥٠٥.
(٣٧٩) ميزان الحكمة- الريشهري- ج٣- ص ٢٣٤٤.
(٣٨٠) دعائم الإسلام- القاضي النعمان- ج٢- ص ٢١٧.
(٣٨١) السعادة الزوجية في ثلاث كلمات، الشيخ أكرم بركات-ص٦٧-٦٨بتصرف.
(٣٨٢) مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي النمازي الشاهرودي - ج ٨ -ص٩٨.
(٣٨٣) جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي - ج ٢٠ -ص ٢٧٤.
(٣٨٤) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - ج ٢ - ص ١٨٩.
(٣٨٥) نهج البلاغة: الحكمة ١٢٤.
(٣٨٦) موقع الشيخ حسين الخشن/ al-khechin.com/ مقالات/ اجتماعية/ ما روي عن الإمام علي(ع) في ذم المرأة (٣)الشيخ حسين الخشن-بتصرف.
(٣٨٧) تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله)، ابن شعبة الحراني:٢١٧.

(٣٨٨) موقع النجاح/ annajah.net/ الأسرة والمجتمع/ العلاقات الزوجية/ الغيرة الزائدة عند الرجال: أسبابها، وأعراضها، وطرق التعامل معها-بتصرف.
(٣٨٩) المحجّة البيضاء- الفيض الكاشاني- ج٣- ص ١٠٣.
(٣٩٠) النور/١٩.
(٣٩١) الكافي-الكليني- ج٥- ص٥٣٧.
(٣٩٢) موقع الشيخ حسن الصفار/ saffar.org / خطب الجمعة النصيّة/ الغَيْرة حصانة أخلاقية-بتصرف.
(٣٩٣) مضمون هذه العبارة مذكور في نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، الخطبة ٨٠.
(٣٩٤) موقع النجاح/ annajah.net/ الأسرة والمجتمع/ العلاقات الزوجية/ الغيرة الزوجية المرضية: تعريفها، أسبابها، أنواعها، وطرق علاجها-بتصرف.
(٣٩٥) موقع النجاح/ annajah.net/ الأسرة والمجتمع/ العلاقات الزوجية/ الغيرة الزائدة عند الرجال: أسبابها، وأعراضها، وطرق التعامل معها-بتصرف.
(٣٩٦) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٢ - ص ٩١.
(٣٩٧) مستدرك الوسائل-المحدث النوري-ج١٤- ص٢٥١.
(٣٩٨) الملك/٢.
(٣٩٩) نهج البلاغة، ج٤ ص٧٣.
(٤٠٠) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٠ - ص ٣٥٧.
(٤٠١) العباس رجل العقيدة والجهاد، ص ٣٤ .
(٤٠٢) راجع سيرة ابن هشام، والسيرة الحلبية.
(٤٠٣) السيدة أم البنين، سيرتها وكراماتها-الشيخ اشرف الزهيري الجعفري-ص٦٧.
(٤٠٤) ثمرات الأعواد ج٢، ص٦٨.
(٤٠٥) ميراث المنبر -محمد سعيد المنصوري- ص٢٢٣.
(٤٠٦) مجمع مصائب أهل البيت-الشيخ محمد الهنداوي-ص٢٩٥-٢٩٦.
(٤٠٧) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام-الشيخ الهنداوي-ج٤-ص٨٨.
(٤٠٨) الفاتحة/٥.
(٤٠٩) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٨٩ - ص ٢٥٩.
(٤١٠) تفسير الأمثل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي-ج١-ص٣.
(٤١١) البقرة/١١٧.
(٤١٢) يس/٤٠.
(٤١٣) دروسٌ تمهيدية في عقائد الشيعة الإمامية-لجنة تأليف المناهج- ص١٥٩-١٦٠.
(٤١٤) تفسير الأمثل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي-ج١-ص٣.
(٤١٥) مجلة اليقين، العدد (٧)، الصفحة (١٠).
(٤١٦) الكهف/٨٤.
(٤١٧) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ -ص ١٢٣٢.
(٤١٨) فاطر/١٥.
(٤١٩) الأنبياء/٦٨-٧٠.
(٤٢٠) مقاتل الطالبيين-أبو الفرج الاصفهاني- ص ٨٦.
(٤٢١) جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي - ج ٢٣ - ص٤٨١.
(٤٢٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٩ - ص٩٩-١٠٠.
(٤٢٣) الزمر/٤٢.
(٤٢٤) السجدة/١١.
(٤٢٥) البقرة/٤٥.

(٤٢٦) الشعراء/٨٠ .
(٤٢٧) النحل/٦٩.
(٤٢٨) الإسراء/٨٢.
(٤٢٩) النساء/٨١.
(٤٣٠) الزخرف/٨١.
(٤٣١) يونس/٣١.
(٤٣٢) النازعات/٥.
(٤٣٣) التوحيد والشرك في القرآن -الشيخ جعفر السبحاني – ص١٠-١٣-بتصرف.
(٤٣٤) النمل/٦٥.
(٤٣٥) آل عمران/١٧٩.
(٤٣٦) الواقعة/٦٣-٦٤.
(٤٣٧) الفتح/٢٩.
(٤٣٨) الذاريات/٥٨.
(٤٣٩) النسآء/٥.
(٤٤٠) التوحيد والشرك في القرآن -الشيخ جعفر السبحاني – ص١١-١٢-بتصرف.
(٤٤١) آل عمران/٤٩.
(٤٤٢) آل عمران/٤٩.
(٤٤٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٢ - ص ٥٠٨.
(٤٤٤) يوسف/٩٧.
(٤٤٥) آل عمران/١٣٥.
(٤٤٦) النساء/٦٤.
(٤٤٧) الفاتحة/٥.
(٤٤٨) البقرة/٤٥.
(٤٤٩) المائدة/٢.
(٤٥٠) النساء/٨٢.
(٤٥١) مركز الأبحاث العقائدية/ .aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/ التوسل والاستغاثة/ معنى قولنا (يا علي) عند القيام.
(٤٥٢) الزمر/٣.
(٤٥٣) المائدة/٣٥.
(٤٥٤) الإسراء/٥٧.
(٤٥٥) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com / الأسئلة العقائدية/ التوسل والإستغاثة/ التوسل حقيقة شرعية لا شركية-بتصرف.
(٤٥٦) الزمر/٣.
(٤٥٧) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ١٧ - ص ٢٣٤.
(٤٥٨) الأعراف/١٨٨.
(٤٥٩) البيان في تفسير القرآن -الخوئي-ص ٣٣-بتصرف.
(٤٦٠) آل عمران/٤٩.
(٤٦١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١٦ - ص ٢١١-٢١٢.
(٤٦٢) المائدة/٣٥.
(٤٦٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٣ - ص ٦٩٥-٦٩٦.
(٤٦٤) الأسرار الفاطمية - الشيخ محمد فاضل المسعودي - ص ٣٧.
(٤٦٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٩ - ص ١٠٢.

(٤٦٦) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١١ - ص ١٧٧.
(٤٦٧) البقرة/٣٧.
(٤٦٨) لبقرة/٣٧.
(٤٦٩) منتديات موقع الميزان/ mezan.net /القرآن الكريم والعترة الطاهرة صلوات الله عليهم/ مظلومية سيدة نساء العالمين صلوات الله عليها- عليكم بالزهراء إستغيثوا بها -بتصرف.
(٤٧٠) موقع العلامة منير الخباز/almoneer.org/المكتبة الصوتية والمرئية/ شهر رمضان المبارك/ رمضان المبارك عام ١٤٢٩/فاطمة ليلة القدر(ج٣)-بتصرف.
(٤٧١) مفاتيح الجنان-الشيخ عباس القمي-دعاء التوسل.
(٤٧٢) موقع الشيعة/ar.al-shia.org/ أسئلة وأجوبة/ الرد على الأسئلة/ العقائدية/ كيفية التوسل بأهل البيت (عليهم السلام)- إعداد: مركز آل البيت العالمي للمعلومات / قم المقدسة- بتصرف.
(٤٧٣) صحيفة الزهراء (ع) - جمع الشيخ جواد القيومي - ص٣٠٤.
(٤٧٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٩ - ص٢٥٤.
(٤٧٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - ص ٦٥.
(٤٧٦) المناقب-ابن شهراشوب-ج٣-ص٣٣٧-فصل في معجزاتها ع .
(٤٧٧) بحار الأنوار-المجلسي-ج٤٣-ص٤٥.
(٤٧٨) المناقب-ابن شهراشوب-ج٣-ص٣٣٧-فصل في معجزاتها ع .
(٤٧٩) بحار الأنوار-المجلسي-ج٤٣-ص٤٧-ب٣-ح٤٦.
(٤٨٠) كرامات الأولياء-المجدد الشيرازي الثاني - ص٨٩-٩١.
(٤٨١) الاحتجاج-الشيخ الطبرسي-ج١-ص٨٦-٨٧-ذكر طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله ص.
(٤٨٢) وفاة الصديقة- ص ٦٣.
(٤٨٣) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام-الشيخ الهنداوي-ص٥٧-٥٨.
(٤٨٤) فرائد السمطين ٢ : ٦٨.
(٤٨٥) غرر الحكم : ١١٩٣ .
(٤٨٦) كنز العمال : ٢٨٧٧٦.
(٤٨٧) غرر الحكم : ٤٧٤٧ .
(٤٨٨) غرر الحكم : ٤٧٤٨ .
(٤٨٩) غرر الحكم : ٤٧٤٩ .
(٤٩٠) غرر الحكم : ٤٧٥٣.
(٤٩١) الملك/٢.
(٤٩٢) الصحيفة السجادية : دعاء رقم ٢٠ .
(٤٩٣) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي: ج ٦١، ب ٤٢، ص ١٢٩.
(٤٩٤) فرائد السمطين ٢ : ٦٨.
(٤٩٥) مجلة رسالة القلم/ ralqalam.com /أهل البيت (عليهم السلام)/سيماء فاطمة صلوات الله عليها في القرآن (الشيخ حسين كنجي)
(٤٩٦) فرائد السمطين ٢: ٦٨.
(٤٩٧) الروم/٢٠.
(٤٩٨) الطارق/٦-٧.
(٤٩٩) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٦ - ص٨٠.
(٥٠٠) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - ص ٥.
(٥٠١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - ص ٦.

(٥٠٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ -ص ٤.
(٥٠٣) موقع الشيخ إدريس العكراوي/ sh-idrees.net /النبي وأهل بيته/ في رحاب السيدة الزهراء(ع)/ فاطمة (ع) ثمرة الجنة.
(٥٠٤) الأنبياء/٩١.
(٥٠٥) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com / الأسئلة العقائدية/فاطمة الزهراء ع / لا يدل خلقها من ثمار الجنة على أفضليتها على النبي (صلى الله عليه وآله).
(٥٠٦) كتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صفحة ٢٣٤٤ - ٢٣٤٦. بتصرّف.
(٥٠٧) كتاب الموسوعة الفقهية الكويتية، صفحة ٢٢١. بتصرّف.
(٥٠٨) أم المؤمنين خديجة الطاهرة (ع) - الحاج حسين الشاكري - ص ٣٥.
(٥٠٩) شبكة رافد للتنمية الثقافية/ rafed.net/ أهل البيت عليهم السلام فاطمة الزهراء سلام الله عليها في سطور
(٥١٠) المعاني/ almaany.com/ معجم المعاني الجامع/ معنى شرف المرأة.
(٥١١) المعاني/ almaany.com/ معجم المعاني الجامع/ معنى شرف النفس.
(٥١٢) القلم/٤.
(٥١٣) مركز الإشعاع الإسلامي/ islam٤u.com/ مقالات و دراسات/ الزهراء ع خلق عظيم- بقلم السيد محمد تقي المدرسي.
(٥١٤) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٣٠٦.
(٥١٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٩ - ص١٤٢.
(٥١٦) أعلام الهداية- المجمع العالمي لأهل البيت (ع)-ج ٣- ص٣٦-٣٨.
(٥١٧) الأنعام/١٢٤.
(٥١٨) آل عمران/٣٤.
(٥١٩) مقتل الحسين عليه السلام - الخوارزمي ١ : ٦٩.
(٥٢٠) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٨٦ - ص ٣١٣.
(٥٢١) الجمهرة/ islamic-content.com/معجم المصطلحات الشرعية/ الْكَرَمُ
(٥٢٢) حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء(ع)دراسة وتحليل- باقر شريف القرشي-ص ٦٤ .
(٥٢٣) الإنسان/٨.
(٥٢٤) راجع فاطمة الزهراء ع في القرآن: ص٣١٣ نقلاً عن تفسير روح المعاني: ج٩٢ ص١٧٥.
(٥٢٥) القصة مختصرة من القصة الكاملة المروية في كتاب: بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - الصفحة ٥٦-٥٨.
(٥٢٦) بحار الأنوار-المجلسي-ج١٦- ص٨٠.
(٥٢٧) بقلم : حميد حلمي زادة
(٥٢٨) الرادود الحاج نزار القطري.
(٥٢٩) لعل الشاعر يقصد بالمعتمد الأمير وولي العهد الذي كان يتولى إيذاء الإمام عليه السلام في ظل خلافة المعتز الخليفة الذي استشهد الإمام الهادي عليه السلام في زمانه.
(٥٣٠) المجالس السنية- ج٢.
(٥٣١) مجمع مصائب اهل البيت ع-الشيخ محمد الهنداوي-ص٣٠٩-٣١٠.
(٥٣٢) العصر/١-٣.
(٥٣٣) الميزان في تفسير القرآن - العلامة الطباطبائي-ج٢٠-ص ٣٥٥-٣٥٦.
(٥٣٤) المستند في شرح العروة الوثقى-الجزء الاول : الصلاة- مسألة ٣-ص٧٧.
(٥٣٥) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ١٩٦.
(٥٣٦) كمال الدين وتمام النعمة - الصدوق - ج ١ - الصفحة ٦٨٤ .(٢) الميزان في تفسير القرآن - العلامة الطباطبائي-ج٢٠-ص ٣٥٥-٣٥٦-بتصرف.

(٥٣٧) الفجر/١-٢.
(٥٣٨) الضحى /١-٢.
(٥٣٩) العصر/١.
(٥٤٠) الليل /١-٢.
(٥٤١)المدثر /٣٤.
(٥٤٢) القيامة /١.
(٥٤٣) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ٢٠ - ص ٣٥٦.
(٥٤٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٢٠ - ص ٤٣٥.
(٥٤٥) الأبيات للشاعر أحمد شوقي.
(٥٤٦) القمر/٤٩.
(٥٤٧) نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ٧٤.
(٥٤٨) مريم/٨٤.
(٥٤٩) الزمر/ ١٥.
(٥٥٠) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ٢٠ - ص٣٥٦.
(٥٥١) الأنعام/٩٤.
(٥٥٢) العصر/١-٣.
(٥٥٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٢٠ - ص ٤٣٦-بتصرف.
(٥٥٤) فقه الرضا - علي بن بابويه - الصفحة ٣٦٢.
(٥٥٥) المائدة/٥.
(٥٥٦) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ٢٠ - ص ٣٥٧.
(٥٥٧) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٨ -ص ٢٩٥-ح ٤٤.
(٥٥٨) جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي - ج ١٥ - ص ٤٠٤.
(٥٥٩) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص ١٩٣.
(٥٦٠) البحار-المجلسي-ج ٦٩ -ص ١٩ / ١ و ح ٢.
(٥٦١) تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي - ج ٥ - ص٦٤٥.
(٥٦٢) شبكة الإمام علي/ ten.ilamami.hgeelbat /المزيد/ المساجد/ مسجد الشيخ الأنصاري (قدس سره)-بتصرف.
(٥٦٣) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٨٤ -ص ١٥٦.
(٥٦٤) أعلام النساء المؤمنات-الشيخ محمد الحسون، وأم علي مشكور-فهارس أسماء النساء.
(٥٦٥) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص ٨٤٥.
(٥٦٦) موقع الوفد/ alwafd.news / دنيا ودين/ قصة مسجد "كأني أكلت"-بتصرف.
(٥٦٧) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ٢٠ - ص ٣٥٧.
(٥٦٨) فصلت/٤٢.
(٥٦٩) نهج البلاغة: الخطبة ١٠
(٥٧٠) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل-الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٢٠ - ص ٤٤٠.
(٥٧١) مجلة رسالة القلم/ moc.malaqlar/ المواضيع القرآنية/ والعصر.. منهج حياة- السيد مرتضى السيد مجيد السندي - العدد ٢٦.
(٥٧٢) يس/١٢.
(٥٧٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٥ - ص١٣١.
(٥٧٤) التغابن/١٤.
(٥٧٥) عبس/٣٤-٣٦.

(٥٧٦) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص١٩٥٣.
(٥٧٧) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٢٠ - ص٤٤٠-٤٤١- بتصرف.
(٥٧٨) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٧٨ -ص ٣٢١ -ح ١٨.
(٥٧٩) قيعان جمع القاع: أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والتلال.
(٥٨٠) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٨ - ص ٢٩٢.
(٥٨١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧ - ص ٢٦٢.
(٥٨٢) تفسير القمي - علي بن إبراهيم القمي - ج ٢ - ص ٤٤١.
(٥٨٣) المجالس السنية ج٢ للسيد محسن الأمين. نور الأبصار للحائري. مثير الأحزان للشيخ شريف الجواهري. سيرة الأئمة الاثني عشر للسيد هاشم معروف الحسني.
(٥٨٤) مجمع مصائب اهل البيت ع-الشيخ محمد الهنداوي-ص٣١١-٣١٤.
(٥٨٥) القصيدة للشاعر الكبير السيّد صادق الموسوي الهندي.
(٥٨٦) الفاتحة/٥.
(٥٨٧) دروس تمهيدية في العقائد الإمامية- لجنة تأليف المناهج -ص٦٧.
(٥٨٨) بحوث قرآنية في التوحيد والشرك-جعفر السبحاني-ص٣٠-٣١.
(٥٨٩) إسلام ويب/ ten.bewmalsi / فكر وسياسة وفن/ ثقافة وفكر/مصطلحات/ مصطلحات شرعية/الفرق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي-بتصرف.
(٥٩٠) التوبة/ ١٠٣.
(٥٩١) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية-عبد الرحمن عبد المنعم- ج ٢- ص ٣٧٧.
(٥٩٢) طه/١٤.
(٥٩٣) لسان العرب- إبن منظور- (أصل العبودية: الخضوع والتذلّل).
(٥٩٤) القاموس المحيط -الفيروز أبادي-حرف العين- (العبادة: الطاعة).
(٥٩٥) الأسماء الثلاثة (الإله، الربّ، والعبادة) - الشيخ جعفر السبحاني - ج ١ - ص ٥٢-بتصرف.
(٥٩٦) دروس تمهيدية في العقائد الإمامية- لجنة تأليف المناهج -ص٦٨.
(٥٩٧) البقرة /٣٤.
(٥٩٨) يوسف/ ١٠٠.
(٥٩٩) البقرة /١٢٥.
(٦٠٠) الاسراء /٢٤.
(٦٠١) الحج /٢٩.
(٦٠٢) البقرة /١٥٨.
(٦٠٣) التوحيد والشرك في القرآن - الشيخ جعفر السبحاني - الصفحة ٤٠، بتصرف.
(٦٠٤) موقع السيد فضل الله/ moc.halluldafdeyas / عقائد وفقه/ظاهرة التكفير.
(٦٠٥) أخرجه البخاري (٦١٠٤)
(٦٠٦) كنز العمال - المتقي الهندي - ج ٥ - ص ٢٨٦.
(٦٠٧) النساء/٩٤.
(٦٠٨) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢١ - ص ١١.
(٦٠٩) إبن تيمية، زيارة القبور والاستنجاد بها، ص ١٩.
(٦١٠) الممتحنة/٨.
(٦١١) الحج/٣٢.
(٦١٢) الاعراف/١٨٨.
(٦١٣) الأسماء الثلاثة - الشيخ جعفر السبحاني - ص ٦١.

(٦١٤) مفاتيح الجنان-عباس القمي-دعاء التوسل.
(٦١٥) لصحيفة السجادية الجامعة لأدعية الإمام زين العابدين(ع)-مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)-دعاؤه عليه السلام في كل صباح ومساء المعروف بالحرز الكامل-ص٦٤.
(٦١٦) يوسف/١٠٦.
(٦١٧) نور الثقلين، ج ٢، صفحة ٢٧٥ - أصول الكافي، المجلد الثاني، ص ٢٩٢.
(٦١٨) الحج/٣٠.
(٦١٩) راجع المحاضرة المعنونة بـ(تعظيم حرمات الله) في الجزء الأول من كتاب زاد المبلغات.
(٦٢٠) الشورى/٢٣.
(٦٢١) الأعراف/١٥٧.
(٦٢٢) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ٨ - ص ٢٨٢.
(٦٢٣) الحجرات/٢.
(٦٢٤) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي - ج ٩ - ص ٢١٧.
(٦٢٥) الحجرات/٢.
(٦٢٦) الحجرات/٣.
(٦٢٧) الحجرات/٤.
(٦٢٨) النساء/٦٤.
(٦٢٩) السبكي الشافعي، شفاء السقام: ٧٠.
(٦٣٠) الأنعام/١٢١.
(٦٣١) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com/الأسئلة العقائدية/ الذبح عند القبور/هل تقديم الطعام والذبائح للحسين محرم وشرك؟-بتصرف.
(٦٣٢) أخرجه البخاري (٣٨١٨)، ومسلم (٢٤٣٥)
(٦٣٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان -إبن قيم الجوزية - ج ١- ص ١٩٤.
(٦٣٤) مفاهيم القرآن- الأستاذ جعفر الهادي -ج١-٤٤٦-٤٤٧.
(٦٣٥) الأعراف/١٧٢.
(٦٣٦) أمالي الطوسي: المجلس السابع عشر ح ١٠ / ٤٧٦ الرقم ١٠٤١.
(٦٣٧) مناسك الحجّ وملحقاتها – السيستاني- ج١-ص٣٠٣.
(٦٣٨) المنافقون/٤.
(٦٣٩) وسائل الشيعة (الإسلامية) - الحر العاملي - ج ٢ - الصفحة ٩٧٠. ورواه البخاري (١٢٨/١) رقم (٣٢٨).
(٦٤٠) السنن الكبرى- البيهقي-ج ١٠٥-ص ٢.
(٦٤١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣ / ٢٤٢، ٢٦٥.
(٦٤٢) قطعة نَسيج مِنَ الحَرِيرِ الأَصيلِ صغيرة كالمنديل.
(٦٤٣) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٥ - الصفحة ٣٦٦.
(٦٤٤) يوسف/٤٢.
(٦٤٥) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com / الاسئلة و الأجوبة/ التسمية بعبد النبي وعبد... » إستعمال لفwظة العبد في غير ما وضع له-بتصرف.
(٦٤٦) مريم/٩٣.
(٦٤٧) مريم/٣٠.
(٦٤٨) مريم/٣٠.
(٦٤٩) بحار الأنوار-المجلسي- ج٣-ص٢٨٣.
(٦٥٠) مريم/٣٠.
(٦٥١) مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية/ islam٤u.com/ شبهات و

ردود/الإنسان عبد لله فقط فلماذا تقولون عبد الحسين؟-للشيخ جعفر سبحاني.
(٦٥٢) بحار الأنوار-المجلسي- ج١٣ -ص٤١٦ .
(٦٥٣) جامع السعادات- النراقي- ج٣ -ص١١٢ .
(٦٥٤) مستدرك سفينة البحار ج٤ ص٤٠٤ وج٧ ص٣٦٠ .
(٦٥٥) عوالي اللآلي ج١ ص٢٩٢ وبحار الأنوار ج٧٤ ص١٦٥.
(٦٥٦) مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية/ islam٤u.com/ شبهات و ردود/ التسمية بعبد الحسين لا تصح –بقلم السيد جعفر مرتضى العاملي
(٦٥٧) مجموعة الفتاوى -إبن تيمية - ج ١- ص ١٥٩.
(٦٥٨) الكهف/٢١.
(٦٥٩)التفسير الكبير- فخر الدين الرازي-ج٢١-ص٤٤٧.
(٦٦٠) سنن ابن ماجة: ١ / ١١٤ .
(٦٦١) صحيح مسلم : ٦٤/٣ ، باب ما يقال عند دخول القبور ، السنن للنسائي : ٧٦/٣ .
(٦٦٢) صحيح مسلم : ٦٥/٣ ، باب استئذان النبي ربَّه عَزَّ و جَلَّ في زيارة قبر أمّه .
(٦٦٣) صحيح مسلم : ٦٥/٣ ، بابw ما يقال عند دخول القبر .
(٦٦٤) المائدة/٣٥.
(٦٦٥) النساء/٦٤.
(٦٦٦) العقائد الإسلامية - مركز المصطفى (ص) - ج ٤ - الصفحة ٢٥٤-بتصرف.
(٦٦٧) موقع العتبة الحسينية المقدسة/ أدب/ سيرة/ سبع الدجيل- بقلم محمد طاهر الصفار.
(٦٦٨) دليل أماكن الحج والسياحة في العراق -إحسان مقدس- ص ٣٠٢.
(٦٦٩) الإمام الهادي من المهد إلى اللحد- السيد محمد كاظم القزويني -ص ١٣٧.
(٦٧٠) حياة الإمام الحسن العسكري دراسةوتحليل-القرشي- ص ٢٥ - ٣٠.
(٦٧١) الحدائق الناضرة - المحقق البحراني - ج ٤ - ص ١٥٣.

الحمد لله

قسم التوجيه والإرشاد الأسري

مركز الإرشاد الأسري/ النجف الأشرف